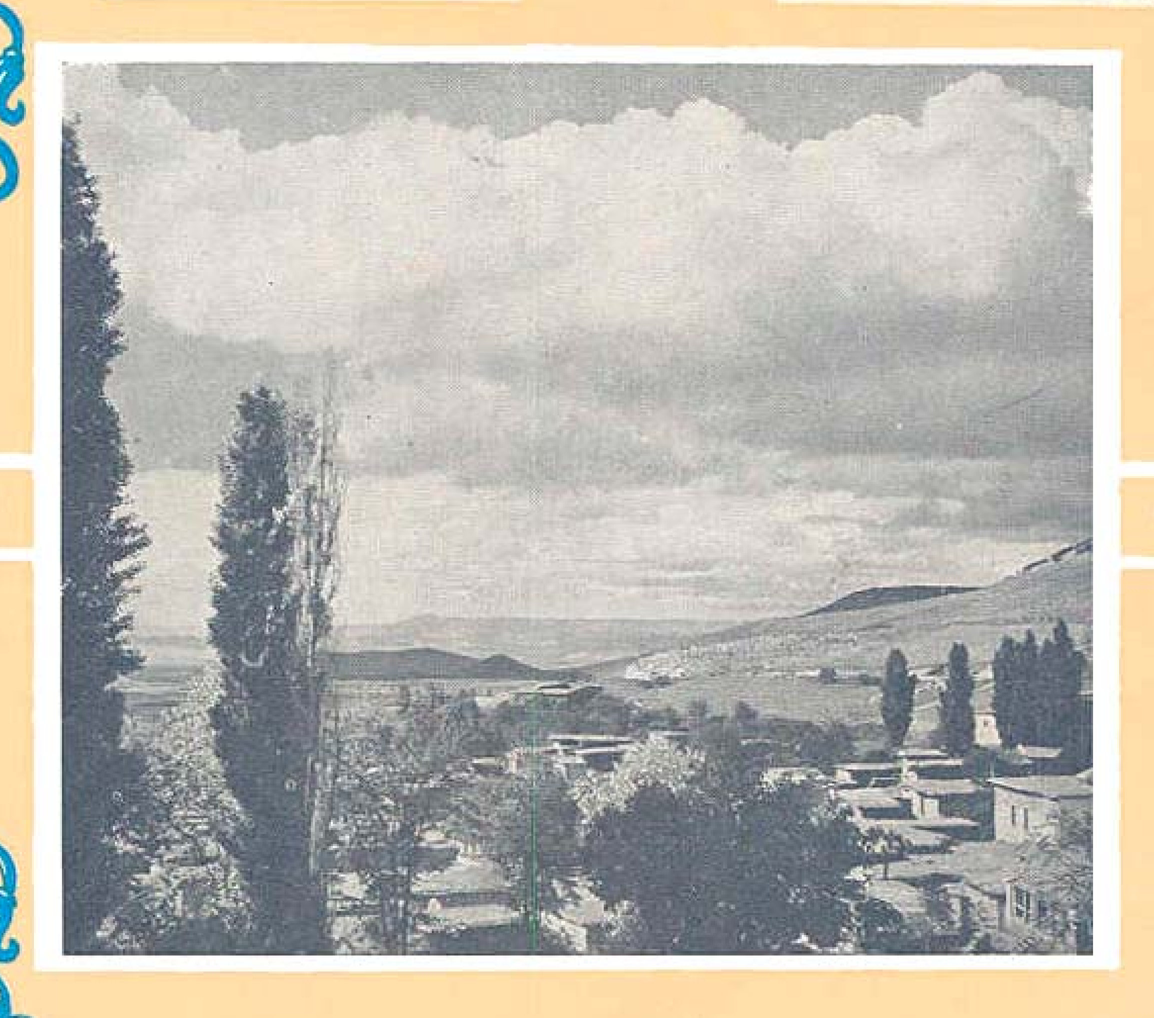


مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الثامن - السنة الرابعة
ذو الحجة 1380 - ماي 1961
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الثامن
السنة الرابعة
ذو الحجة - 1380
ماي 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



عين اللــوح :

احدى المصايف الجميلة الهادئة على

الاطلس المتوسط

(يبلغ ارتفاعها عن البحر 1450 متر)

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنــوان التالــي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقــاف ـ الرباط ـ المغــرب .

الاشتراك العادي عــن سنــة 10 دراهم ؛ والشرفي 20 درهمــا فــأكثــر .

السنة عشرة اعداد ، لايقبل الاشتراك الا عن سنــة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعــوة الحــق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الربــاط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسـا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعــوة الحــق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقــاف ـ الرباط ـ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئـات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خــاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشــر الاعلانات الثقافيــة .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الــى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الربــاط
تليفون 10-308 ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

بوادر نهضة فكرية

كثر الحديث في المدة الاخيرة عن الحاجة الى انتاج ادبي وثقافي يملأ فراغ حياتنا الفكرية ويلبي حاجاتنا ومطامحنا كمجتمع ناهض يرغب في تطوير حياته تطويرا يكافئ مقتضيات العصر الحاضر وينسجم مع المرحلة التاريخية التي تجتازها امتنا. فعلى صفحات بعض الجرائد والمجلات وخلال الاجتماعات والندوات يتنادى جمهور من المثقفين الى نوع من التواصل الفكري الهادف الى سد ثلمة في البناء الحضاري ما تزال تقلق بال كثير من المفكرين والمهتمين بشؤون الثقافة في بلادنا.

اننا نعتقد ان الحل لكل مشكلة يبدأ من الشعور بوجودها، وقد بدأنا بالفعل نشعر في المغرب بوجود مشكلة الركود الفكري، واخذنا نتلمس الطريق للخروج من هذه المشكلة. ولعل المؤتمر التاسيسي لكتاب المغرب العربي الذي عقد اخيرا بالرباط بادرة طيبة تنبيء بخير عظيم لمستقبل الثقافة في المغرب، لقد اتاح لنا هذا المؤتمر رغم ما يأخذه عليه البعض من عدم التزام بالسير في خط هادف الى التفاعل مع واقع الحياة، وما تمور في قلب هذا الواقع من حاجات ورغائب تنزع الى الوضوح والاستبانة والتحقق، اتاح لنا رغم هذا ومع ردود الفعل التي اثارها ان نتامل ونناقش كثيرا من القضايا التي تتصل عادة بمشكلة الثقافة، كالحرية والالتزام والتفتح والانغلاق، والعلاقة بين التراث القومي والانساني، وما الى ذلك من المواضيع التي ما تزال تشغل بال المفكرين في بلاد غير بلادنا، وليس في وسع مؤتمر واحد او مناقشة واحدة ان تنير لنا الطريق السوي لبناء حياة فكرية واعية تلم كياننا وتبلوره وتعكس ما فيه من روح اصيلة وثابة الى الخير والجمال، ذلك ان مجتمعنا حافل بمن تعلموا ونهلوا العلم من ينابيع مختلفة، فليس من الغريب اذن ان تساهم هذه الينابيع في خلق اتجاهات متباينة ومستويات من التفكير متفاوتة وان تباعد بين المثقفين وتعزلهم بالتالي عن واقع بلادهم وتاريخ امتهم والمستقبل العظيم الذي تطمح اليه. والسبيل الوحيد الذي يكفل لنا تحقيق رابطة فكرية موحدة تقوم على تعزيز اواصر الصلة بتراثنا وتقاليدنا كامن في الحرص على المزيد من التعارف والتفاهم والاتصال بين جمهرة المثقفين، لقد كان المؤتمر الاول لكتاب المغرب العربي البادرة الاولى لتقريب وجهة النظر ولن تكون بحول الله البادرة الاخيرة فستتلوه مؤتمرات وستنبثق منها وحولها آرا وافكار من خلالها ستنمو وتتكامل نهضتنا الفكرية وترتسم بوضوح معالمها وسماتها.

دعوة الحق

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 14 -

«الفصل العاشر في وحدات الوراثة»

قال المصنف .. في كل خلية ، ذكرا كانت أم انثى توجد كروموزومات وجنات . فالكروموزمات تشكل النويات القاتمة اللون التي تحتوي على الجنات . والجنات هي العامل الرئيسي الحاسم فيما يكون عليه كل كائن حي أو انسان . والسيتوبلازم هي المركبات الكيماوية العجيبة التي تحيط بهما معا . وهذه الجنات (وحدات الوراثة) هي المسؤولة عن جميع المخلوقات البشرية على وجه الارض اليوم ، من حيث خصائصها الفردية والنفسية والوانها واجناسها . وقد بلغت هذه الجنات في الدقة بحيث لو جمعت ووضعت في مكان واحد لكانت أقل حجما من الكستبان . وهو ما يضعه الخياط في اصبعه الوسطى ليدفع به الابرة حتى لا تخرق اصبعه. وهذه الجنات المكرسكوبية البالغة الغاية في الدقة هي المفاتيح المطلقة لخصائص جميع البشر والحيوان والنبات . والكستبان الذي يسع الخصائص الفردية لبليونين من المخلوقات البشرية ، هو دون ريب موضع صغير جدا كما لا يخفى ، ومع ذلك فهذه هي الحقيقة التي لا يتطرق اليها الشك . فهل هذه الجنات والسيتوبلازمات ، تحبس كل الخصائص العادية الموروثة لهذا الجمع الكبير من الاسلاف ، وتحفظ الخصائص النفسية لكل فرد منهم في مثل هذه المساحة الصغيرة ؟ فما هو المحبوس هناك يا ترى ؟ اهو كتاب تعليمات ؟ أم مجموعة من الذرات ؟ أم كل شيء ترك للحظ والمصادفة ؟ ان الجنين وهو يخلص في تطوره التدريجي من النطفة (البروتوبلازم) الى الشبه الجنسي ، انما يقص تاريخا مسجلا ، قد حفظ وعبر عنه بالتنظيم الذري في الجنات والسيتوبلازم . حتى الام التي غذت الجنين منذ أن حملت به ليس لها الا تأثير قليل ، لان الجنات هي التي تقرر مشابهة الطفل لامه ولابيه . وليس هناك دليل على ان هذا الشبه تقرره البيئة السابقة للولادة . والتطور يتطلب مددا طويلة من الزمان لاجل ان يستقر أي تغيير يحدث . انه عمل يقصد به بقاء الجنس وتشابهه . ولا يصل الى درجة الكمال الا بحلول الروح . وقد قدر ذلك ونظمه الخالق الاعلى وهو لا يغير سنته الكونية في هذا العمل ولا يتعجل فيه من اجل ان الانسان لا يفهمه او من اجل ان الانسان خلق عجولا . والتطورات الجديدة تتوقف على الخصائص الموجودة والبيئة المناسبة . فالمصادفة ليس لها نصيب في التطور الا من حيث الاختلافات التي بين الوالدين ، المحدودة بالفوارق التي تورث في تلك الحال . وانت اذا بدات بفراشة ، تحصل على يسروع ، واليسروع يأكل بنهمة ، وينو الى ان يتكامل نموه. ثم يلف نفسه براحة في رداء بصفه من الحرير ، ثم يصير شرنقة ، ومعظم انسجة الجسم تنحل الى خلايا وتصير مزيجا . ولم يكتشف اي باحث محلل ان جزءا منها يختلف عن الآخر ، ولا قدر احد ان يفرق بين هذا المزيج . وفي الوقت المناسب تبحث كل خلية عن الجزء المناسب في الشرنقة لتتصل به ، ثم تتحول الشرنقة الى مخلوق جديد متصف بالحياة ، له كل الاعضاء الطبيعية اللازمة للوجود ، وله القدرة على ان ينتج من جديد نصف الطبيعة المعقدة ليعسوب جديد . واذا حان الوقت تنفتح الشرنقة ويخرج الى الدنيا مخلوق بديع يسمى (الفراشة) واجنحتها اللطيفة مصنوعة من انابيب تصب فيها دمها . وينتفخ الجناح ويصير اداة للطيران ، واذا طارت الفراشة في الهواء بالوانها اللامعة الجميلة . ترى تحت المكرسكوب ان اجنحتها مغطاة بمادة تشبه الريش ، وان كل بقعة حمراء او سمراء او خضراء او صفراء هي في المكان

نفسه الذي كانت فيه الفراشة الاصلية . واشكالها وعلاماتها مشابهة تمام المشابهة لابويها من جميع الوجوه ، تقريبا الى حد مكرسكوبي . فما هي قوة التوجيه هذه التي فى الجنات ، انها تضبط الخلايا ، والخلايا تطيعهامثل طاعة الجنود لرؤسائهم . والنتيجة تجيء صحيحة من حيث التفصيل العام كحل مشكلة حسابية . واللون يقال انه ناشيء عن حقيقة ، هي ان مواد معينة تتشرب جميع الاشعة من اطوال موجة معينة ، تاركة الباقي لينعكس ، وان هذه الاشعة تنعكس بلون احمر وازرق واصفر ، او بمزيج من هذه الالوان الرئيسية . فالكأس الحمراء لا تترك لونا ينفذ فيها الا الاحمر وهكذا الالوان الاخرى . والموجات الحمراء يمكن ان تجلب التغيرات الكيماوية العادية الى الافلام الفوتوغرافية ، ومن ثم يجيء الضوء الياقوتي للكامرة المظلمة . وموجات الضوء نسبيا كبيرة جدا ، فانها تجري من ثلاثة وثلاثين الفا الى ستة وستين الفا عن البوصة الواحدة ، على حين تجري الموجات الاخرى او الاشعة من اميال للراديو الى عشرة ملايين فى البوصة الواحدة او اكثر للاشعة فوق البنفسجية . ونحن لا نعلم ما سنكتشفه بعد . وماذا يصنع كل هذا مع الفراش والجنات ؟ سننظر . هناك نوع من الفراش فى البلدان الحارة له اجنحة مغطاة بقشرة مصنوع بعضها من غشاء شفاف فى غاية الرقة . فى طبقات فى منتهى الدقة . وينفذ الضوء وينعكس بلون جميل ازرق كما تراه احيانا بين الوان عين الهرة . ولو حدث تغير بمقدار جزء من عشرة الاف جزء من البوصة ، فى غلظ غشاء الفراشة ، لتغير ذلك اللون او تلاشى تماما . ان الجنات تنظم الامور الى حد انه لا يحدث اي تغير لمدة عشرة الاف جيل . واذا نظرت الى الزيت على الماء ترى ايضا الوانا كثيرة مختلفة فى الغلظ المكروسكوبي . تلك هي العلامات والبقع التي تنتجت فى الفراشة . والان حاول ان تضع شيئا من الزيت على الماء وراقبه ترى ذلك بعينك . ويمكن ان يغير الانسان (الجنات) باستعمال الراديو والاشعة الاخرى ، فياتي ذلك بذباب ليست له اجنحة ونبات مشوه ، وشواذ مدهشة عديدة ، ويمكن ان ياتي يوم يستطيع العلماء فيه ان يعملوا على تحسين الطبيعة . والى ان ياتي ذلك اليوم يكتسب العلماء معرفة قيمة ، تؤدي الى تقدم علم الاحياء والطب والطبيعيات . وقد علم الآن ان الحياة كلها تاتي من خلية واحدة ، وانه لا يوجد دليل يثبت اي نتيجة اخرى وقد لوحظ ان جميع اصناف الكائنات الحية منفصل بعضها عن بعض بهوات بعيدة الغور لا يمكن اجتيازها . وكثير من الاجناس بعد انفصالها تفقد القدرة بسرعة على الاختلاط بالجنس الذي انفصلت منه. خذ مثلا ما تناسل من بين الحمار والحجر وهي الفرس الانثى ، يكون بغلا ، ولا يمكن ان يكون للبغال جنس مستقل .

ثم اطال المؤلف الكلام فى هذا المعنى ، وحاصله ان الحياة فى بدايتها كانت نقطة صغيرة ثم اخذت تتسع وتنفصل الى اجناس والوان يختلف بعضها عن بعض اختلافا بينا ، ولا يمكن لاحد من تلك الاجناس ان يرجع مرة اخرى الى الوراء ليتصل من حيث انفصل . ثم قال :

والانسان حيوان جاء فى الطليعة ، وهو فى تكوينه الجسمي يشبه القردة . وليست مشابهته للقردة فى الجسم بدليل على ان الانسان متطور عن القرد ، لا ولا ان تلك القردة ذرية منحطة من نسل الانسان . ولا يستطيع احد ان يدعي ان نوع السمك المعروف بالكد قد تطور من نوع السمك المعروف بالهدك ، وان كان كلا النوعين فى ماء واحد ، ويتغذيان بغذاء واحد ، وعظامهما تقريبا مماثلة . وانما يدل ذلك على انهما فى بداية الخلق والتكييف كانت هناك ضرورة متوازية لتكييف كل منهما . ان العلم يشير الى ان ابهام الانسان وقدرته على قبض الآلات والاسلحة وامساكها بيده ، هو مصدر تقدمه ، ولكن ابهام القرد العاطلة التي لا نفع لها دليل قاطع ، على ان ابهام الانسان لا يمكن ان تكون قد جاءت من ابهام القرد الذي يعيش متسلقا للاشجار ، لان الطبيعة لا تعيد ابدا تيسيرا قد فقد . والفرس التي تجري الآن على حافر قد خصص غاية التخصيص للركض (وان كان فيما مضى اصابع) لايستطيع ابدا ان تستعيد تلك الاصابع المفقودة . على انه لا حاجة بنا الى ان نشغل انفسنا اكثر مما ينبغي ، بما وقع لاسلافنا منذ مليونين من الاجيال السالفة على الاقل . ومع ذلك يبدو لنا ان البحث عن الحلقة المفقودة سوف يتضح انه من العبث .

تعليقات :

1) ان كلام المؤلف فى الجنات وما اليها وبسطه الكلام فى تكوين الفراشة وما يشتمل عليه من اسرار ونظام دقيق عجيب ، يضطر كل عاقل يدين بالانصاف ويدع اللجاج جانبا ان يؤمن بالخالق العلي القدير ، ويتحير لبه فى عظمته واتقان خلقه واحكام صنعه

فينطلق لسانه بتسبيحه وتمجيده ، ويخشع قلبه ويلين جلده ويطمئن بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب . ولا يخلو كلام المصنف من تعقيد يجعل ادراك معناه عسيرا . ولذلك سببان احدهما انه يخوض في علوم وبحوث دقيقة تحتاج الى دراسة واختصاص ولا يبلغ مداها ويعرف كنهها بالمطالعة وحدها (والثاني) وحقه ان يكون الاول ضيق اللغة العربية في هذا الزمان بسبب عجز اهلها وتقاعسهم عن النهوض بها الى ان تبلغ مستوى اللغات المتقدمة في العصر الحاضر ؛ فقد توقف نموها بتوقف تقدم اهلها منذ نحو ست مائة عام . وانت اذا قرات مثل هذه المباحث بلغة اوربية يسهل عليك فهمها الى حد بعيد وان لم تكن من اهل الاختصاص ، بخلاف ما اذا قراتها بالعربية العصرية . فاذا انضم الى ذلك قصور المترجم في احدى اللغتين او كلتيهما فهنالك الطامة الكبرى . ومع ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله (فان لم يصبها وابل فطل) .

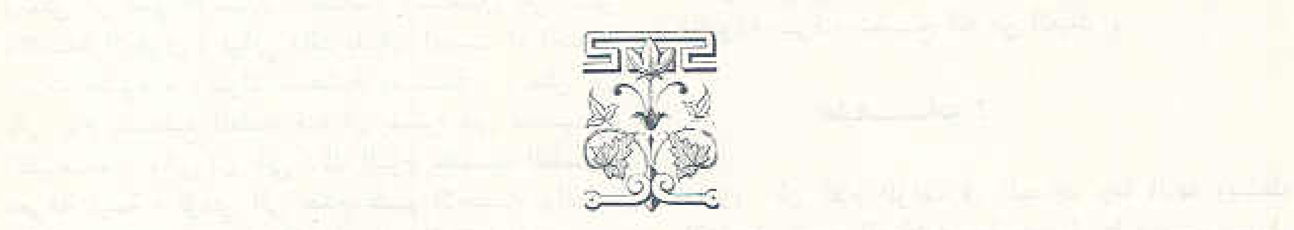
اذا ما لم تكن ابل فمعزى

كأن قرون جلتها العصي

فتملا بيتنا اقطا وسمنا

وحسبك من غنى شبع وري

2) قوله : والانسان في تكوينه الجسمي جاء في الطليعة الخ . يقضي على ما بناه فراريج الاوربيين اعني مقلديهم من الاسيويين والافريقيين الذين يتلقفون كل راي يظهر من آرائهم بالتقديس والاجلال، ويسمونه علما وان كان من النظريات التي لا يقصد بها قائلوها الا التمهيد لحل المشكلات واستخراج المجهولات ولا يجزمون بها ، فياتي مقلدوهم على العمياء ويتخذونها قضايا مسلمة ويقولون في تبجح وتعاظم او (عظموت) كما يسمي ذلك الامير شكيب ارسلان رحمه الله . اثبت العلم كذا وكذا واكتشف العلماء كيت وكيت. فقد طالما تفتوا بان الانسان متطور عن القرد بلا شك ولا ريب ، وان العلماء في امريكا وجدوا الحلقة المفقودة . . وهذا رئيس المجمع العلمي الامريكي يصرح في ثقة واطمئنان ، ان البحث عن الحلقة المفقودة اصبح من العبث ، وان مشابهة القرد للانسان في تكوينه الجسمي لا تقتضي ابدا ان الانسان متطور عن القرد او بالعكس. ولو كانوا يعقلون لعلموا ان امتياز الانسان وفضله وشرفه على القردة وسائر الحيوان لم يجيء من تشابه الاجسام او تباينها . وانما جاء من العقل الذي خص الله به البشر والنطق الذي ميزهم به . وقد شاهدت انواع القردة في الهند ، فمنها ما يزيد جسمه على جسم كثير من الرجال في الضخامة والقوة ، ومنها صغار الاجسام ، ومنها سود الوجوه كانها الغربان ، وكلها تخاف من الكلاب . وفي مدينة لكناو جسر عنده صنم تجتمع عنده القردة ليلا ونهارا لتنال من الصدقات والنذور التي تقدم لذلك الصنم ، فاذا رات خادما يحمل اناء مما يسمى « بالمطبقيات » وبالفارسية (سفرطاس) (اي طاسة السفر) وهي اوان متصل بعضها ببعض لها علاقة يحمل فيها الطعام ، تهجم القردة على ذلك الخادم وتنتزع منه ما في يده ، فاذا كان متسلحا بعصا لا تتجرأ عليه وان كانت تعد بالعشرات ، مع ان واحدا منها اقوى جسما من ذلك الخادم او كان عنده عقل يعرف به كيف يستغل قوته. ولقد صدق الله العظيم في قوله « ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .



النظام الجديد للتعليم والتربية

للاستاذ : ابي الاعلى المودودي

- 3 -

المرحلة الثانوية :

ولناخذ بالبحث الآن منهاج التعليم فى المدارس الثانوية . فاول ما اراه مهما فى هذه المرحلة للتعليم هو ان يجعل تعليم اللغة العربية فى هذه المدارس الزاميا ، لان المصادر الاولى للشريعة الاسلامية كلها باللغة العربية ، فالقرآن باللغة العربية والحديث باللغة العربية وكل ما قام الفقهاء والعلماء فى القرون الاولى باستنباطه وجمعه وترتيبه من مسائل الشريعة هو باللغة العربية ، كما ان المصادر الاولى للسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي هي ايضا باللغة العربية . ولهذا فانه من المحال قطعا أن يكون المرء على المام بروح الاسلام او يكون الاسلام لحمة فكره وسداه ما دام هو لا يقرأ القرآن والحديث والفقه والسيرة والتاريخ بلغتها مباشرة . ان التراجم وحدها لا تسمن ولا تغني من جوع فى هذا الشان . ونحن وان كنا نريد ان تنتشر التراجم ايضا حتى يتمكن العامة عن طريقها من معرفة احكام الشريعة ، ولكن من الواجب بالنسبة لكل من يعد مثقفا عندنا ان يكون يعرف اللغة العربية ، ولهذا فاننا نحب ان لا يتخرج اي طالب فى مدارسنا الثانوية الا ويكون له من الالمام باللغة العربية ما يؤهله لقراءة وفهم العبارات العربية البسيطة على الاقل .

والمادة الثانية التي لابد من دراستها فى مدارسنا الثانوية هي القرآن . ان اقل ما يجب بالنسبة لكل طالب متخرج فى هذه المدارس ان يكون قد قرا جزئين من القرآن الكريم مع فهمهما فهما صحيحا . ومن الممكن ضنا بالوقت ان يكون تدريس اللغة العربية فى الصفوف الاخيرة لهذه المدارس عن طريق تعليم القرآن الكريم .

والمادة الثالثة اللازمة التي يجب ان لا يخلو من دراستها التعليم فى مدارسنا الثانوية هي العقائد الاسلامية ، ففي هذه المادة لا يعرف الطالب بتفصيل الايمان فحسب ، بل يجب ان يعرف كذلك بما عندنا من البراهين على صحة هذه العقائد ولماذا يحتاج اليها الانسان ومالها من العلاقة بحياته العملية وماذا يترتب على الحياة الانسانية العامة من الآثار للاعتراف أو عدم الاعتراف بها ، وما هي مقتضيات الايمان بها فى الاخلاق والاعمال فكل هذه امور يجب ارساخها فى ذهن الطالب بصدد تدريسه هذه المادة ، حتى لا يتقبل العقائد الاسلامية على اعتبار انها عقائد قد ورثها عن آبائه بل على اعتبار انها الحق وانها من رايه هو نفسه . وجنبا الى جنب تعليم العقائد الاسلامية يجب ان يكون تعليم الاخلاق الاسلامية فى مدارسنا الثانوية بشرح وتفصيل اكثر منه فى المدارس الابتدائية حتى يتعرف الطالب فى هذه المرحلة من تعليمه بكل ما يتعلق بحياته الشخصية او العائلية او الاجتماعية او معاملاته المالية من احكام الاسلام ، على ان ليس من اللازم ان يكون يعرف هذه المسائل بجملة تفاصيلها وادلتها كما يعرفها المفتي والعالم ولكن من اللازم ان تكون معلوماته عنها كافية حيث يستطيع ان يقضي بها حياته كما يامر به الاسلام لا كما يقضيها اكثر شبابنا اليوم جاهلين كل الجهل باحكام الاسلام فى النكاح والطلاق والرضاعة والوراثة و ... فيقعون لجهلهم هذا فى اخطاء فاحشة كثيرة تسبب لهم اعصب ما يكون من المشكلات القانونية .

اما بالنسبة لمادة التاريخ ، فاننا نرى من اللازم ان يدرس الطلاب فى مدارسنا الثانوية تاريخ الاسلام مع تاريخ وطنهم ، بدلا من تاريخ بلاد الانكليز ، الذي لا يزال المساكين يدرسونه حتى اليوم . يجب ان يكونوا على معرفة بتاريخ الانبياء حتى يعرفوا ان الاسلام حركة قائمة فى الدنيا منذ خلق فيها الانسان وما هو بحركة انما قامت فى القرن السابع للميلاد ، كما انه من الضروري ان يكونوا على معرفة بسيرة الرسول

صلوات الله عليه وسلامه وسيرة الخلفاء الراشدين حتى يتعرفوا بهذه الشخصيات المثالية التي هـــي بالنسبة للمسلمين على أعلى درجة من الانسانية ، كما يجب ــ مع هذا ــ ان يقفوا على صورة مجملة لتاريخ الاسلام والمسلمين منذ عهد الخلافة الراشدة الى هذا اليوم حتى يعرفوا المراحل التي اجتازتها الامةالاسلامية قبل ان تدخل فى الدور الحاضر . ان هذه المعلومات عن تاريخ الاسلام والمسلمين فى غاية من اللزوم بالنسبة للطلاب فى مدارسنا الثانوية ، لان أي امة اذا كان شبانها لا يعرفون ماضيهم، فمن المحال ان يوجد فيهم نوع من الاحترام لحضارتهم الإجتماعية .

ومع هذا التعليم ، فاننا نريد ان يعطى الاهتمام فى مدارسنا الثانوية لتربية الطلاب تربية عملية ، فلا يكون فى مدارسنا ــ مثلا ــ طالب غير محافظ علـى الصلاة . ومن الواجب ان تكون بين الطلاب فى مدارسنا رأيا عاما يجعلهم لا يحتملون فيهم طالبا غير محافظ على الصلاة ، كما ان علينا ان لا نحتمل وجوده فى المدرسة بموجب الضابطة والقانون ايضا . وذلك ان الصلاة هي الاساس الذي تقوم عليه الحياة الاسلامية ، فاذا انهار هذا الاساس ، لا تقوم للحياة الاسلامية قائمة ابدا . وان لكم ان تفكروا فى هذه القضية من ناحية اخرى هي انكم تبينون للطالب فى جانب ان الصلاة فريضة من الله تعالى على عباده ولكنكم من ناحية اخرى تلقون فى روعه بسلوككم العملي ان لا باس اذا لم يؤدها على رغم علمه وايمانه بكونها فريضة من الله على عباده . فمعنى هذا ــ بكلمات اخرى ــ انكم تدربونه كل يوم على النفاق والفرار من القيام بالواجب . فهل ترجون منه بعد ما يتخرج من المدرسة : وقد تلقى منكم هذه التربية ، ان يكون عاملا نافعا للمجتمع ومواطنا صالحا للدولة ؟ انه ما دام قد تمرن على السرقة من اكبر واجباته وافرض فرائضه ــ الصلاة ــ لا يصعب عليه ابدا ان يسرق من كل واجب آخر سواء أكان يتعلق بالمجتمع او الدولة او الانسانية ، وما لكم ــ عندئذ ــ ان تلوموه بل عليكم ان تلوموا ذلك النظام للتعليم والتربية الذي احتضنه منذ اول يومه وعلمه ان الواجب ، مهما كان جسيما ، يمكن تركه والفرار عنه رغم علم الانسان بكونه واجبا . انه ليس لكم بعد ان قد ربيتموه على المكيدة والغش والغدر والتزوير ، ان ترجوا منه الوفاء والاخلاص والنصح لامته او دولته وغيرهما . واي فائدة من ابداء القول واعادته فى بيان الافكار العالية والاوصاف المثالية اثناء منهاج الدراسة اذا لم تحاولوا فعلا ان تقيموا سيرة الطلاب وتهذبوا اخلاقهم وتشذبوا عاداتهم حسب هذه الافكار والاوصاف المثالية ؟ انه مما لا مجال فيه للريب ان المرء اذا كان يضمر فى نفسه آراء عالية ولكنه يعمل بخلافها فى حياته العملية ، فلابد ان يزحزح ذلك اصول سيرته من قلبه ؛ ومن الظاهر ــ كذلك ــ ان من كان ضعيفا فى سيرته نخرا فى اخلاقه ، فانه لا يقدر ابدا ان يقوم بخدمة للانسانية او الدولة تذكر بمجرد الاعتماد على كفاءاته العلمية والفكرية . فالواجب ان نعمل فى المرحلة الثانوية للتعليم ــ فى تلك المرحلة من الحياة ، التي يدخل فيها الانسان من الطفولة الىحدود الشباب ــ جاهدين على تنشئة كل طالب على الاخلاق الاسلامية القوية وتعليمه ان يجعل عمله موافقا لعلمه ويتبع كل ما يراه حقا ويؤدي كل ما يراه واجبا ويميل الى كل ما يراه خيرا ويجتنب كل ما يراه شرا .

اما عامة مواد الدراسة فى المدارس الثانوية ، فلا باس ان تبقى جارية فى مجراها المالوف ، ولكن لابد ان تؤلف لها الكتب من جديد على ضوء الفكرة الاسلامية مع ايضاح ما وراء كل مادة منها من السياق التاريخي.

التعليم التالــــي :

ولناخذ بالبحث الآن التعليم العالي . وعندي ان هذه المرحلة يجب ان يكون فيها للتعليم الاسلامـــي منهاجان : منهاج عام يدرسه كل طالب او طالبة فى أي شعبة من شعب العلم كان ، ومنهاج خاص يدرسه كل طالب او طالبة على حسب ما يتفق معشعبته الخاصة.

اما المنهاج العام ، فيكون شاملا للمواد الثـــلاث الآتية :

1 ــ القرآن : يدرسه كل طالب او طالبة بطريق يعرفه من جانب بتعاليم القرآن ويرقى فيه من جانب آخر معرفته باللغة العربية حتى يتمكن بذلك مـــن قراءة القرآن الحكيم بدون الترجمة .

2 ــ مجموعة مختصرة للحديث : يجمع فيها من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوضح مبادىء الاسلام الاساسية وتعاليمه الخلقية والنواحي المهمةمن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . وينبغـــي ان تدرس هذه المجموعة ايضا بدون الترجمة حتى تترقى بها معرفة الطالب باللغة العربية مع دراسته لاحكام الدين .

3 ـ صورة اجمالية لنظام الحياة فى الاسلام : يكون فيها بيان واضح لما فى الاسلام من الاسس للعقائد والعبادات والاخلاق والمعاملات المالية والاجتماعية والسياسية والصلح والسلم والحرب وما اليها ، حتى يكون شباننا المثقفون يعرفون دينهم معرفة جيدة ولا يعملوا فى اي شعبة من شعب الحياة ينخرطون بها بعد فراغهم من التعليم الا محافظين على روح الاسلام ومبادئه واحكامه .

اما المنهاج الخاص الذي يدرسه طلبة كل مادة من مواد الدراسة على ضوء التصورات الاسلامية مع مالها من ورائها من السياق التاريخي ، فيكون خاصا بطلبة تلك المادة ، فالطلبة الذين يدرسون الفلسفة مثلا، فانهم يدرسون الفلسفة الاسلامية مع النظم الفلسفية الاخرى ، ولكن مما يجب ملاحظته بصفة خاصة فى هذا الصدد ، أن ليس المراد بالفلسفة الاسلامية تلك الفلسفة التي اخذها الفلاسفة المسلمون من ارسطو وافلاطون وفلاطينوس ومن لف لفهم من الفلاسفة اليونان ثم عملوا على ترقيتهم على نفس ما كان لها من الخطوط ، كما ان ليس المراد بها علم الكلام الذي رتبها المتكلمون المسلمون على تأثر منهم بمنطق اليونان وفلسفتهم لغرض أن يبينوا الحقائق الاسلامية بلغة المنطق على ضوء الافكار والنظريات الفلسفية السائدة فى زمانهم . لاشك ان لكل من هاتين المادتين ـ الفلسفة وعلم الكلام اللتين عنى بهما الفلاسفة والمتكلمون المسلمون فى الماضي ـ قيمتها وقدرها من الناحية التاريخية ، ولا بأس بتدريسها اليوم ، ولكن على اعتبار انها باب من اهم ابواب الفلسفة ما زال الكتاب فى الغرب يقطعون عنها النظر عامة ليوهموا الطلاب ان كل ما تم من العمل فى حقل العلوم العقلية منذ الفلاسفة اليونان القدماء الى يومنا هذا ، انما تم على ايدي اهل اوربة ، ولكن ما كان عمل الفلاسفة والمتكلمين المسلمين هذا « بفلسفة اسلامية » ولا ينبغي ان تدرسها لطلبة اليوم فى كلياتنا بهذا الاسم ، والا فان ذلك سيسبب اغلوطة فاحشة بل ضلالة مبينة فى اذهان الطلبة .

اما الفلسفة الاسلامية ، فهي فى حقيقة الامر غير موجودة اليوم على صورة مرتبة ، والحاجة ماسة الى ان نعني بترتيبها من جديد باقتباس اسسها من القرآن الكريم . فالقرآن يبين لنا فى جانب ما للعلم والعقل الانساني من حدود ، وفى الجانب الآخر يرشدنا الى الطريق الصحيح للبحث عن الحقيقة المستترة وراء المحسوسات ، وفى الجانب الثالث يوضح لنا طريقا للاستدلال غير معقد وموافقا للعقل الانساني العام تاركا طريق المنطق الناقص للاستدلال ، ومع كل هذا فانه يقدم لنا نظرية متكاملة للكون والانسان فيها جواب عن كل ما يتولد فى الذهن الانساني من الاسئلة حول الكون ومنزلة الانسان فيه . من الممكن ان ارتب على هذه الاسس الموجودة فى القرآن فنا جديدا للاستدلال وطريقا جديدا للتفلسف وفلسفة جديدة لما بعد الطبيعة، وفلسفة جديدة للاخلاق وطريقا جديدا لعلم النفس . فالحاجة شديدة الى ان ترتب الفلسفة الاسلامية الخالصة على هذه الاسس حتى لا يبقى طلبة الفلسفة عندنا تائهين فى معامي الفلسفة القديمة والجديدة ، بل يجدوا سبيلا الى الخروج منها ويتأهلوا لان يقدموا للدنيا نورا جديدا يرشدهم الى طريق الامن والطمانينة والنجاة والسلام .

وعلى غرار هذا فان الطلبة الذين يدرسون التاريخ ، سوف يدرسون تاريخ الاسلام مع دراستهم لتاريخ مختلف بلاد العالم ، ويعرفون بما للاسلام من الفلسفة للتاريخ مع دراستهم للنظريات الاخرى لفلسفة التاريخ . وهاتان المادتان ـ التاريخ الاسلامي وفلسفة الاسلام للتاريخ ـ ايضا تحتاجان الى الشرح والبيان ، والا فاني اخاف ان لا يتضح لكم ما اقصده بهما لما يوجد اليوم حولهما من الاغلوطات والمفاهيم الخاطئة . اما التاريخ الاسلامي ، فيعبر به عامة عن تاريخ ملوك المسلمين او شعوبهم المختلفة او عن تاريخ حضارتهم وعلومهم وآدابهم ، كما ان الطالب لا يكاد يسمع بفلسفة الاسلام للتاريخ الا ويلتفت بذهنه الى فلسفة ابن خلدون للتاريخ . واني لا انكر ما لهذا التاريخ وهذه الفلسفة للتاريخ من اهمية بالغة بوجهة نظر علم التاريخ ولا ادعو الى الغاء تدريسهما ، وانما الذي اريد بيانه هنا ان ليس « تاريخ الاسلام » و « تاريخ المسلمين » بشيء واحد ، وانه لا علاقة لفلسفة ابن خلدون بفلسفة الاسلام للتاريخ . وفى الحقيقة ان « التاريخ الاسلامي» انما هو عبارة عن ان يستعرض لاثرات الاسلام التي ترتبت خلال التاريخ على الامم الداخلة فى الاسلام وعلومها وآدابها واخلاقها وحضارتها وسياستها وبالجملة على كل شان من شؤون حياتها ، وان ينظر ـ مع هذا ـ كيف ظلت تمتزج بهذه الاثرات الاسلامية

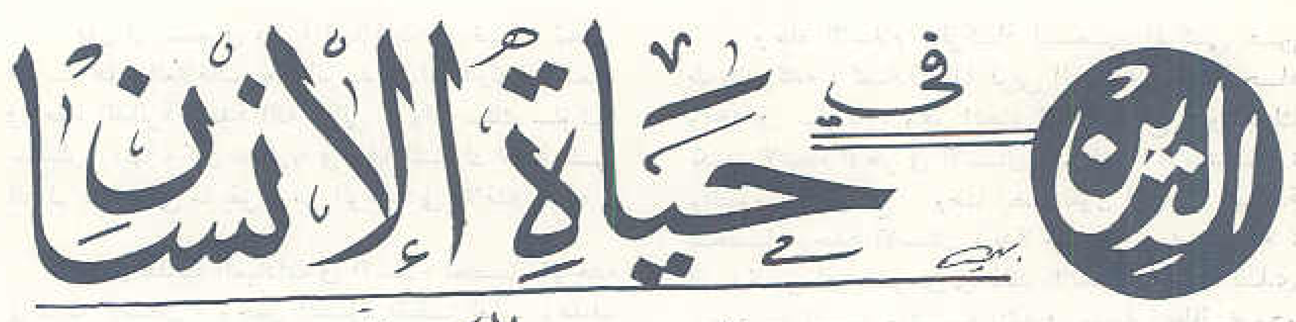
الاثرات الاخرى غير الاسلامية وما ظهر فيها من النتائج بهذا الامتزاج . وكذلك انما المراد بفلسفة الاسلام للتاريخ في حقيقة الامر هو فلسفة القرآن للتاريخ ، التي يزودنا القرآن فيها بوجهة خاصة للنظر في التاريخ الانساني ويرشدنا فيها الى اسلوب خاص لاستخراج النتائج من الوقائع التاريخية ، ويفصل لنا فيها الاسباب لصلاح الامم وفسادها . ومن دواعي الاسف انه كما لم يؤلف حتى اليوم كتاب في الفلسفة الاسلامية كذلك لم يؤلف حتى اليوم كتاب في التاريخ الاسلامي وفلسفة الاسلام للتاريخ يمكن ان يقرر للتدريس في الكليات فالحاجة شديدة الى ان نسرع الى تاليف الكتب في هذين الموضوعين حتى نسد بها ذلك الفراغ الذي يوجد اليوم في دراسة التاريخ بدونهما

اما بشأن العلوم العمرانية ، فان للاسلام في كل واحد منها وجهة خاصة للنظر ومباديء مستقلة ، فمن الواجب ان يعرف الطلاب - مع دراستهم لهذه العلوم - بما للاسلام من التعاليم والتوجيهات في كل علم من هذه العلوم ، كمبادئه في الاقتصاد مع دراستهم للاقتصاد ونظريته ونظامه للسياسة مع دراستهم للعلوم السياسية ، وهكذا . واما العلوم الفنية كالهندسة والطب والشعب المختلفة للعلوم التجريبية ، فلا يتعرض لها الاسلام ، فلا حاجة لنا فيها الى هذا المنهاج الخاص ، وانما يكفي فيها ذلك المنهاج العام او التربية الخلقية العامة التي قد ذكرناها آنفا .

(يتبع)

قال الحسن البصري

الدنيا حلم والآخرة يقظة ، والموت متوسط بينهما ونحن في اضغاث احلام . . من حاسب نفسه ربح ومن غفل خسر ، ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ، ومن خاف سلم ، ومن اعتبر ابصر ، ومن ابصر فهم ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فاذا زللت فارجع ، واذا ندمت فاقلع ، واذا جهلت فاسأل ، واذا غضبت فامسك .



للدكتور محمد البهي

- 2 -

فضل الاسلام كدين :

فاذا انتقل الحديث بعد ذلك من الدين عامة الى الاسلام ، فضرورة الدين فى حياة الانسان ستكون اشد واقوى .

اذ الاسلام — كما يعرف من القرآن والسنة الصحيحة — يتضمن العقيدة والايمان ، كما يتضمن التشريع ، للتهذيب والمعاملات .

وكل هذه الانواع ليس بعضها متولدا عن بعض ، يصنعه الانسان ، وانما كلها وحي منزل ، وكلها مجتمعة تهدف الى غاية واحدة : الى «التوازن» الى الاستقامة : الى « الاعتدال » .

1) فى العقيدة :

فعقيدة التوحيد هي المثل للتوازن ، والاستقامة، والاعتدال : اذ كون المعبود واحدا ، كعقيدة ، يوحي بان الوحدة منشودة ، وهي الغاية الاخيرة فى الاسلام ، وفى هذا يقول الشيخ محمد عبده :

« اما اعتقاد الجميع باله واحد فهو توحيد لمنازع النفوس الى سلطان واحد ، يخضع الجميع لحكمه . وفى ذلك نظام اخوتهم ، وقاعدة سعادتهم ، واليها مآلهم فيما اعتقدوا وان طال الزمن (1) .

أ) وهي بدورها توحي بالوحدة فى ذات الانسان .

ب) وبالوحدة فى علاقة الانسان بالانسان : فى الاسرة ، والمجتمع ، وفى مجتمع اسلامي مع مجتمع آخر .

وللوحدة فى ذلك الانسان منهج مرسوم . وتشريع التهذيب او العبادات هو سبيل وحدة الانسان . وللوحدة فى العلاقات بين الافراد والمجتمعات نهج مرسوم كذلك . وتشريع المعاملات هو سبيل وحدة العلاقات .

يقول الله لرسوله الكريم : « قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا احد » ومعنى ذلك : الله المعبود واحد ، وهو الرب والسيد ، ووحدته وحدة خالصة ، فلم يأت عن طريق غيره (فلم يولد) ولم يكن غير عنه يشبهه ، (فلم يولد) ولذا فليس هناك معادل له فى الوجود (فلم يكن له كفوًا احد) .

وبهذه الصورة القصيرة تحددت وحدانية الله ، وبالوحدانية الخالصة عن المثل والشبه — ثم لان المعبود هو من يتجه اليه الانسان فى حياته — كانت هذه الوحدة الخالصة هي غاية الانسان فى سعيه فى الحياة وفى سلوكه فيها .

على الانسان اذن ان يحمل نفسه على الوحدة ، وعليه ان يسلك طبقا لهذه الوحدة التي تحققت بسعيه . فان لم يسع نحو هذه الوحدة ، لم يدرك فى عبادته وحدة الله جل شانه . وان سلك سلوكا متضاربا فى حياته ، كان تضاربه فى سلوكه امارة على انه لم يحقق الوحدة فى نفسه .

وكذلك الشان فى علاقته بغيره . عليه ان يسعى لتقريب الاثنينية بين نفسه وغيره ، الى وحدة ، او الى ما يقرب من الوحدة على سبيل الحقيقة . وكذلك سلوكه مع غيره يجب ان ينبيء عن هذا التقريب بين اثنينية نفسية مع غيره .

---

1) رسالة التوحيد ص 51

فان لم يسع في دائرة العلاقات مع غيره ، نحو تقريب هذه العلاقات نحو الوحدة ، لم يدرك في سعيه في هذه الدائرة وحدة الله تعالى . وان سلك سلوكا متضاربا فيها ، كان تضاربه في هذا السلوك امارة على انه لم يصل الى ما يقرب من الوحدة في علاقته بغيره .

واذن هدف العبادات في الاسلام تحصيل الوحدة في ذات الانسان ، وجعل السلوك طبقا لها . وهدف المعاملات في الاسلام محاولة تقريب العلاقات بين « الاثنين » الى وحدة ، وتكوين السلوك وفقا لهذا التقريب .

2) في العبادات :

والانسان بحكم تكوينه موزع بين امرين متقابلين. وهو لذلك له اتجاهان في الحياة : احد هذين الاتجاهين يصدر عن النفس الامارة بالسوء ، والاتجاه الثاني يصدر عن النفس المطمئنة . اما النفس الامارة بالسوء فهي التي تميل بالانسان الى ان يكون صاحب غرض وهوى ، وصاحب شهوة خاصة ، واما النفس الاخرى – المطمئنة – فهي التي تميل بالانسان الى ان يكون صاحب « عدل » وتوازن واستقامة . وجاء الاسلام بالعبادات : جاء بالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، كي يكون الانسان صاحب اتجاه واحد ، كي يكون صاحب نفس مطمئنة راضية ، كي يكون صاحب توازن ، وعدل واستقامة .

جاء الاسلام بالصلاة – وهي ان يتجه الانسان في خشوع نحو الله ونحو جلاله ، وان يناجي هذا الجلال بقوله : الله اكبر – ليحصل في الانسان قيمة الوجود كله . وقيمته عندئذ : ان شيئا واحدا فيه كله له العظمة والجلال ، وان ما عداه تضمحل قيمته وتتضاءل ، فاذا ثبتت هذه القيمة في نفس المصلي كانت نفسه نفسا مطمئنة ، لانه يستبعد من المصلي ، بعد ان يدرك هذه القيمة ، ان تميل نفسه وتحرضه على تحصيل شيء في الوجود دون الله ، وليست النفس الامارة بالسوء الا تلك النفس التي تخضع الانسان الى غير الله في الوجود ، وهي لا تفترق عندئذ عن الشيطان في الهدف والغاية .

واذن الصلاة عبادة قصد بها ان تكون نفس المصلي نفسا مطمئنة ، قصد بها ان يكون الانسان صاحب اتجاه واحد ، وعندئذ تتحقق وحدة الانسان ، ويرتفع فوق التردد بين النفسين .

وجاء الاسلام بالزكاة ليسعى المزكي عن طريق زكاته ، كعبادة فيها قربى الى الله ، نحو اتجاه واحد في سلوكه ، وهو اتجاه المعطي المانع ، وبذلك يكبت الاتجاه الآخر في الانسان وهو اتجاه الاستيلاء ، والطمع ، والجشع . وهنا ايضا تكون الزكاة عبادة لتحصيل وحدة الانسان ، بدلا من توزيعه وتردده ، او بدلا من ان يتردى في ذلك الاتجاه الآخر ، الذي يبعده عن السمو والتشبه بالله في منحه وعطائه وهو اتجاه التردي في الطمع والجشع .

وجاء الاسلام بالصوم . والصوم ليس فقط تقربا لجلال الله والامتثال له ، وليس فقط متضمنا ايضا عدم الحرص على الاستيلاء والاخذ ، لانه يقوم على الامساك والترك – وهو ليس فقط هذا او ذاك وانما هو كبت لذات الانسان ، وحرمان لهذه الذات ، طواعية لامتثال امر الله ، والحرمان فيه اكثر من المنح والعطاء ، كما في الزكاة ، لان المانح والمعطي لا يستلزم ان يحرم ذاته ، ولكن اذا حرم ذاته تجاوز عندئذ حد المانح المعطي .

واذن عبادة الصوم فيها امتثال لله ، وذلك اقرار بوجوده وبقيمته في الوجود ، وفيها اكثر من المنح والاعطاء ، فيها المقابل للاستيلاء وهو الحرمان ، والاستيلاء اخذ ، والحرمان ترك ، والصوم لذلك خطوة اخرى في طريق توجيه الانسان وسعيه نحو وحدة ذاته ، نحو تحصيل النفس المطمئنة ، التي لا تخضع لما عدا السمو ، والتشبه بالله .

وجاء الاسلام بالحج ، وفي الحج عود بالانسان الى حالته الطبيعية ، فيه ترك ، ومنح معا ، فيه ترك للمظاهر الزائدة على الطبيعة الانسانية . وفيه منح عن طريق الاضحية . وبذلك تصب عبادة الحج في نفس الغاية التي تهدف اليها عبادات : الصلاة والزكاة والصوم .

فاذا تحقق للانسان اتجاه واحد ، كان سلوكه سلوكا متزنا مستقيما ، معتدلا لانه لايتارجح عندئذ بين شيئين متقابلين . لايلبس اليوم وجها ، وغدا وجها آخر ، فهو مستقيم اذن ، ولا يفضل اليوم هذا ويفضل نقيضه غدا ، فهو متزن اذن ، ولا يخضع الآن يمنة ثم في آونة اخرى يجنح يسرة ، فهو معتدل اذن ، واعتداله واتزانه واستقامته ، تدل على انه اصبح واحدا ، وبذلك تأثر في حياته بعبادة الله الواحد . وامارة الاعتدال،

والاتزان ، والاستقامة في السلوك والتصرف ، ان يكون مصداقا لقوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

فاذا سار الانسان في سلوكه وفق وصايا هذه الآية القرآنية ، فانه لاشك يكون معتدلا ، ومتزنا ، ومستقيما .

فاذا سعى الانسان في حياته لاخذ نصيبه من الدنيا ــ لا لأخذ الدنيا كلها ــ وفي الوقت نفسه قصد وجه الله فيما حصله من الدنيا ، فأحسن الى غيره كما احسن الله اليه ، ولم يقصد الى العبث والفساد فيما تفضل الله به عليه ، كان معتدلا ، ومتزنا ، ومستقيما ، لم يتواكل ، فحصل حظه من نعم الحياة ، ولم يفتر ويفرح بما خصه من هذه النعم ، فلم يتخذ هذه النعم وسيلة للعبث في حياته الخاصة وحياة جماعته العامة ، لم يرتكب اثما ولا محرما ، لم ينتهك عرضا ولا حرمة لغيره عن طريق هذه النعم ، ثم مع ذلك لم يحرم من هذه النعمة مستحقا آخر فيها ، لم يحرم ذا قرابة ، وذا جوار ، وذا متربة ، وصاحب حاجة ــ انه عندئذ متزن في تصرفه ، ومعتدل في سلوكه ، ومستقيم في اتباعه طريق الله ووصاياه .

3) في المعاملات :

والانسان مع انسان آخر ، بمثابة الانسان الفرد المتردد بين اتجاهين متقابلين : اتجاه النفس المطمئنة واتجاه النفس الأمارة بالسوء . فكذلك الانسان مع الانسان . هذا له اتجاه ، وذلك اتجاه آخر . هذا له عادات وآمال ، وذلك له عادات وآمال ، هذا نشأ نشأة خاصة ، وذاك نشأ نشأة مغايرة . فاذا كثر عدد افراد الناس تعددت وجوه المغايرة بينها ، وكثرت ضروب المفارقة والمقابلة .

الجماعة العامة :

وعلى نحو ما اراد الاسلام للانسان الفرد من وحدة اتجاه في سعيه وسلوكه ــ اراد للكثرة العديدة من الناس ، وهي الجماعة ، نفس الغاية ، ونفس السبيل ، اراد لها ان تكون امة واحدة ، وان يكون سعيها لذات الهدف او الغاية ، وهي ان تكون امة واحدة ، وما شرع باسم المعاملات هو السبيل لتحقيق هذا الهدف .

ان وحدة الجماعة والامة لا تتوقف ــ فحسب ــ على الاسباب التي تحيط بافرادها بحكم البيئة ، او الموطن ، او امكانيات العيش ، بل لابد في تحقيق وجود اية جماعة ، وجودا قويا ظاهرا ، من وحدة الغاية والهدف . لان وحدة الغاية والهدف هي المركز الذي يتجمع الافراد حوله ، ويتكتلون من اجله ، وتشتد الروابط بينهم بسببه ، وتصير هذه الروابط الى اخوة في النفس والروح ، بعد التقاء على الفكرة والمبدأ .

والقرآن الكريم ، فيما أوصى به من اخلاق للجماعة ، لم يوص الا بعد ان حدد الغاية للجماعة التي يريدها ، والتي عمل على تكوينها ، ووصاياه هنا بعد ذلك هي وصايا لحفظ توازن هذه الجماعة ، وبالتالي لحفظ علاقات الافراد فيها من التفكك والتلاشي .

والغاية التي حددها القرآن لجماعته هي عبادة الله وحده ، يقول الله جل شأنه في كتابه الكريم : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » ويقول : « قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين » ويقول : « ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شيء ، فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » . ويقول : « ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

والاسلام اذ يحدد غاية الجماعة بعبادة الله وحده ، يدفع افرادها الى الشعور بالكرامة والسير في الحياة دون عائق من اوهام الوثنية في اية صورة من صورها ، والشعور بالكرامة والانطلاق في الحياة من قيود الخرافة والشعوذة ، واقتحام الصعاب فيها ، دون انتظار لوضع خاص لكوكب من الكواكب كما كانت عادة العرب قبل الاسلام ، ودون اذن وصي او سيد ، كما هي عادة العبيد الأرقاء ، كل هذا مظهر لعبادة الله وحده.

واصحاب هذا الشعور ، أولئك الذين انطلقت نفوسهم من قيود الخرافة والشعوذة والوثنية في صورها المختلفة ــ من عبادة الاحجار الى عبادة الاشخاص ــ يضيفون الى قوتهم ، كأصحاب سعي وحركة ، قوة توجيه ويقظة . وهم ، لهذا وذاك ، لا بد أن ينجحوا اذا كافحوا ، ولا بد ان ينتصروا اذا خاصموا .

ولكي لا يدخل عامل يضعف علاقات هذه الافراد في الجماعة ، فتتجه نظرتهم الى هذه العلاقات ، بعد أن ارتفعت نظرتهم جميعا الى الله وحده سبحانه ، وكذلك يتجه كفاحهم الى صلات بعضهم ببعض ، بعد ان تركزت فيما وراء اشخاصهم وذواتهم ــ لأجل هذا

أوصى القرآن الكريم بما يحفظ قوة هذه العلاقات ، وبما يديم نظرة الافراد الى الله وبما يوجه كفاحهم لصالح أنفسهم ، كجماعة تريد السيادة لأجيالها المتتابعة جيلا بعد جيل .

اولا : أوصى القرآن باحتفاظ الجماعة بسيادتها . وذلك بان لا يكون لافرادها ولاء لغير بعضهم بعضا ، أي لا يكون للدخيل بينهم طاعة عليهم ، ولا يرقى هذا الدخيل فى نفوسهم الى درجة أن تكون له وصاية ، او الى ان يعد مرجعا فى ابرام شؤونهم ، يقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم . »

فعلل الله سبحانه وتعالى تفضيل ولاية المؤمنين بعضهم على بعض — وبالتالي ابعاد ولاية الاجنبي عليهم — بالاشتراك فى خصائص وصفات هي مقومات الجماعة الاسلامية بالاشتراك فى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله . وولاية اجنبي عليهم ستذهب بهذه الخصائص ، وبالتالي ستذهب بشخصية الجماعة الاسلامية ، فيومئذ لايكون لها وجود ، كجماعة اسلامية . وان هذا الاجنبي الذي يتولى امرها لا يشاركهم فى هذه الخصائص . ولذا لا يقرها وربما يعاديها ويعمل على افنائها .

يوصي القرآن بذلك لانه ان قبلت ولاية الاجنبي ووصايته ، ابتعدت الجماعة عن الهدف والغاية التي اجتمعت حولها من قبل ، واصبحت افرادا فقط مختلفي النزعة والغرض ، لاجامع يجمعهم ولا رابط يؤكد الصلات بينهم .

ثانيا : اوصى القرآن كذلك — بعد احاطة الجماعة الاسلامية بهذا السور الخارجي ، وهو ابعاد ولاية الاجنبي عليهم — باتباع سبيل «العدل» فى الحكم بين الناس ، فيقول : « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل . »

يوصي القرآن بالعدل فى القضاء والفصل بين الناس ، لانه اساس الاطمئنان بين الافراد على انهم سواء فى ظل الجماعة ، وان الجماعة لذلك ليست حزبا تفصل بين فريق موال وفريق مخاصم ، بل هي رعاية عامة وهذا الاطمئنان بالمساواة فى العدل يوحي بدوره الى تمسك الافراد بجماعتهم والى الكفاح فى سبيل بقائها والى مؤازرة ضد عدوها الخارجي .

ثالثا : اوصى القرآن بالتريث فى قبول الاخبار المفرضة ، وفحص شائعات السوء . يقول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

اوصى القرآن بذلك للابقاء على العلاقات سليمة صافية . فان سرعة التصديق للاخبار والشائعات المفرضة ، سواء ما يتصل بفرد وفرد ، او باسرة واسرة ، او فيما يتصل بالافراد والحكومة ، لاتقف عند حد تمزيق وحدة الجماعة ، بل من شأن هذه السرعة ان تثير فتنة قد تنتهي بخصومة عنيفة بين ابناء الجماعة . وبذلك تتحول الجماعة الى طوائف متباينة القصد والسعي . وعندئذ تصير الى فنائها ، كجماعة.

رابعا : اوصى بعدم استغلال الضعيف : اوصى بعدم استغلال اليتيم ، ومن على شاكلته ، كالأجير ، والخادم ممن عليه رياسة بوجه ما . يقول الله تعالى : « وآتوا اليتامى اموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ، انه كان حوبا كبيرا » .

ولفظ الآية وان كان نصا فى طلب تسليم اموال اليتامى — وهم القصر — اليهم بعد بلوغ الرشد ، بدون مماطلة . لكنه يتجاوز ذلك الى طلب الحقوق لاصحابها ، الذين لهم وضع يشبه وضع اليتيم من الوصي عليه . فصاحب الرياسة مطالب بتسليم حقوق عماله اليهم ، ورب الاسرة مطالب بتسليم حقوق زوجته واولاده اليهم . وهكذا . ثم يصف سبحانه وتعالى امساك تسليم الحقوق الى اصحابها الضعاف باستبدال الخبيث بالطيب اي بترك الطيب واخذ الخبيث بدلا عنه ، ثم يصفه كذلك بانه اكل ، ثم بانه ظلم ، ثم بانه ظلم غير عادي ، بل هو ظلم كبير .

اوصى القرآن بذلك ، لان استغلال القوي للضعيف يدل على ان الجماعة التي جمعتهما ، جمعت القوي والضعيف على هذا الوضع ، ليست الا وسيلة لتحقيق الاغراض الخاصة وليست رعاية عامة لحقوق كل فرد منها . وانما وجدت الجماعة للترابط فى وحدة واحدة ، والتعلق بهدف واحد ، والاحتكام الى ميزان واحد : هو العدل والتوازن .

خامسا : أوصى الاسلام بتقريب الفروق بين الافراد ، حتى لايشعر الفقير بحرمانه ولا المريض بعجزه ، ولا الجاهل بحمقه وسوء تصرفه ، ولا الصغير بضعفه وحداثة عهده ، ولا الشيخ بوهن شيخوخته .

(يتبـــــــع)

وثيقة خطيرة
حول تسابق الاسلام والنصرانية بافريقيا

للاستاذ المهدي الصقلي الحسيني

نشرت مجلة كونستيلاسيون Constellation في عدد ابريل 1961 رقم 4 الخاص بالطب مقالا بقلم بيير اكوص Pierre Accoce بالصحيفة 165 تحت عنوان «التمزقات الدينية بافريقيا» . والعدد الخاص بالطب من هذه المجلة يشتمل على نصوص في مواضيع طبية بينت عناوينها في الفهرس على واجهة المجلة تحت ترجمة ضخمة مكتوبة بالاحمر نصها : «نصوص ممنوعة على الجمهور» . ومعنى ذلك ان المجلة لاتباع للجمهور ولا تقراها الا طائفة مخصوصة من الناس المشتركين فيها ، والى جانب المقالات الطبية هناك مقالات لاتمت الى الطب بصلة ولكن تمت الى بعض الاسرار والاخبار (التي يحسن ان لايطلع عليها الا رهط مخصوص من القراء) او الطارف والتالد من تراجم شخصيات فذة ، ومن بين المقالات المنشورة في عدد ابريل 1961 من المجلة المذكورة المقال المشار اليه آنفا .

*

استهل الكاتب بيير اكوص Pierre Accoce مقاله بان الندوة كانت مكتومة كتمانا بينا لدرجة ان الشرطة والمصالح السرية ببرلين لم تكن على بينة منها ، وان الصحافة لم تتحدث عنها اذ سبق ان اتخذت احتياطات لذلك وبانه وقع التعجب من رؤية عدد من القسيسين يلجون تلك العمارة الواقعة بحاشية مطار طمبلهوف Tempelhof بالمنطقة الاميركية ، وبانه كان هنالك دعاة دينيون من افريقيا كما كان هنالك رجال الكهنوت من المانيا الشرقية ، وبان الاجتماع كان خطيرا لان الدعاة كانوا يترجون اكتشاف الدواء لافدح ازمة لم يتقدم لها في الازل ان زعزعت النصرانية فوق القارة السوداء . ثم قال : ان الكنيسة صارت لاتتقدم هنالك ابدا ، وصارت تضطهد شيئا فشيئا في كل جهة وان افظع من ذلك متوقع اذ هي مهددة بالزوال ، وتساءل الكاتب قائلا : الم يسبق لزملائهم الالمان ان عاشوا زمنا طويلا الامتحانات الشبيهة بهذه ؟ وزاد قائلا : ان الدعاة (المسيحيين) كانوا يريدون ان يعلموا هل للكنيسة ان تقرر عدم مشروعية منظماتها كلها بل ربما حتى لاقامة الشعائر ، وذلك ليتسنى لها ان تصمد في هذه الجهات المحرقة ، وان الجواب الجاف كان مفجعا لانه كان ايجابيا بالنسبة للكهول وسلبيا بالنسبة للشباب ، واتى هنا بتعليل قسيس من المانيا الشرقية اخبر عنه انه قال : «لان للكهول شخصية» كونها تعليم الكنيسة قبل «بلوغ الحرية الدينية ، اما الشباب فانهم يتزلقون لعوزهم سعة الصدر لهذا الجهاد» كما اخبر ان بيير ب Pierre B. الداعية القديم وهو من السافوا Savoyard لاحظ بمرارة بانهم وصلوا في سنة 1961 الى حد انهم هوجموا في مالي وفي غينيا ، وصاروا موضع الحديث في افريقيا الوسطى كلها والسودان . واستمر الكاتب يقول : ان الاضطرابات التي هزت القارة اخفت القرحة . وانه فيما يتعلق بالعالم ، والاستقلال بالنسبة لهذه البلدان الفتية انما هو ايديولوجيات سياسية يمزق بعضها بعضا ، وتحت طي الخفاء هي ايضا ديانات تتجابه ، وتساءل مرة اخرى ماذا تستطيعه الكنيسة اذا منعت من التعبير عن نفسها ولا سيما اذا رفض الزنوج الاستماع اليها ؟ ثم اجاب نفسه بقوله : العلامات لاتعوز ، فقد سقط اخوان في عدة جهات كما كان يقع في العصور الاولى لنشر الانجيل ، فالاب كورتكويس R.P. Courtecuisse سقط

فى الكمرون مع اصحابه معلمي الديانة المسيحية المنتمين لبعثة ساميا ، قتلهم بول مومو خليفة فيليكس مومية وكذا الاب تابار Tabard والاب دفو Devos وغير هؤلاء وقال عن السودان : انه ابتدا بمنع 240 من مدارس المسيحيين ، وعاب على الدعاة المسيحيين الاحسان ، ونفي 40 قسيسا وحكم على واحد منهم بالسجن الشاق لتوزيعه منشورا ، وان سعادة الكاهن دود اشعرته شرطة الخرطوم بانه لاحق له فى التجول بحرية مع انه سوداني الاصل .

ونقل عن بيير ب . ان الطائفتين البيضاء والسوداء لم تعودا تتكلمان لغة واحدة منذ ان صارت الرايات الجديدة ترفرف فوق العواصم الافريقية ، اذ اتسعت الحفرة بخليط مركب من خيبة وزوال وهم وثقة مخدوعة ، وانه اكد ان كاتوليكيين سيبقون دائما مخلصين للعقيدة متسائلا هل اكثرية المتنصرين سيثبتون ؟ .

واستمر الكاتب يقول : كثيرا ما يلوح البرق قبل صوت الرعد . واتى بقصة تبعث المسلم على التسبح والاستغفار وهي ان قسيس بعثة فى فولتا العليا اخبر من طرف اصحابه معلمي تعاليم المسيحية ، بنشاط متزايد لوعاظ (مسلمين) فى منطقته ، فامتطى سيارته النارية وتوجه الى «لاسافان» ليقوي ايمان اتباعه ، وذات صباح اوقف دورته لان دقات الطبول كانت تعلن ان جاء الحق الى قريتهم ، فتابع القسيس طريقه ، وفى المساء لما كان بصدد الرجوع الى قريته ، انتظره زنجي على الطريق ، وعضداه فى صورة صليب وقال له : لا تسر بعيدا ، فانهم سيطردونك ، ولقد اتفقوا واتفق معهم ايضا اصحابك الاساتذة الذين كانوا يضربوننا على اصابعنا حينما كنا لانتبعهم فى قراءتهم اثناء الطقوس ، وذلك انهم لايريدون الآهك فالأهم الآن هو الله . » قال : « وكان سكان القرية كلهم مجتمعين حول سيارة للتقل صغيرة ، ومرابط (يعني داعية مسلما) واقف يعرض لهم فيلما سينمائيا بمحامد محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وان هذه البعثة الاسلامية كانت تعمل منذ زمان بحماس من حيث لايطلع عليها القسيس ، وان غيبة القسيس كانت كافية لان يكسب الواعظ القبيلة خلالها ، وانه بالرغم من الضغط الشديد الذي يستعمله النصارى فان معبدا مسيحيا صار مسجدا ، وانه فى فلتا العليا التي يحكمها موريس ياميوجو يتكاثر بناء المساجد ، فى حين ان حاكمها تلميذ متخرج من مدارسهم المسيحية ، وان المساجد تاخذ مراكزها فى القرى التي اشتهرت بان اهلها اعتنقوا النصرانية بينما تتضاعف اربع مرات فى المناطق ذات النفوذ الاسلامي » .

وعلق الكاتب على هذه القصة بان هذه الانفصالات تؤثر فى تسعة آلاف من الدعاة المسيحيين الذين يعيشون فى افريقيا قائلا : ان مالي وغينيا يؤممان مدارسهم دفعة واحدة وبان راديو كوناكري اخبر فى 13 غشت 1960 بيومين قبل عيد انتقال العذراء Assomption بان هذا العيد سيحذف من ايام الاعياد وبان عيد الميلاد Noël وعيدالقديسين La Toussaint وعيد الارتقاء Ascension ، وعيد الفصح Pâques وعيد الخمسين Pentecote قد اضمحلت فى كل من كوناكري والخرطوم ، وبأن يوم الاحد لم يعد يوم عطلة ، وان يوم الجمعة الذي هو يوم الراحة الاسلامي قد عوضه .

واشار الكاتب الى ان الاحصائي السويسري بالبلدان المختلفة ص. فافرو C. Fovrod قدر ان الكنيسة كانت محضرة لهذه المباراة العنيفة كما اشار الى ان الاب ج . ميشيل المرشد العام لطلبة ما وراء البحار ، دفاعا عن الكنيسة بانها ليست دين المعمرين صار لايتكلم لهم الا على الواجب النصراني الذي يقضي بزوال الاستعمار ، وصار هؤلاء الطلبة طيلة مقامهم فى باريس يعتبرون كاثوليكيين اجانب لدرجة ان الطقوس اللتينية الفرنسية التي تقع فى العواصم ، منعت فى البعثات ، وادخل الى الكنيسة « الهانية » وهو النشيد الملكي لبلاد الداهومي بمزامره Sistres ورزازه Gongs . وبان الرهبان كانوا فى كل جهة يتكلمون اللهجات المحلية .

وتكلم الكاتب عن التدابير التي اتخذها الفاتكان اولا بنقل الدور الاصلية لمجامع الرهبنة لتخريج البعثات للدعوة ، من باريس الى رومة ، وان الكاردينالات فى روما انكبوا على الخرائط يتساءلون عما هي افريقيا فاذا بها 220 مليون نسمة ، 190 مليونا منها سودان ، و 8 ملايين كاثوليك و 12 مليونا بروتستانيا و 12 مليونا من الاقباط فى مصر والحبشة **و 85 مليونا من المسلمين** منهم 47 مليونا بجنوب الصحراء .

وانتقل الكاتب الى الكلام عن كانـو العاصمـة الشمالية لنيجريا فقال : انها كمدينة بيكان محاطـة باسوار على دائرة 18 كيلو مترا . مفتوحة فيها عشرة ابواب تقفل بمجرد ما ياتي الليل ، وبداخلهـا يعيـش 110.000 من المسلمين وان خارج هذه الاسوار المبنية بالطين الاحمر ، يوجد سباتكوري وهو حي الاجـانب اي ملاح مزدهر حيث تبـاع المسكـرات والمسرات ، وسكانه 30.000 من «الكافرين» (هكذا) منهم بعض اصحاب المذهـب القائـل بوجـود الـروح وبعـض البروتيستانيين والجل من الكاثوليك الذين انحدروا من الجنـوب » .

قال الكاتب : فى كل سنة ، حينما يؤذن فى الناس بالحج الى مكة ، تقف فى كانو قافلات الحجاج الافارقة ، وفى كانو تبتديء الاشياء المهمة اذ يزود هؤلاء الحجاج بالروحانيات كما تزود العجلة بالهواء وتحلق شعورهم ماعدا ما تحت الابطين ، اذ ينتف وتقلم الاظفـار مـن الارجل والايدي تقليما تاما ويحرم الحجاج بلبـاس الابيض الغير المخيط ويمتطـون الطيـارات مقابـل 150.000 فرنك ذهابا وايابا عن كل شخص ، وبضربة جناح يطيرون راسا الى جدة على ابواب مكة .

« ولم يقو الاسلام الخالص فى اية جهة قوتـه فى كانو ، ففي كل صباح بسوق الجلاد سكـارى الامس فيجلدهم 40 جلدة على كلاهم لمخالفتهم القرآن ، وكانو تفتخر بهذا التعصب ، وهي تقع بقلب القارة السـوداء وهي المركز القوي الذي شع منه حديث محمد (صلى الله عليه وسلم) » .

ثم نقل فى مقاله ان ا . سـادو A. Sadot حاكـم سابق بافريقيا قال له : ان هذا الحديث جاء اليها من الازهر الذي اسـس سنـة 972 قبل ميـلاد جامعـة كولونية وجامعة باريس وانه احدى الجامعات الاولى فى العالم وهي دمـاغ الاسلام ، وان مساحتهـا تبلـغ 12 000 مترا مربعا وان مناراتهـا الخمس ترتفـع فى شرق القاهرة عن كثب من خان الخليلي ، وان ناصرا اعطاها فى السنة الماضية ثريا جديدة كانما يتعهد بطلا رياضيا قبل معركة حاسمة ، وان الفسحة الواقعة بين الجامع وقاعة المحاضرات ابعد عنها الباعة الذين كانوا يتركون فيها آكاما من الازبال ، فصارت الآن حديقة ، وان الاشجار غرست بجوانب الازقة المجاورة لها ، وبما ان الحـي القـريـب منهـا كـان فـي ايـام العواصف يغرق الازهر فى الرمال ، فقد شيدت به اربع مطابع تطبع الكتب للزنوج ، وان الف استاذ ما زالـوا بالازهر يعملـون وهم مرتـدون العمائـم البيضـاء والجلاليب ذات اللون الازرق القامق كما كانوا منـذ الف سنة . واضاف قائلا : واذا كـانت الـدراسات تطول بالازهر من 15 الى 20 عاما منذ مدة من الزمن ، فانها تسير الآن بسرعة ، وان افريقيا آكلة الرجال فى حاجة الى مرابطين ، ويعني دعاة مسلمين ، وان مـن بين 20.000 طالب بالازهر الآن 5 000 منهم سيكونون غدا وعاظا زنوجا بافريقيا .

واخبر ان الدتور نانصيولي Nancioli « dottore » ملاحظ الفاتكان قال ان هؤلاء الوعاظ كانوا يتوجهـون من القاهرة على ارجلهم ضمن قوافـل حامليـن فى مزاودهم زادا وآيات من القرآن فى محافظ من الجلد ، وانهم ياخذون الآن الطائرات الحافـلات التي تغـدو وتروح فى سماء افريقيا ، او هذه السيارات الكبيـرة للنقل التي يشحنونها بالاقلام ، وقد مثل فيها الزنوج انفسهم كما يشحنونهـا بآلات الراديـو مـن نـوع ترانزيستور التي تتمشى ببطاريات صغيرة ، وانهـم يوزعون هذه الآلات بالمجان فى كل القرى ، وانه يسمع منذ مدة فى التخوم ذات الادغال التي يصعب الوصول اليها ، «صوت العرب» من دكار الى زيخبار ومن الراس الى اديس ابابا بست لغات افريقية طيلة عشر ساعات فى كل يوم ، وانه بعد بضعة اسابيع ستنطلق اذاعة اخـرى : «صوت الاسلام» (1) وستحمل هذا الدين الى النار !»

وجاء فى المقال ان جمال عبد الناصر وافـق على تضحيات جسيمة اذ خصص مبلغا سنويا يفـوق 500 000 جنيه سنويا من اجل تحويل وجهة الدول الفتية الى القاهرة ، وان هذه الدول ستجد بها معونة ونصحا ، وانه اذا كان الشيخ محمود شلتوت عميـد الازهر الجديد صرح يوم تنصيبه بقوله : « نحـن لا نكره احدا على الدخول فى ديننا وان علاقتنـا مـع الفاتكان من احسن ما تكون ودا ومتانة » ، فان سيـد الجمهورية العربية المتحدة اطلق فى طي الخفاء ، عبـد العزيز اسحاق رئيس الجمعيـة المسماة «افريقيـا» الواقعة بالزمالك ، وان لهذا الفتـى الـذي يحمـل

1) «صوت الاسلام» اخذ يذيع منذ مدة وجيزة على ما بلغني . م . ص

النظارات مظهر الرزانة وانه لايعطل ابدا ، وان منظمته هي التي تؤمم المدارس الكاثوليكية في افريقيا كلهـــا ، وانه من الزمالك ايضا يمطر الافارقة صحفا ومناشير وان من جملة ما اذيع منشور : « ان الدعاة النصارى يامرونكم بان لاتتزوجوا الا امراة واحدة وذلك من اجل القضاء على سلالتكم ، اما الاسلام فانه يسمح لكم بان تتزوجوا اربع نسوة وان دين النصارى مشوب بالاستعمار وان الدين الوحيد الجدير بافريقيا الحرة هو الاسلام » . ثم قال في هذا الصدد ان ناصر على حد تعبيره يقتبل في كل عام 2 000 طالب من افريقيا ، وان هؤلاء انفسهم تراجمة يقومون بالدعاية وتعجب من كون السنيغال الذي يرأسه ليوبول سانغور وهو كاثوليكي قد قرر اجبارية تعلم اللغة العربية . واشار الى الحملة الواقعة حاليا بافريقيا بانها قد وقع تحضيرها منذ عشرة اعوام على يد وعاظ مسلمين وصلوا اذ ذاك مندمجين في التجار المتنقلين ، (دولة هواسيس) ، وانهم كانوا يخدمون الزنوج ليلا بينما كان المسيحيون يقضون امسياتهم الراقصة او امسياتهم المدعوة امسيات الانطلاق ، وانه من السهل على الزنجي ان يصير مسلما فهو مختون ، فيكفيه ان ينطق بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ليدمج حينئذ في مجموعة اجتماعية هائلة ، وسلسلة من تعاضد على مسافة الآلاف الكثيرة من الكيلومترات وان الزنجي المسلم سيجد دائما الطعام والحصير للنوم عند اخيه في الدين بينما النصرانية تقدم اليه الايمان بالضحية وتعلمه معنى سوء الضمير وتتطلب منه بنوع خاص تعلم الاصول وقضاء اربعة اعوام في المعلومات المسيحية

كما بين الكاتب ما يتخذه الفاتكان من التدابير للصمود في الاراضي التي بقيت مفتوحة امام النصرانية فقال ان الكنيسة ستفرض وجودها المستمر وزياراتها، وستمارس سياستها التقليدية باجبار القلوب على خدمة المصالح وعلى الطاعة والخضوع في كل وقت وحين ، وانها تصنع الآن سلاحا سريا هو تكوين 1 800 راهب و 50 اسقفا من الزنوج ومن الآن فبالاضافة الى ذلك كل داعية منهم يجب ان يكون اخصائيا في الجغرافية التطبيقية ، وستكون له معرفة هامة باللهجات واصولها .

وذكر الكاتب عقب ذلك ان الاب بلان لاريدان Blanc Laridan اكد ان عدم التفاهم انتشر بين الدعاة المسيحيين ومن دخلوا في دينهم من الافارقة ، لان الرهبان لم يكونوا يعرفون العوائد معرفة كافية ، قال : فمثلا : «في يوم الجمعة المقدسة من اجل عبادة الصليب ، يقبل النصارى رجلي المسيح ، وقد تعجب الدعاة النصارى من الزنوج زمنا طويلا لانهم يكتفون بحك المنخار والذقن بالصنم ، اذ القبلة في نظرهم لايمكن ان تكون مظهرا للاحترام ، وانما تطبع على الفم خلال الاتصال الجنسي » .

ثم ان الكاتب اتى براي كل من عالمين احدهما الاستاذ الجامعي الفرنسي الكبير جورج بلانديه Georges Blandier والثاني هو ارنيست فيرنيه Erneste Verner الالماني العالم المتخصص في اصول الشعوب واخلاقهم .

فساق قول الاول منهما الذي يرى ان الافارقة الراقين ، بما انهم لا يستطيعون الادعاء بانهم من اتباع المذهب القائل بوجود الروح ، فانهم يختارون عن غير روية ، البروتستانتية أو الكاثوليكية أو يؤثرون عليهما الاسلام لانه يتطلب منهم اقل المجهودات ، وفي الواقع لايحصل لهم اقتناع .

ثم ساق قول الثاني الذي يقول بصحة وجهة نظر الاول ويستدل على صحتها بان للوثنية الافريقية مكة اي مدينة يحجون اليها ، وهي مدينة ويدة التي يبلغ سكانها 18.000 نسمة في بلاد الدهومي ويقع بها هيكل Le Temple du Python امام الكاتدرائية الاسقفية ، وان ممارسة الفودو (1) Vaudou بهذا الهيكل شيء عادي ، وبان اختلاط اهل الصلاح من النصارى وكبار الوثنيين داخل الاضرحة كثيرا ما يقع كما يقع عند زنوج باهية ، وبان الزنوج من جميع افريقيا يأتون الى المدارس المخفية للقائلين بوجود الروح في ويدة المذكورة ، اذ الافريقي في حاجة الى الاعتقاد ، بيد ان هذه الحاجة يمزقها شعور جديد بالاهانة وافاض الكاتب في الاستدلال بكلام ارنيست فيرنيه قائلا : ولئن كانت النصرانية هي دين البيض فان الاسلام هو الآخر يذكر بالنخاسين المتاجرين في الرقيق الذين ادموا القارة طيلة الف سنة .

1) مذهب افريقي نقله الزنوج الى امريكا .

وختم الكاتب مقاله بكلام عن ارنيست فيرتيه المذكور ، مؤداه ان الزنوج لن يستقروا على دين من الاديان المتداولة وانهم سيحدثون لانفسهم دينا كما قال رئيس قبيلة بافريقيا واستدل على ذلك بكون افريقيا تتالم من دوار سياسي ــ ديني غير عادي وبكون دينين سودانيين مترادفين للاستقلال سادا وعما قريب سيكونان دينا واحدا : الاول ولد بالكونجو البلجيكي سابقا مع المتنبي كيمابانجو المدعو كونزه اي «الكل» وهو خليط من النصرانية والمجوسية ويكون الملايين من الزنوج الماوو ماوو واللولو والباالوبة والكونجوليين الفرنسيين سابقا يجلون الكيمابانجوية اي دين كيمابانجو ، ويتفنون بامداح هذا المسيح الذي لبث منبطحا في اوساخ زنزانة بلجيكية في جادوفيل قبل ان يغادر الحياة وهي نفس الزنزانة التي سجن فيها باتريس لومومبا مدة يسيرة قبل موته .

والثاني انشاه متنبي هو ويليام وادهاريس Wiliam Wade Harris الذي ادعى الرسالة سنة 1913 وكان نتيجة للبعثات الميثودية (شيعة بروتيستانية اميركية) اعطى في راس الجريد Cap des Palmes توراة لم يعرف كيف يقراها ، لكنها خدمته لما سجن في ليبريا لرفضه اداء الضرائب ، وقد استطاع ان يدخل في دينه موظفي السجن فطرد من البلاد واخذ يدعو الناس بقوة ويعمدهم طيلة الطريق من ليبريا الى غانا ثم توفي بهاربير Harper سنة 1929 بعدما القى عصا التسيار بشاطىء العاج ونفي منه سنة 1915 .

ويروي الكاتب عن ارنيست فيرنيه انه في سنة 1945 ظهر دين هاريس مرة اخرى بكيفية مزعجة في شاطىء العاج ، والفى بسرعة كبيرة عشرات الآلاف من الاتباع . واخذ اخوان دعاة مرتدون جبة للكاهن بيضاء ومنطقة سوداء وعلى ظهر كل واحد منهم صليب كبير ، يدخلون الناس في دينهم ، وقد كادت انفاسهم ان تنقطع لشدة اجهادها ، واقام احدهم في ابيجان داخل اجامي وبنى مدرسة لتعليم دينه وسمى نفسه بابا ؛ فضحك الناس منه في اول امره ، والآن صار هذا الدين القليل التدوين الجامع بين الكاثوليكية والبروتيستانية والاسلام والمجوسية قويا لدرجة انه اخذ ينشىء معابده ذات الاجراس الصغيرة في كل جهة على وجه التقريب ، ويضايق بشدة الديانات التقليدية .

ثم ختم الكاتب خاتمة مقاله بقوله : الم يكن مسيحي من شاطىء العاج يظهر عليه انه آمن قليلا بهذا الدين الذي اثر عليه وقال ش. فافرو Ch. Favrod الدعاة النصارى اتوا الينا بدين في منبت ، فليتركونا الآن نغرسه بحرية وسيراه العالم بعد ذلك قويا مزدهرا .

تعليـــــــــق

سبق لي في العدد الرابع من « دعوة الحق » ان بينت تذمر الكنيسة من نشر الاسلام في افريقيا السوداء ، وتحامل كبار رجال الكهنوت على الاسلام ، والدور السياسي الذي يقوم به رجال الكهنوت في توجيه السياسة الغربية بهذه القارة . واليوم اضع تحت انظار المسلمين وثيقة خطيرة تودن بان اتباع النصرانية من الافارقة لم يعتنقوا النصرانية عن ايمان وانما لحاجات في انفسهم كانوا يريدون قضاءها ، والدليل على ذلك هو الاعتراف المسجل في الوثيقة الملخصة من كون معلمي المسيحية انفسهم حينما يحضر الداعية المسلم يعتنقون الاسلام هم ومن في القرية من اتباعهم ويطردون القسيس ؛ وما جاء في كلام ش. فافرو الذي ختم به الكاتب بيير اكوص مقاله لم يصدر عن مسلم وانما صدر عن مسيحي لم يتصل بداعية مسلم .

وغني عن البيان ان ما جاء في المقال من الكلام عن الدعوة التي يقوم بها خريجو الازهر الشريف بافريقيا وجمعية افريقيا بالقاهرة والرصيد المخصص للنفقة عليها بايعاز من رئيس الجمهورية العربية المتحدة لما ينشرح له صدر كل مسلم . وياليت الدول الاسلامية المنخرطة في الجامعة العربية تقوم بعمل مشترك في هذا الصدد ، ولا يراعى فيه الا وجه الله والدار الآخرة والسياسة الاسلامية ، وان لم يستطع اعضاؤها المسلمون القيام به في نطاق الجامعة العربية ، ففي نطاق اسلامي بحت على ان يكون الدعاة من اهل الكفاءة وان يزودوا هم الآخرون بالجغرافية التطبيقية على غرار ما يقوم به الفاتكان الآن ويتعلموا اللغات واللهجات اذ لابد من ان يقابل المنافسون بسلاح يضاهي سلاحهم ، وان تجهز الدول الاسلامية منظمة لذلك جامعة تقوم بالدعوة الى الله لا في افريقيا السوداء فحسب بل يمتد عملها الى حيث تسمح لها امكانياتها ؛ وداخل البلدان الاسلامية التي اخذ الانهيار الخلقي يتسرب اليها .

وقبل انهاء كلمتي هذه احمد الله للسودان ومالي وغينيا ونيجريا وفولتا العليا على ان هدى اليه اهلها فالغوا الاعياد التي لاتمت الى الاسلام بصلة وعلى ان اخذوا يؤممون المدارس الاجنبية المسيحية وعلى ان جعلوا يوم الجمعة في السودان ومالي يوم راحة ، وادعو الله تعالى ان يوفق الحكومة المغربية الى تنفيذ ارادة شعبنا الذي برهن خلال جهادنا مع الاستعمار على انه يريد ان يكون يوم العطلة الاسبوعي الرسمي هو يوم الجمعة وادعو الله كذلك ان يوفقها حتى تغير الدعاية النصرانية الواقعة في بلادنا طولا وعرضا اهتماما بالغا فتمنعها منعا كليا ولا سيما بالنسبة للمسلمين

لقد استقل المغرب المسلم بعد جهاد عنيف كان سلاحه فيه هو التمسك بالدين والدعوة الى الله ، فيجب علينا ، وقد استقللنا ان نشكر الله تعالى بالاستقامة وسلوك سياسة تجعل من اهدافها المحافظة على التراث المقدس بما له من الحقوق فالاسلام يقول بالتسامح ولكن لا على حساب ارصدته ، وان الفاتكان لايسمح قط بقيام دعاية اسلامية داخل منطقته ، والكراملان لايقبل مطلقا القيام بدعوة للراسمالية بمكان يمت الى نفوذه بصلة والجمهورية الاميريكية لايمكن ان تسمح بانشاء مؤسسات شيوعية تدعو لها ، على اننا في الوقت الذي ندعو فيه الى القيام بدرء مفاسد النصرانية في بلادنا ومنعها من الدعاية وبناء مؤسسات وكنائس زيادة على ما هو مبني ، لانخشى مطلقا نجاحها وتمكنها من اهدافها الروحية في هذه البلاد ، فلقد تمكنت النصرانية من شاب مثالي نصرته منذ ما يقرب او يزيد على 30 سنة تدرج خلالها في رتب الكنيسة حتى صار رهبا واخيرا نشرت الصحف انه عاد الى الاسلام وهو الاستاذ السيد الحاج محمد بن عبد الجليل الذي ازف له ولاسرته التهاني القلبية ، لكن الشيء الذي نخشى منه هو التاثير على المدارك ، والوسوسة لافساد العقيدة .

والحاصل ما تقوم به الآن حكومات البلدان الافريقية السوداء الاسلامية المستقلة من درء مفاسد الكفر ومنع دعاية الرهبان واحسانهم ومراقبة من يتخوف من دعاوته ككاهن الخرطوم الذي منع من حرية التجول لمخالفته ، ولا شك ، لنظام البلاد ، ومن اتخاذ يوم الجمعة يوم عطلة والغاء الاعياد التي لاتمت الى الاسلام بصلة وكلها امور توجب الاغتباط والاعتزاز

من وصايا الرسول

اتق المحارم تكن اعبد الناس

وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس

واحسن الى جارك تكن مومنا

واحب لاخيك ما تحب لنفسك تكن مسلما

ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب



للأستاذ : محمد عمر الداعوق

يقول الله عز وجل لنبيه (ص) (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن . . .)

نعم انه ليقص عليه من انباء الرسل ما يثبت به فؤاده ، ووضع له في هذه القصص الحق ، والموعظة والذكرى للمؤمنين .

ان الله عز وجل لم يذكر لنا قصة من قصص القرآن الكريم ، الا ويريدنا ان نتدبر معناها ، ونسبر غورها حتى نفقه مغزاها فنستخرج منها الحكم وناخذ منها العبر ، ان كنا من اولي الالباب كما يقول في ذلك (لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب . .)

ومن هذه القصص البليغة قصة ابي الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع ابنه اسماعيل ، وفيها تبرز لنا اعظم انواع التضحية ، تضحية الاب الحليم الاواه المنيب بابنه الصادق الوعد الامين . . . تضحية واي تضحية . . .

لو عرضت على الجبال الراسيات الشامخات لما اطاقتها ولاعتذرت منها . . تصور ايها القارىء الكريم ابا شفوقا كان قد حرم الذرية، حتى اذا بلغ الشيخوخة وكاد امله ينقطع من الولد ، اذا بالذي اصطفاه خليلا في الدنيا يرزقه غلاما زكيا وفيا . . . حتى اذا بلغ معه السعي ، واصبح يليق بوراثة الحكمة والنبوة ، او بمعنى اخر اصبح الساعد الايمن لهذا الاب العجوز ، يعتمد عليه في المهمات والملمات ، فبنى معه اول بيت وضع للناس (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) .

اقول حتى اذا بلغ هذه السن المنتجة النافعة التي تملأ قلب الاب سرورا وبهجة وتكحل عينيه قرة وجمالا ، اذا بالذي ينعم عليه به يسأله . . .

نعم يسأله اياه تلميحا لا تصريحا ليترك له مجال التهرب ان لم يستطع تحمل المحنة غير ان اللبيب من الاشارة يفهم ، ومن اولى بابي الانبياء بهذه النباهة ، فاعتبر المنام وحيا صريحا ، وعده امتحانا واختبارا للمحبة الالهية ، فما كان منه الا ان سارع الى ابنه وحبيبه يعرض الامر عليه ليرى رايه فيه ، ولكن الابن العليم الحكيم كما وصفه ربه كان عند حسن ظن ابيه كما كان ابوه عند حسن ظن ربه به . . . فبادر يقول لابيه الصديق الوقور : يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . .

يا لله ما أعظم هذه التضحية من الاب . . يا لله ما اعظم هذا البر من الابن . . وهل هناك تضحية اعظم من ان يقدم احدنا ولده فلذة كبده وحشاشة قلبه قربانا لربه ؟ وهل هناك بر اعظم من ان يقدم احدنا رقبته لابيه ليذبحه ؟ وهل ابقى هذا الاب الجواد الكريم تضحية تعدل هذه التضحية ؟

وهل ابقى هذا الغلام المرضي برا على وجه الارض يعدل هذا البر ؟

سجل يا تاريخ سجل ! وتكلمي يا أيام .

تعال ايها القارىء العزيز نقرا معا هذه القصة العجيبة الفريدة من سورة الصافات (رب هب لي من الصالحين . . الآية)

لقد كان في وسع الاب ان يغض الطرف عن المنام ولو انه وحي بالنسبة للانبياء الا انه ليس كالوحي الصريح الذي ينزل على الرسل ، لا يقبل الشك ولا الالتباس . ولكن ابراهيم عليه الصلاة والسلام المتفاني في محبة خليله كان يرى التلميح تصريحا كان يرى كل شيء من الله الهاما .. مناما كان ام يقظة ، ابتلاء كان ام انعاما ، فاذا به يلبي دعوة مولاه ويذهب مستشيرا ابنه في رؤياه ...

فيجيبه هذا الولد البار : افعل ما تؤمر ولا تتأخر ... فاذا كان ذبحي يرضي مولاك فانه يرضيني ، وان كان سفك دمي يسر خليلك فانه يسرني ... فصبر جميل والله المستعان وكلنا لله وكلنا راجعون اليه .. وكان لسان حال اسماعيل يقول : (ما هي الا امانة طلبها صاحبها فرددناها ، فهو المنعم المتفضل وله الحمد في الاولى والاخرة ..

بخ بخ لك يا اسماعيل ابن خليل الرحمن ... ومرحى مرحى يا ابن ابي الانبياء ، فلا عجب اذا ان نقرأ هذا الثناء العظيم عليه من العلي العظيم : (واذكر في الكتاب اسماعيل .. الآية) .

هذه هي القصة العتيدة القريبة ، فما الذي ينطوي تحتها يا ترى ؟

ماذا يريد العزيز الحكيم من ورائها ؟ هل هي للترنم بالقراءة والتبرك بالمعنى ؟

أم هي لسرد حادثة وقعت في الزمن الغابر وانقضى عهدها ؟ ام هي قصة من القصص التي يتعجب الانسان لها ثم لا يلبث ان ينساها ؟

كلا والله ، لا هذا ولا ذاك .. انما هي تذكرة للمسلمين في كل عام لتقديم اغلى ما يملكون لربهم هي درس للمؤمنين في التضحية باعز ما يحوزون ، باغلى من المال والروح اللذين عقد الله عز وجل مع عباده بيعة بشأنهما ان لهم الجنة ان هم باعوهما له عند الطلب وقربوهما ثمنا حينما يدعو داعي الجهاد ، فقال : (ان الله اشترى من المؤمنين ... الآية)

اقول هي اعز واغلى من هذه البيعة العظيمة ، اذ ان الانسان يهون عليه مائة مرة ان يقدم نفسه وماله على ان يقدم ولده ... وهذه هي غريزة الرحمة التي وضعها الله في قلوب مخلوقاته من انسان وحيوان ، فنحن نرى الحيوان كيف يقاتل دفاعا عن اولاده حتى يقتل ولا يسلمهم لشيء يؤذيهم ما دام فيه عرق ينبض ونفس يتحرك ... اذا فالتضحية بالروح ليست شيئا يذكر امام التضحية بالولد ، ولكن هناك ما هو اعظم الف مرة من هذا ايضا ، هو ان تقدم ولدك بيدك انت لا بيد غيرك دون ان تراه .. هو ان تأخذ سكينك بيمينك وتذبح بها ولدك ، فلذة كبدك فتقطع البلعوم ، والاوردة جيئة وذهابا حتى يتدفق الدم على يديك ووجهك ، ويلطخ جسدك وثيابك ، ثم تبقى بعد ذلك كله واقفا على قدميك ، مالكا لوعيك تقول لربك : لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. لبيك والامر كله بيديك ..

فاي عقل هذا الذي يحتمل هذا البلاء فلا يتصدع ؟ واي قوة هذه التي لا تخور عند هذه الفاجعة فلا تتحطم ؟ واي قلب لا ينفطر حزنا وتصيبه السكتة عند هذه البلية فلا يقف عن الخفقان ؟ . ان هذا لهو البلاء المبين ... صدق الله العظيم ... غير ان رحمة الله قريب من المحسنين ، فيستبدل بالابن كبشا عظيما وينادي خليله قائلا : قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ..

لقد علمنا ان محبتك لربك هي فوق كل شيء فوق المال والنفس والولد ، وانما اردناك مثلا للتضحية يقتدى بك ، واسوة حسنة لذريتك المسلمة من بعدك لا تؤثر على ربها اهلا ولا مالا (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا) ...

هذه هي القصة التي لا يستطيع بشر أن يوفيها حقها من الروعة والاجلال والمهابة ، اذ لا يحس بمحنتها الا من ابتلى بها ، ولا يشعر بمرارتها الا من ذاق حنظلها

وبعد : فما هو المعنى العميق الذي نستنبطه من القصة العظيمة لاب عظيم وابن عظيم وذبح عظيم ؟

كل سنة تذكرنا الاضحية بسنة ابينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، تذكرنا بان المقصود فلذات الاكباد لا الاكباش ، حتى نظل على اتصال دائم بهذا المعنى العظيم ، معنى التضحية باعز ما يملك الانسان معنى ان محبة الله وطاعته والاستسلام له والانقياد لحكمه ، فوق المال والنفس والولد ، فلا نرغب باي منها عنه ، فانما هي امانات عندنا ، وهل لاحد فضل ان هو ادى الامانة الى اهلها ؟ نعم ان فعل ذلك طوعا لا كرها ..

هذا هو المعنى الذي نفهمه من القصة ، ولو ان المسلمين فقهوه على حقيقته ، فحرصوا على الموت حتى توهب لهم الحياة ، لما استعمرهم غاصب غشوم ، ولما استذلهم طاغ متكبر ، ولما وطىء ارضهم مستعمر جبار

وصدق الله العظيم اذ يقول (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه : اسلم قال اسلمت لرب العالمين ..) .



الضيافة خلق من انبل الاخلاق الانسانية واجمل الآداب الاسلامية .. هو اكرام واعتناء وايثار ووفاء ، ومواساة لاصحاب الرحلات والسياحات من الضعفاء، ورعاية للعلماء والكبراء .. وقد لعبت الضيافة دورا هاما عند الامة العربية في الجاهلية والاسلام ، شاعت في الامة العربية مآثرها ، وتاصلت بين اكنافها منابتها ، فكانت الضيافة منذ اقدم العصور وثيقة الصلة بالارومة العربية ، تغنت بفضائلها الشعراء ، واثنى على المتخلقين بها البلغاء ، فلما بعث رسول الاسلام متمما لمكارم الاخلاق سار على نسق تتميم هذه المكارم عمليا فلم يزد هذا الخلق الكريم الا تحبيذا وتنويها ، وحضا عليه وتنبيها ، وطبعه بطابع الايمان الخالص الذي جعله شعارا يتحلى به صادقو الايمان حيث قال (من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه) حديث متفق عليه ... وقال عليه السلام (يا ايها الناس افشوا السلام ، وصلوا الارحام ، واطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام) اخرجه الترمذي وصححه ... وهذا حديث جامع لوسائل التقرب والتحبب الى الناس والى الله باتيان ما يحبه الله ويرضاه من مكارم الاخلاق ، وبمناجاته والخضوع له في وقت غفلة الناس ونومهم بوجه خاص

وكان من البواعث عند العرب على اكرام الضيف الرغبة في المحمدة ، وخوف الجفاء والمذمة كما قال الشاعر ..

(واعلم بان الضيف يو ... ما سوف يحمد او يلوم)

وقال قيس بن عاصم الصحابي الذي ذكر الاحنف المشهور انه منه تعلم الحلم ، قال قيس رضى الله عنه :

(واني لعبد الضيف من غير ذلة
وما في الاذاك من شيمة العبد)

وقال القاضي عياض في شرح مسلم : (والضيافة من آداب الاسلام ، وخلق النبيئين عليهم الصلاة والسلام ، ولا تجب عند الاكثر لقوله فليحسن وليكرم، وهذه لاتستعمل في الواجب) ثم يقول عياض (واختلف في المطلوب بها فقال الشافعي وابن عبد الحكم : هي على الحاضر والبادي وقال مالك وسحنون : انما تلزم البادية لان في الحضر مرتفقا فندقا وسوقا ، وقد تتعين كما فيمن اجتاز وخيف عليه) .

فهذا الاكرام من مكارم الاخلاق المطلوبة على العموم في شريعة الاسلام وعلى الخصوص في حق الضيف وفي قوله عليه السلام (اطعموا الطعام) حيث لم يخصصه بافراد ذوي اوصاف خاصة ، من فقر وشبهه ، ما يؤكد مطلوبية تعميمه في حق الغني والفقير المسلم وغيره ، وقد كانت عادة قريش قبل الاسلام اطعام حجاج بيت الله وسقايتهم بصفة جماعية ، كما هو معروف ويشير اليه قول الله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى آخر الآية ، واستمر ذلك مدة طويلة في عهود الاسلام ، كما ذكرت ذلك في بحث خاص نشر بمجلة (دعوة الحق) ، وان كان حجاج بيت الله الآن تفرض عليهم ضرائب خاصة لم يبق لها الآن مع غنى ولاة الحرم بدخل البترول اي مبرر ولا شبهة .. وقد اتخذ موضوع اكرام الضيوف صبغة خاصة في عهود من تاريخ الاسلام عبر عنه في بعض الاوقات بالفتوة التي هي ظاهرة في النجدة واغاثة الملهوف ، والعفة والطهارة ، وبذل المعروف . قال ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية : (ذكرت الفتوة عند سفيان الثوري فقال : ليست الفتوة بالفسق والفجور، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد ، طعام موضوع ، وحجاب مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول وعفاف معروف ، وأذى مكفوف ...

وكانت هذه الفتوة شائعة شيوعا عظيما فى جميع البلاد التركمانية الرومية ، ولها جمعيات عظيمة ، من الشبان الاعزاب والمتجردين ، ذكر الرحالة المغربي ابن بطوطة فى رحلته جماعة الاخية فقال : واحدها أخي ، على لفظ الاخ اذا اضافه المتكلم الى نفسه ، وهم بجميع البلاد التركمانية والرومية ، فى كل بلد ومدينة وقرية ، ولا يوجد فى الدنيا مثلهم احتفالا بالغرباء من الناس واسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاخذ على ايدى الظلمة وقتل الشرط ، ومن لحق بهم من اهل الشر (لعل هؤلاء الشرط كانوا ظالمين عند هم لاحراسا للامن كما عليه الحال عند الامم الآن) قال : والاخي عندهم رجل يجتمع اهل صناعته وغيرهم من الشبان الاعزاب والمتجردين ويقدمونه على انفسهم ، وتلك هي الفتوة ايضا ، ويبني زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج وما يحتاج اليه من الآلات ويخدم اصحابه بالنهار فى طلب معايشهم ، ويأتون اليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيشترون به الفواكه والطعام الى غير ذلك مما ينفق فى الزاوية ، فان ورد فى ذلك اليوم مسافر على البلد انزلوه عندهم ، وكان ذلك ضيافته لديهم ، ولا يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يرد وارد اجتمعوا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا، وانصرفوا الى صناعتهم بالغد ، واتوا مقدمهم بما اجتمع لهم ، ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم كما ذكرنا الاخي) اه .

وغناؤهم ورقصهم على طريقة الصوفية لانهم بالزاوية وهم متجردون كما قدمنا ثم ذكر ابن بطوطة ضيافتهم له ولباسهم العجيب واعجابه بامرهم ..

ويوجد عندنا بالمغرب عدة زوايا يطعم فيها الواردون عليها بضيافات خاصة ، مثل زاوية تزروت الريسونية وزاوية سيدي هدي بشمال المغرب، وبعض هذه الزوايا كان طلبة العلم يقصدونها لدراسة العلم ، وكان ينفق عليهم من احباسها مثل الزاوية الناصرية بتمكروت التي لها تلك المكتبة الهائلة وغيرها ..

وقد مرت فى المغرب شخصية فذة عالمة ، كان لها اثر بليغ فى تربية المغاربة ، وتعويدهم على الكرم والجود فى باب الضيافة والصدقة والاحسان على السواء ، وهي شخصية ابي العباس السبتي صاحب الضريح الشهير بمراكش ، فقد كان مذهبه (ان العالم ينفعل بالجود ... ذكر فى نيل الابتهاج عن لسان الدين ابن الخطيب انه قال فى حق السبتي : كان السبتي مقصودا فى حياته مستغاثا به فى الازمات ، وحاله من اعظم الآيات الخارقة للعادة ، ومبنى امره على انفعال العالم عن الجود وكونه علة فى تأثير الوجود . له فى ذلك اخبار ذائعة وامثال باهرة ، ولما توفى ظهر هذا الاثر على تربته) .

ثم ذكر ابن الخطيب ان دخل هذه التربة الذي يطعم منه كل يوم المخاويج المقيمون بالتربة قد يبلغ الف دينار فى اليوم الواحد ...

ولا يزال المغاربة يسمون اول ما يطبخه صانعو الاسفنج كل صباح بالعباسية حيث يتصدقون بها،وكان مظهر الضيافات شائعا فى المغرب سواء بين القبائل والمداشر المتباعدة او بين طوائف الصوفية ، او بين فروع الهيآت السياسية فى العهد الاخير . ولكن هذا الكرم العربي الاسلامي اخذ يختفي من اوساط الامم ، ومن بين افراد الامةالواحدة والهيآة السياسية الوطنية كذلك ، واخذت العادات الغربية الاوربية تحل محله وخصوصا بين ذوي السياسة والرياضة فى كثير من الولائم .. بحيث اخذت الاوساط تقتصر على المشروبات فى الغالب ، مع ان اكرام الضيوف حقيقة انما يكون كاملا ، اذا كفي الضيف جميع حاجاته من مأكل ومشرب ومبيت .

وهذا نبل وكرم ينبغي الرجوع اليه ، والتمسك به حتى يبقى المجتمع الاسلامي عاملا بقول الرسول : (من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) وان لم يكن هذا الاكرام على جهة الوجوب ، وحتى نبقى كما كان يقول مصطفى كامل المصري رحمه الله فى مصر : احرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا . أي مكرمون .

وبقدر تمسكنا بالاخلاق الاسلامية النبيلة ترتفع قيمتنا الانسانية فى الوجود ، ونقترب من اولئك الصحابة الذين انزل الله فى حقهم منوها بشأنهم قوله : (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .





في يوم من ايام صفر من العام الذي سمي بعد « عام الهجرة » بثت الدعوة في عظماء قريش ان يجتمعوا في دار الندوة لامر خطير ، نعم لقد اجتمعوا في دار الندوة التي كانت عند اشراف قريش بمثابة برلمان الامة ، كانوا يجتمعون فيها كلما حزب بهم امر ، او جد لهم حادث خطير ، وكان مكان البرلمان هذا دارا لقصي بن كلاب ، وكانوا لا يقضون امرا الا فيها « بنصوص دستورهم العرفي المستنبط من الاوضاع والتقاليد ، اجل ، لقد تم جمع الاعضاء في الوقت المحدد وتمثل في جمعهم قبائل قريش برجالاتها وعظمائها ، فقد حضر نواب عن امية ، ونواب عن عبد شمس ، ونواب عن عبد مناف ، ونواب عبد الدار ، ونواب عن بني اسد ، ونواب عن بني مخزوم الى غير ذلك ... وعندما التقت الجموع – تحت قبة البرلمان – ساد السكون ، وظهر على وجوههم الجد من الامر الذي دعو اليه ... لقد عرفوه مجملا ويرغبون جميعا ان يعرفوه مفصلا حتى يتيح لهم جميعا ان يقولوا فيه كلمتهم ، فنستمع اذن في هذه الجلسة التاريخية الى العضو المحترم ابي البختري بن هشام وهو يقول : يا حضرات الاعضاء كلكم تعرفون جيدا محمدا واصحابه وتعرفون ايضا كيف بدات دعوته اول امرها ، فاستخففنا بها وبه ، وقلتم وقلنا في صاحبنا انه (مجنون) او شاعر نتربص به ريب المنون ، وظننتم وظننا بادىء ذي بدء ان دعوته ستذهب مع الريح ، فليدع ما يدعو فليس له سميع ، وقد بدا دعوته في رفق ولطف ويقول : « اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » فتركناه وشانه ، ولكنه خطا بعد ذلك خطوة اجرا وافظع ، فكان يدعو سرا فدعا جهرا ، وسب الهتنا ، وسفه احلامنا وضلل آباءنا فطلبنا من قومه ان يكفوه عنا ، او يخلو بينه وبيننا ، فلم يكن هذا ولا ذاك ، فاتجهنا اتجاها آخر وهو ان نتركه ونعذب من اتبعه حتى يكون في تعذيبهم نكال لهم وعظة لغيرهم فما اغنى كل ذلك شيئا ، ثم رجعنا الى محمد نرغبه في العدول عن دعوته وقلنا له : ان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي ياتيك رئيا طلبنا الطب لك حتى نبرئك منه : فقال : ما بي ما تقولون ، ولكن الله بعثني اليكم رسولا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا وداعيا اليه باذنه وسراجا منيرا ...

ثم زاد العضو قائلا والنواب يستمعون اليه ، ان التعذيب والتنكيل والنفي لهذا الرجل ليست هذه الامور بحاجزة عن دعوته في قبائل العرب في الحبشة وفي يثرب وفي بطون الاوس والخزرج وغير ذلك ، فعما قريب سيتآخى كل من اسلم من هؤلاء واولئك ، وسيكونون قوة عظيمة تحاربنا وتجادلنا ، وها هو محمد اليوم بين اظهرنا وغدا يكون قوة في يد اعدائنا ، ثم زاد قائلا : رايي الخاص ياسادة هو : « حبسه في الحديد وغلق الباب عليه فيصيبه ما اصاب اشباهه من الشعراء قبله كزهير والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت » .

وقال قائل من النواب بعد ما سمع هذا التقرير قال : « لئن حبسناه ليخرجن امره من وراء الباب الى اصحابه فلاوشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم ، ما هذا براي ! فوقف بعده النائب ابو الاسود ربيعة ابن عامر وقال : الراي عندي نفيه من بلادنا ، فاذا خرج عنا فوالله ما ندري اين ذهب ولا حيث وقع) فلم يقبل هذا الراي ايضا ، فقام عضو المجلس ابو الحكم بن هشام وقال : « ارى ناخذ من كل قبيلة فتى نسيبا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه

بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فانهم ان فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف ــ رهط محمد ــ على قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم) واذا بالمجلس يتفق بالاجماع على هذا الراي وتواصوا بعضهم بعضا بسريته حتى ينفذ ، وبهذا الراي ختمت الجلسة ، واذا بالوحي ينزل على محمد المصطفى من عالم الغيب وعالم ما في الصدور يخبر نبيه وصفيه بما يبيت له في الخفاء من مكر وسوء قائلا له وهو اصدق من قائل : (واذ يمكر الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وها هو الرسول الاعظم مع الصديق في جبل ثور على مسافة ساعة من مكة مختفيا في غار حراء بعد ما جهر بالدعوة ثلاث عشرة سنة داعيا ومبشرا ونذيرا ، داعيا لله ومبشرا بدينه الحنيف ، فما اشدها ساعة على الرسول وهو في الغار ثلاثة ايام ولا نصير له الا الله (الا تنصروه فقد نصره الله) .

وقاية الله اغنت عن مضاعفة

من الدروع وعن عال من الاطم

نعم فما اشدها من ساعة على الرسول : جوعا وعطشا ودما يتقطر من قدميه الشريفين ، وهو في الغار بعد ما فارق الاهل والقوم والوطن والكعبة ، لقد خرج من ارض الوطن مكة المكرمة اول ربيع الاول موافق (يونيه سنة 622 م) حيث يشتد الحر وتتوهج الصحراء ولا ذنب له الا انه يقول ربي الله ويقول : (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) نعم ، خرج عليه السلام من مكة مهاجرا وبخروجه منها انقطع ذكرها ، وحل بالمدينة وبحلوله فيها ظهر شانها ورفع الله ذكرها ، واتم الله نوره فيها رغم كيد المشركين .

آخى يومئذ بين المهاجرين والانصار ، والاوس والخزرج ، وطمأن يهود يثرب على حياتهم واموالهم واهليهم ، وها هم اشرافها يتسابقون على نزوله عندهم ... فهذا مسجده يقام ، وها هو الاذان يشرع فيجلجل صوت بلال في المدينة (الله اكبر حي على الفلاح) وها هم أهل المدينة يدخلون في الاسلام افواجا افواجا ، يحملون الهدى للارواح الحائرة ، والسلام للنفوس المحروبة ، والالفة للقلوب المختلفة ، فسارت الانسانية في طريق الحياة على ضوئه تنعم بالاخاء في الدين ، وتتمتع بالمساواة في الشريعة، فلا عصبية تزرع الاحقاد وتنشر الفرقة ، ولا امتياز في الجنس او في اللون او في الثروة يوجب الاستعباد ويقتضي الظلم ، وها هو الرسول الاعظم يتلو قول الله الكريم :

(اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) وها هو يقف على باب الكعبة بالقرب من دار الندوة حيث تآمرت قريش على قتله منذ ثمان سنوات فيقول : (لا إله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، واعز جنده يا أهل مكة ؟ ماذا ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ، فيقول : اذهبوا فانتم الطلقاء) .

لا يحمل عليه السلام حقدا ولا ضغينة ولا يريد انتقاما ، انما يريد ان تكون كلمة الله هي العليا ، وان تكون كلمة الذين كفروا هي السفلى ، وقد كان كل ذلك ، فلا غضب ولا انتقام ، وتدوي جزيرة العرب كلها بلااله الا الله محمد رسول الله .

ثم ذهبت ايام وجاءت ايام ، وتولى عمر بن الخطاب ، ومضى على خلافته سنوات والعرب تؤرخ بالاحداث العظام ، فيقولون : حدث ذلك عام الفيل ، و ولد فلان بعد عام الفجار بسنة فيجمع عمر بعض الصحابة يستشيرهم : اي الاحداث اولى أن يكون مبدأ التاريخ الاسلامي ؟ اولادة النبي عليه السلام ؟ أم وفاته؟ أم نزول الوحي عليه في غار حراء ؟ ويقترح علي ان يكون الهجرة فهي مبدأ نجاح الدعوة، وانتشار الاسلام، ومحق الشرك ، فكان كما قال ، وكانت الهجرة في الربيع الاول ، وكان هذا التشاور في السنة السابعة عشرة ، فاضافوا الاشهر السابقة على ربيع حتى يبدأوا بما اعتادوا به بدء السنة وهو المحرم ، وجرى الامر على ذلك ، ثم حمل خلفاء الرسول رضوان الله عليهم اجمعين منذ ذلك مصباح الهداية وزمام القيادة من بعده ، ثم استناروا بسيرته ، واستنوا بسنته فاورثهم الله تلك الارض وملكهم قيادة العالم ، فقادوه على بصيرة وساسوه على دراية : فكان كتاب الله هو الدستور ، وحكمه هو القاضي ، وسنة نبيه هي الخطة فلما ابتعد المسلمون عن مشرق النور واعرضوا عن الذكر، غشيتهم الغواشي ، فضلوا وجهة امرهم وجهلوا غاية قصدهم ، وتفرقوا شيعا في الضلال ، واصبح كلام الله على السنتهم الفاظا لا معنى لها ولا رجع منها، فافلت من ايديهم زمام الامر ، وسلب الله من اعدائهم الرعب منهم ، فتقهقروا الى مؤخرة الركب ، ثم تتابعت

السنون وتتابع هلال الحرم على المسلمين بالسعود مرة وبالنحس اخرى وبالنعيم احيانا وبالبؤس احيانـا ، وراهم في عزهم وراهم في ذلهم وراهم سادة ، وراهم عبيدا ، وراهم يستيقظون وينامون ولكن لا يموتـون وتتوالى عليهم الكوارث التي تبلي الحديد ولكن لا يبلون وتتعاقب عليهم سنو الضعف حتى يشفوا على المـوت ثم لا يشفون وحتى يندمج فيهم من عاداهم، وينصرهم من ناواهم ، ويدخل في دينهم من حاربهم لدينهـم ، وييأس من تنصيرهم من حاول تنصيرهم ومن تجريدهم من عزتهم من حاول ان يسلبهم عزتهم .

اما بعد : فان اية الهجرة التي ظهر بها الاســلام وعلا فيها الحق هي : الاخلاص للعقيدة والتضحيـة للمبدا والمصابرة على الجهاد والمؤاخاة في الله .

فيا ايها الاخوان والاخوات الكرام اذا اردتـم وارادتكم من ارادة الله ــ اقول : اذا اردتم المحافظة على عظمة الاسلام فلابد من ان تستجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، وايضا لا تخونوا الله والرســول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون ! .

اسال الله للمسلمين عامة وللمغرب خاصة هديا وسدادا وعونا واسعادا والفة واتحادا انه واسع الفضل عظيم الطول ، سميع الدعاء آمين .

خيـــر اميـــر

سال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عمر بن معد يكرب عن سعد بن ابي وقاص فقال : كيف اميركم ؟ قال : خير امير ، نبطي في خبرته ، عربي في عزته ، اسد في ناموته ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، وينفر بالسرية، وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة ، فقال عمر : لشد ما تقارضتما الثناء .

الربيع في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

- 5 -

الحب والطبيعـــة :

وجد شعراؤنا عند الاوروبيين موضوعا ثانيـــا يدور حول فكرة الحب والطبيعة ، فحظى منهم باهتمام كبير ولان له نسبا وثيقا مع الغزل والتشبيب اللذين هما من الانواع المختارة فى شعرنا القديم ، وراح البعــض منهم يحاول ان يخصه بالقريض الجيد ... ولكن ، بما ان الموضوع طرق بكثرة حتى بلغ حد الابتذال ، فان التجديد فيه أصبح من العسير ، اللهــم الا اذا تناوله شاعر يتوفر على مواهب شعورية وفنية خاصة

والمرحوم ايليا ابو ما ضي لا يعـد من صغـــار الشعراء ، بل هو فى طليعتهم ، ومع ذلك فلننظر اليه كيف تهن شاعريته وتكل قريحته عندما يتناول موضــوع الحب والطبيعة فى قصيدة « الغابة المفقودة » وأنى لنا ان نطرب من هذا الشعر، والشاعر لا يحاول ان يتجاوز التجربة العادية التلقائية التي هي فى متناول كل واحد؟ بل انه ياخذ المعاني المبتذلة ويغرقها فى سيل مــن التشبيهات والاستعارات عساها تكسب جدة وطرافة فهو فى اول القصيدة يقدم لنا هكذا عشيقته « هند » :

يا لهفة النفس على غابــــة
كنت وهنـــدا نلتقي فيهـــا

انا كما شاء الهوى والصبــا
وهي كما شـــاءت امانيهـــا

تكـــاد من لطــف معانيهـــا
يشربهـــا خاطـــر رائيهـــا

آمنت باللــــه وآيـــاتـــه
اليـــس ان اللـــه باريهـــا

بعد هذا التقديم ، ينقلنا الشاعر الى جو الطبيعة، فما هي المعاني التي ينبثق عنها فكره ؟ انه لا يفاجئنا بجديد ، وانما يصف لنا جولته مع هند فى الغابـــة ، فالنبات ملتف ببعضه والطيور منهمكة فى شدوها، وكل هذه الظواهر ما هي الا صورة لمعجزة الحب، وهنا يدعو الشـاعر هندا الى ان تكون واياه جريئين صريحين مثل الزهور والطيور فى الابانة عن حبهما :

تـاغت الازهار عند الضحـى
متكئـــات فى نـواحيهــــا

الوى على الزنبـق نسرينهـا
والتـف عاريهـا بكاسيهـــا

واختلجت فى الشمس الوانها
كانهــا تذكـر ماضيهـــا

تآلفـت فالمـاء مـن حولهـا
يرقص والطيـــر تغنيهـــا

من لقن الطير اناشيدهــا ؟
وعلـم الزهـــر تآخيهـــا

يا هند هذي معجزات الهوى
وانهـا فينــا كما فيهـــا

لا تستحي الزهر باعلانهــا
فما لنا نحـــن نواريهـــا

وتهتف بها الطير فى الربـى
فمـا لنا نحـــن نعميهـــا

للـه فى الغابـــة ايامنـــا
مـــا عابهـا الا تـلاشيهـــا

وكل هذه معان تكاد تكون مبتذلة لولامجهود الشاعر من حيث البلاغة والبيان .

*

رومانطيقية جديدة فى الشعر النسوي :

كان التجديد ، اذن ، يتطلب كثيرا من الاقدام والجراة سواء فى التفكير والشعور او فى الالفاظ التي تعبر عن ذلك التفكير والشعور ، وقد قدر لبعض شواعرنا ان يكن فى طليعة التجديد ويساهمن فى خلق حركة « رومانطيقية » جديدة فى الشعر العربي .

نعم ، من الانصاف ان نعترف لشعراء من الجيل السابق امثال الشابي وجبران وغيرهما بفضلهم فى خلق تيار « رومانطيقي » داخل الشعر العربي ، ولكن شعراء الجيل الحالي استطاعوا ان يبرزوا هذا الشعر فى صورته المثلى وان يصوغوه فى قوالب عربية صحيحة ، فلم يبق الا ان ننظر مقدار ما اتوا به من جديد .

وسنقتصر هنا على دراسة بعض المقطوعات التي تتصل بموضوعنا والتي هي من نظم شاعرتين كان لهما توفيق ملحوظ فى حركة تجديد الشعر العربي ، وهما « فدوى طوقان » و « نازك الملائكة » فكلتاهما كانتا قديرتين الى حد بعيد على التعبير عن بعض خلجات النفس امام الطبيعة .

ولنبدا بفدوى طوقان ، فلهذه الشاعرة روابط قوية مع بلدتها التي ولدت فيها ، روابط عاطفية روحية تتجاوز مستوى الوفاء للوطن ، وما شعرها الا تجاوب بين نفسها التي تحمل اشواقا مبرحة لا تنطفىء ومرائي بلدتها التي نشات وترعرعت بين احضانها ، فهي فى قصيدة « مع المروج » تخاطب المروج هكذا :

« هذي فتاتك يا مروج ، فهل عرفت صدى خطاها
عادت اليك مع الربيع الحلو يا مثوى صباها
عادت اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها
كالامس، كالغد، نزة الاشواق ... مشبوبا هواها »

فالشاعرة فى هذا المقطع القصير تنجح فى نقلنا نقلا حقيقيا الى جو الطبيعة وجو نفسها ، حيث نرى المروج ونشاهد هذه الفتاة التي كانت غائبة تعود اليها وحيدة لا يرافقها الا « رؤاها » ، وهي توقن بان شوقها اليها مقيم على حاله لا ينال منه الزمان .

الى جانب هذا ، لابد ان نلاحظ باعجاب ما تشف عنه هذه الابيات من انسجام بين الشاعرة والطبيعة ومن رفق ويسر فى الاتصال بينهما ، بحيث يسير هنا الفن والشعور جنبا الى جنب ، بل يلتقيان ويندمجان فى بعضهما ، ان هذه الابيات الاربعة تحتوي من العناصر الشعرية ما يشهد لصاحبتها بالبراعة ، ثم تصور لنا الروابط الخاصة التي بينها وبين المروج فتقول :

« قد جئت، ها انا، فافتحي القلب الرحيب وعانقيني
قد جئت اسند ها هنا راسي الى الصدر الحنون
واظل انهل من نقاء الصمت ، من نبع السكون
فهنا بحضنك استريح ، اغيب ، اغرق فى حنيني

وهنا ، هنا ، فى جوك المسحور ، جو الشاعرية
كم رحت استوحي الصفا رؤى خيالاتي النقية
فتضمني فى نعمة الالهام اجنحة خفية
تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الآدمية

كم رحت ارقب فى انجذابي طلعة القمر الرهيف
متوحدا ، تلقى الغيوم عليه هفاف السجوف
احلامه الفضية انتشرت على الافق الشفيف
بيضاء ، كاحلامي ، نقيات ، مجنحة الطيوف »

السنا نسمع هنا صدى لافكار روسو والشعراء الرومانطيقيين عن صفاء الطبيعة ومثاليتها ؟ فلكان الشاعرة كانت منفية فى ارض الغربة قبل ان ترى مروجها ، ولكانها تحقق كل امنيتها فى الحياة لما تعود اليها ولا يطفىء حنينها الا الاندماج بل الذوبان فى ارض مروجها ، وذلك حين تقول فى المقطع الاخير :

« اواه ، لو افنى هنا فى السفح ، فى السفح المديد ..
فى العشب، فى تلك الصخور البيض، فى الشفق البعيد ..
فى كوكب الراعي يشع هناك ، فى القمر الوحيد ..
اواه ، لو افنى ، كما اشتاق ، فى كل الوجود .. »

حقا ، اننا نسمع فى هذا الشعر اصداء لقصائد « لامارتين » وغيره من الشعراء الرومانطيقيين ، ولكننا

نحس مع ذلك ونحن ننصت اليه بتمعن ان تجربة الشاعرة صادقة عميقة ، وان ابياتها تمتاز بنوع من الطراوة والخفة والشباب ، وان الشاعرة لها قصة في حياتها ، قصة صهرت شخصيتها وفجرت لها ينابيع الفكر والشعور .

الا ان هذه القصة لم تجعل من الشاعرة مغنية الامل والسعادة ، بل انها جعلت منها ، على العكس ، منشدة اليأس والحيرة ، فهي في الوقت الذي ترى فيه الجمال وتدركه بكل مشاعرها ، تفهمك انه ظل زائل لا يبقى وراءه الا الشر والدمامة ، وقصيدة « الروض المستباح » تبين لنا ان الجمال كائن حي قوي ، ولكنه دائما مهدد ، وحالته هذه تدعونا الى العطف والشفقة عليه ، تبتدىء الشاعرة قصيدتها فتنادي طائرها للغناء :

اين الغناء العذب يا طائري
تسبق فيه كل شاد طروب
واين افراح الصبا الزاخر
باللهو ، ام اين المراح الدؤوب
مالك تلقى نظرة الحائر
يريد يستجلي خفايا الغيوب ؟
وما الذي في قلبك الشاعر
قل لي، فان البث يشفي القلوب

وتحاول الشاعرة ان تغري الطائر بالغناء فتصور له مباهج الروض :

اما ترى حولك همس الورق
يسكبه في اذن الجدول
كانه نجوى محب سرق
هنيهة من غفلة العذل
والزهر الرفاف اما عبق
عبيره يسري مع الشمال
وهذه الدنيا ، وهذا الالق
فمتع النفس ولا تمهل

* * *

بين الفراشات وزهر الربيع
هينمة الصب اذا يعتب
وبح الفراشات ، هواها خدوع
تلهو بذا ، وبذا تلعب
كم توهم الزهر هيام الولوع
وقلبها يا طائري قلب
فيها الى التبديل طبع نزوع
والطبع غلاب فما يغلب

وهذه الوردة ذات الرواء
كم تشتهي لحنك في حبها
بلبلها اليوم اليها افاء
وارسل العطر الى قلبها
وفى لها ، والنفس تلقى الوفاء
اجمل ما تهداه من صحبها
لحن ومتعها بهذا الصفاء
او ، لا ، فلن تنجو من عتبها

ولكن صمت الطائر جعل الشاعرة تستريب مما حواليه وتنظر فترى الخطر الذي يهدد الروض والطائر في شكل بوم جاء بشؤمه ليعبث بجمال الروض ويهاجم وكر الطائر :

ماذا ارى ؟ هذاك بوم غريب
منطلق ، جهم المحيا ، وقاح
يحوم في الروضة حوما مريب
غدوه متهم ... والرواح
يطل من عينيه قلب جديب
لكنه ارعن ، فيه جماح
اقتحم الباب اقتحام الغصوب
وجاس في الروض طليق الجناح

هذه النغمة الحزينة اليائسة ، نجد شاعرة اخرى تصدت قبل فدوى طوقان لايقاعها وترديدها بلغة ربما كانت اقوى صراحة واشد وقعا ، انها « نازك الملائكة » ، ونازك شاعرة ثائرة تكاد ترتفع في ثورتها الى آفاق ما بعد الطبيعة ، وتكاد تزلزل ما الفناه من نظرة الى الواقع وتذوق للجمال ، فهي امام مناظر الطبيعة الجميلة التي توحي عادة بالدعة والهدوء والاستقرار وتبعث في النفس نشوة دافئة منعشة ، لا ترى الا سخافة الكون

وعبث الوجود وفراغ الحياة من كل معنى وفائدة ، وتراكم الآلام والاشجان ، ولنتمعن هذه المقاطع من قصيدة « الغروب » :

هبط الليل وما زال مكاني
عند شط النهر ، في الصمت العميق
شردت روحي ، وغابت عن عياني
صور الحاضر والماضي السحيق
وامحى في خاطري ذكر الزمان
وتلاشت ذكر الدهر المحيق
ليس الا الحزن يمشي في كياني
وانا في ظلمة الليل الصديق

غرق الضوء وراء الافــق
حائل قد كاد يمحوه الفناء
وانا تمثال حزن محرق
وخلا العالم من لون الضيــاء
ليس الا رمق في الشفق
وشقاء مطبق فوق شقاء
ارمق الافق بطرف مغرق
تائه يطوي دياجير الفضاء

فمنظر الغروب الذي يكون مدعاة عند بعض الشعراء للمزيد من الحياة والاستمتاع بها لا يثير في نفس شاعرتنا الا اليأس والحزن ، وتستعرض بعض المشاهد التي ترافق ساعة الغروب ، ملقية عليها نظرة قاتمة مفتمة ،فالراعي عند ما يعود باغنامه ليس الا « حزنا وسكونا » ونباح الكلب في الحقل ليس الا صوتا « موحشا في ظلمة الليل » ، « غامض الوقع » ، ومياه النهر المنسابة انما « تجري في شحوب ، تحت اكداس الغيوم الجاثمات » ، وصدى الطاحونة انما « يكتب النفس باشجى النغمات » .

وتختم القصيدة بهذه الابيات التي تقدم فيها خلاصة شعورها :

هكذا مر على روحي الغروب
غامض الظل حزين الخطوات
فوداعا ايها الجرف الكئيب
ووداعا يا غمار الظلمات

الا ان نازك التي تراها في كثير من قصائدها تلقي نظرة بائسة حزينة على العالم فتصبغه بالوان متجهمة كئيبة ، تستطيع من حين لآخر ان تعيش لحظات من الاشراق الروحي فيفيض شعورها بابيات باسمة متهللة ، كلها تحية للكون وللحياة ، كما نرى ، مثلا ، في قصيدتي « جزيرة الوحي » و « صلاة للقمر » .

ففي قصيدة « جزيرة الوحي » ، نرى الشاعرة وقد ملت خمولها في جو اليأس والقنوط تريد ان تنطلق من عقالها لتذهب الى عالم تشع فيه البهجة والفرح فتقول :

خذني الى العالم البعيــد
يا زورق السحر والخلـود
وسر بقلبي الــى ضفاف
توحي الى القلب بالقصيـد
جزيرة الوحي ، من بعيـد ،
تلوح كالامل البعيـد
الرمـل في شطها نـدي
يرشف من دجلة البـرود
والقمـر الحلـو ، في سماها
امنيـة الشاعـر الوحيـد
فلتسـر يا زورقي بروحـي
قـد آن ان يستفيـق عـودي
وآن للشعـر ان يغنـي
بالحلم الضاحك الشرود ..

فلتبسمي ، يا ابنة الاغانـي
للشاطىء الساحـر المديـد
ولتوقفي الـزورق المغنـى
تحت شعاع السنا البديـد
العـود والشعـر والامانـي
شاعرتـي ، فاصدحـي وزيـدي
قـد ضحك العمـر واستنامت
عواصف اليـأس والنكـود
وانقلب اليـأس بشريـات
وأمنيـات ، فـاي عيـد

اما فى قصيدة « صلاة للقمر » فقد التحت الشاعرة منحى رمزيا، بحيث ان الالفاظ تتجاوز معناها الظاهري :

كاس حليب مثلج ترف
ام جدول سائل من الصدف

ام غسق ابيض يسيل على
خدود ليل معطر السدق

ام حق عطر ملون خضل
يقطر شهدا لكل مقترف

ام انت خد مزنبق ادج
ينعس فوق الاعشاب والسعف

يا فضة كالضياء لينة
يا لون حبي القديم ، يا شغفي

* * *

ما انت ؟ يا دورق الضياء ويا
كواكبا فى الظلام منصهرة

يا قبلا يا سوسنيه سكبت
شهدا مصفى فى ليله عطرة

يا مخبا للجمال يا حزما
من زنبق فى السماء منعصرة

ويا شفاها من الضياء دنت
تمسح وجه العرائش النضرة

يا بركة العطر والنعومة يا
سلة فل فى الافق متحدرة

هاتان القصيدتان الاخيرتان سقناهما كمثال عن الشعر الباسم المشوق فى دواوين « نازك الملائكة » ، ولكن هذا النوع كما قلنا من المستثنيات ، والذي يغلب على الشاعرة هو النوع المتشائم الحزين .

ان الامثلة القليلة من شعر « فدوي طوقان » و « نازك الملائكة » التي القينا عليها نظرة سريعة تبين لنا ان الشاعرة العربية ربما كانت اكثر جراة فى التعبير عن شعورها وافكارها ، وهذا الشعور وتلك الافكار تصطبغ بلهجة ثائرة تعرب عن روح قلقة متوثبة ، روح عطشى لا تجد فى الماضي ولا فى الحاضر ما يبدل صداها ولا تصادف فى العالم الخارجي الا اسباب الحزن والياس والتشاؤم ، فهي شاكية ، باكية ، ملتاعة وقد يكون من المفيد البحث عن علة هذه الميزة التي اختصت بها بعض شواعرنا ، والعلة فى هذا الباب لا ترجع الى سبب واحد ، بل الى اسباب منها ما هو ناشىء عن طبيعة الفرد وذاتيته ، ومنها ما هو وليد المجتمع ، ويخيل الي ان الاسباب الاجتماعية ، فى المسالة التي نحن الان بصددها ، اقوى من الاسباب الفردية .

فالظاهرة التي لاحظناها فى هذا الشعر النسوي هي ، قبل كل شيء ، ناتجة عن التقاء عاملين اجتماعيين هما :

اولا ــ عامل التطور الاجتماعي الذي دخل على المجتمع العربي بصفة عامة .

ثانيا ــ عامل الانقلاب الثوري الذي حدث خاصة فى المجتمع النسوي العربي .

وبعبارة اوضح ، ان المراة العربية تعيش فى آن واحد ثورتين متوازيتين : ثورتها كمواطنة تساهم فى تطور وتقدم امتها ، وثورتها كسليلة جنس اقتضى له نظر الرجل ان يعيش فى اطار خاص وفى عالم كله سدود وقيود .

الا ان الذي حدث فى المجتمع العربي ، بصورة خاصة هو ان المراة ، رغم كونها تعيش ثورتين فى آن واحد ، فانها لا زالت فى عراك مع التقاليد ولا زال الوسط الذي تعيش فيه غير متهيىء ولا ممهد ليتركها تلعب دورها وتصل بثورتها الى نتائجها الطبيعية ، فثورتها بهذا المعنى ، نظرية اكثر منها عملية .

ولذلك ، فانها ، مهما وهبت حظا من الشعور والذكاء مثل « فدوى طوقان » و « نازك الملائكة » ، تشعر بالفراغ حولها وتدرك ان وجودها فى المجتمع لا زال لم ياخذ معناه الحقيقي الواسع الكامل ، فهي حسب القوانين والاوضاع المجددة ، اصبحت تتمتع بكل الحقوق وتتوفر على نصيبها من الحرية ، ولكنها حسب الواقع الاجتماعي لا زال مفروضا عليها ان تقنع بالسراب والهباب الوهمية وان تظل منزوية فى ركنها ، كل هذا لان الشعور الاجتماعي فى مجتمعاتنا لم يستسغ فى اعماقه ، ما يسمى بحرية المراة وحقوقها

ومهما يكن فان هذه الوضعية الشاذة هي التي تجعل بعض شواعرنا يعشن هذه التجربة الرومانطيقية القوية ، وقد يكون فى هذه **الظاهرة** برهان جديد على ان الابداع الفني كما يقول بعض الفلاسفة ، لا يتولد الا عن الاحوال الشاذة والمتوترة .

(يتبـــع)

المراحل الفكرية لحياة الغزالي

للاستاذ محمد صالح الزعيمي

ان المصدر الاساسي الوحيد الذي يمكن ان يستقي منه الحديث عن حياة الغزالي ومراحلها الفكرية هو كتابه الطريف المسمى بـ « المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال » .

ولما كان هذا الكتاب قد اصبح ـ من حيث هو مرجع يعتمد عليه فى التعرف على حياة ابي حامد الغزالي ـ موضع شك من قبل بعض الباحثين ، فسوف لا نغفل هذه الناحية ايضا ، وسنحاول تبين حقيقة الامر ، ولكن لا غنى لنا عن ان نستلهم اولا هذا الكتاب فى موضوعنا وان نتعرف على ما اراد الغزالي اطلاعنا عليه من مراحل تفكيره .

يقص الغزالي فى (المنقذ) قصة حياته فى لهجة خطابية مؤثرة واسلوب جميل تسوده رزانة تدل على عمر صاحبها .

ويحدد الغزالي فى البدء المواضيع التي سيتحدث عنها وهي الحديث عما قاساه فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، وما تجرأ عليه من الارتفاع من التقليد الى الاستبصار ، وما استفاده من علم الكلام ، وما احتواه من طرق التعليمية ، وما ازدراه من الفلسفة ، وما ارتضاه من التصوف ، وما صرفه عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلاب ، وما دعاه الى العودة الى نيسابور .

ان اسلوب الغزالي هنا هو اسلوب القصة المشوقة الجميلة المؤثرة ، وليس هذا الكتاب فى الحقيقة الا قطعة ادبية فنية .

يقول الغزالي انه منذ شبابه لم يزل يقتحم لجة ذلك البحر العميق الذي غرق فيه الاكثرون ، وما نجا منه الا الاقلون ، ذلك هو بحر اختلاف الاديان والملل والمذاهب مع تباين الطرق والفرق ، فلم يكن يترك مسالة الا ويحاول استكشافها ، ولا مذهبا او فرقة الا ويسعى للاطلاع على كنهها وحقيقتها ، وكان تعطشه ذاك الى درك الحقائق غريزة وفطرة من الله وضعت فى جبلته ـ وبذلك انحلت عنه عقدة التقليد ، وخاصة عندما لاحظ ان ابناء كل من النصارى واليهود والمسلمين لا ينشأون الا على دين آبائهم (قال رسول الله (ص) كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) .

وعند ما فكر الغزالي بكل هذا ظهر له ان العلم اليقيني (هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الامان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصى ثعبانا ، لم يورث ذلك شكا وانكارا . . . فانني اذا علمت ان العشرة اكثر من الثلاثة ، فلو قال لي قائل : لا بل الثلاثة اكثر من العشرة بدليل اني اقلب هذه العصا ثعبانا ، وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم اشك بسببه فى معرفتي ، ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه ، فاما الشك فيما علمته فلا) (1) .

فكل علم لم يصل الى هذه الدرجة من اليقين فلا ثقة به ولا امان معه .

فهل وجد الغزالي ان عنده من هذا النوع من العلم شيئا . . . كلا ! الا فيما يتعلق بالحسيات والضروريات ، الا ان الحواس خادعة ، فان العين تنظر الى الظل فتراه واقفا فتحكم بسكونه، ثم تدل المشاهدة

1) المنقذ من الضلال ص 59 طبعة دمشق 1956

بعد ساعة على حركته ، وكذلك الكوكب نراه صغيرا فى حجم الدينار ، ولكن ادلة الهندسة تدل على أنه اكبر من الارض فى المقدار ...

هنا يكذب حاكم العقل حاكم الحس .. ولكن هل المعقولات يقينية هي الاخرى ؟ .. كـــلا ؛ لان المحسوسات قد تنهض قائلة : لقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني (فلعل وراء ادراك العقل حاكمـا آخر اذا تجلى كذب العقل فى حكمه كما تجلى حاكـم العقل فكذب الحس فى حكمه) (1) .

ويمثل ابو حامد لذلك بالنوم ، فنحن نعتقد فى المنام اننا فى عالم الواقع حتى اذا استيقظنا فاننا نعلم انه لم يكن لما رايناه فى المنام من حقيقة اصلا ، وقد قال النبي (ص) (الناس نيام فاذا ماتوا استيقظوا) فلعل المرحلة بعد العقل هي الموت ؛ ولعلها ما يدعيه الصوفية انها حالتهم بما يزعمون مشاهدته فى احوالهم اذا غاصوا وغابوا عن حواسهم .

فلما بلغ ابو حامد الغزالي الى هذه الحالـــة ، حاول علاجها بدليل ؛ ولكن كيف السبيل الى دليـل وهو يتم ترتيبه من الاوليات العقليـة ؛ وقـد شـك الغزالي فى كل شيء ؟

اعضل الداء وعز الدواء ، ودام هذا الحال مدة شهرين كان الغزالي اثناءهما (على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال) (2) ..

ثم شفي من ذلك وعادت نفسه الى الاعتدال ، ورجعت الى الضروريات العقلية قيمتها ... بدون نظم دليل وترتيب كلام (بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدور) وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف فمن ظن ان الكشف موقوف على الادلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة) (3) . ويستشهد الغزالي بمـــا ورد فى الاحاديث النبوية فى هذا المعنى فيقول أن النبي (ص) سئل عن معنى الشرح فى قوله تعالى (.. يشــرح صدره للاسلام ..) فقال (هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب) كما قال عليه السلام (ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) .

بعد هذا تبين للغزالي ان الحقيقة لن تعدو الفرق الاربع التالية :

ا ــ المتكلمون ويدعون انهم اهل الراي والنظر .

ب ــ الباطنية وهم يزعمون انهم اصحاب التعليم المخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم .

ج ــ الفلاسفة وهم يزعمون انهم اهل المنطـــق والبرهان .

د ــ الصوفية وهم يدعون انهم خواص الحضرة ، واهل المشاهدة والمكاشفة .

ورأى ابو حامد أن الحق اذا شذ عن هؤلاء فـلا مطمع فى ادراكه ، ولا فى الرجوع الى التقليد لان شرط المقلد ان لا يعلم انه مقلد . ولذلك بدا الغزالي يبحث هذه الفرق ويستقصي ما عندها .

1 ــ فابتدا بعلم الكلام فحصله وطالع فيه، وصنف ما شاء الله له التصنيف ، فوجد ان هذا العلم لا يفي الا بمقصود ذاته ، فلا يشبع نهم ابي حامد الى الحقيقة. والقصد منه حفظ عقيدة اهل السنة على اهل السنة ، وحراستها عن تشويش اهل البدعة ، فقد بعث الله تعالى الى عباده على لسان رسوله بعقيدة فيها صلاح دين العباد ودنياهم ، كما نطق بذلك القرآن والحديث، ثم القى الشيطان فى وساوس المبتدعة امورا تخالف السنة فلهجوا بها ؛ وكادوا يشوشون عقيدة الحق على اهلها ، ولذلك قام المتكلمون لنصرة السنة بكلام مرتب بكشف تلبيسات المبتدعة ، ومن ذلك نشأ علم الكلام ..

وقد احسن بعضهم الذب عن السنة والعقيدة ، الا انهم ــ فيما يرى الغزالي ــ اعتمدوا على مقدمـات اخذوها من الخصوم بدافع التقليد او تبعا لاجمـــاع الامة ، ولم تكن مهمتهم تخرج عن استخراج تناقض خصومهم ، واخذهم بلوازم مسلماتهم .

لذلك لم يستطع الغزالي ان ينتفع بشيء من هذا وهو الطالب للضروريات .

ويرى الغزالي ان المتكلمين لم يمحقوا الحيـــرة عنده ، ولا يستبعد ان يكون هذا قد حصل لغيره ،

---

1) المنقذ من الضلال طبعة دمشق 1956 ص 61 .
2) نفس المصدر ص 62 .
3) ص 63 .

الا انه لابد ان يستمر مشوبا بالتقليد فيما ليس من الاوليات .

2 ـ ومن هنا انطلق ابو حامد الغزالي الى الفلسفة ، فعلم انه لا يستطيع ان يقف على فساد علم من العلوم من لم يقف على منتهى ذلك العلم ، ثم يجاوز فيه درجة اعلم اصحابه ، وبذلك يطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة ، وهنا ما لم يهتم به احد من اهل الاسلام .

يقول الغزالي (ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة مبددة ، ظاهرة التناقض والفساد ، لا يظن الاغترار بها بعاقل عادي ، فضلا عمن يدعي دقائق العلوم ، فعلمت ان رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية) .

وقد شمر ابو حامد عن ساعد الجد لتحصيل الفلسفة من الكتب رغم انه كان مرهقا بالتدريس لثلاثمائة طالب من طلاب بغداد ، واطلع على منتهى علوم الفلاسفة في اقل من سنتين ، ثم واظب على التفكير فيها ما يقرب من سنة ، معاودا ، متفقدا حتى اطلع على ما فيها من خداع وتلبيس اطلاعا لم يشك فيه .

وقد علم الغزالي ان الفلاسفة على اختلاف انواعهم وكثرة اصنافهم تلزمهم وصمة الكفر والالحاد، وان كان هناك تفاوت بين قدمائهم ومحدثيهم في القرب من الحق والبعد عنه .

وتبين له ان الفلاسفة اصناف ثلاثة : الدهريون والطبيعيون والالهيون . ويفصل الغزالي في بيان الصنف الاخير ، ثم يرى ان مجموع ما صرح عنده من هذه الفلسفة الارسطية بحسب نقل الفارابي وابن سينا ينحصر في انواع ثلاثة ، وهي ما يجب التفكير به ، وما يجب التبديع به اي ما يجب اعتباره بدعة مستحدثة لم ترد في نصوص الشرع ولا اقوال اهل السنة ، وما لا يجب انكاره . . .

وتبين للغزالي ايضا ان علوم الفلاسفة رياضية ، ومنطقية ، وطبيعية ، والهية ، وسياسية ، وخلقية ،

فالرياضيات لا تنفي الدين ولا تثبته فلا سبيل الى مجاحدتها حيث انها امور برهانية ، الا ان لها آفتين :

الاولى تنشأ ممن يعجب بها وبدقائقها فيظن ان علوم الفلاسفة كلها على مثال ذلك الضبط وتلك الدقة، فيكفر بالدين ، ويعتنق الفلسفة ، ويرى ان الدين لو كان صحيحا لما تخلى الفلاسفة عنه وهم اصحاب هذه الدقة واهل ذاك اليقين . . ولهذا ينصح الغزالي بزجر من يخوض في تلك العلوم لانه قل ان يخوض فيها المرء ولا ينخلع من الدين ويفقد التقوى .

اما الآفة الثانية فتنشأ من صديق للاسلام جاهل يظن ان نصرة الدين تتم بانكار كل علم منسوب الى الفلاسفة ، ويحذر الغزالي من ذلك ، فان مثل هذا الشخص انما يضعف امر الدين وهو يحسب انه ينتصر له .

ذلك انه ليس في الشرع اي تعرض لهذه العلوم بنفي ولا اثبات .

اما العلوم المنطقية فشانها شان الرياضيات في انها لا توافق ولا تعارض الدين ، ولا يخالف الفلاسفة فيها اهل الحق ـ على ما يرى ابو حامد ـ الا بالاصطلاحات وكثرة التشعيبات ، ولها ما للرياضيات من آفة .

وفي الالهيات يرى الغزالي ان الفلاسفة لم يفوا بشروط القياس بشكل مضبوط . . ولا اعتراض للغزالي على طبيعيات الفلاسفة الا في المسائل التي اوضحها في كتاب (التهافت) والمتعلقة بمباحث السببية وغيرها . . .

ويلاحظ الغزالي ان كلام الفلاسفة في السياسة مأخوذ من الكتب السماوية والحكم المأثورة عن الانبياء

اما العلوم الخلقية فهي مأخوذة عن الصوفية وممزوجة بالفلسفة ترويجا لباطلها على حد قول الغزالي ، وقد تولد من مزج كلام الصوفية بكلام الفلاسفة آفتان :

الاولى في حق من يرد كلامهم بحيث يظن ان كل ما ذكره باطل . . . وهنا يوصينا الغزالي ان نعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال . . . كما يرى زجر العامة عن مطالعة كتب الفلاسفة ما امكن .

ويشعر الغزالي في هذه اللحظة كأن معاتبا يلومه على عدم تقيده بهذه النصيحة ، ومطالعته وايراده لما

ذكره الفلاسفة الاولون ضمن مؤلفاته واحاديثه ، وينبه الى ان بعض ما اعترض عليه في ايراده هو من مولدات خواطره ، ولا يستبعد ان يقع الحافر على الحافر ، ولا يمنع القول بها اذا كانت حقائق ، مجرد ذكر الاولين لها . . . وان من اقل درجات العالم التميز عن العامي .

اما الآفة الثانية فهي ان يحسن القارىء الظن بما كتبه اولئك لما يجده في كتبهم من الحق الممزوج بالباطل وبذلك يقبل كل ما يعرضونه عليه .

ولهذا يرى الغزالي ان من واجب العالم الراسخ ان يحذر الناس من ذلك الاذى ، اذى حسن الظن بكتب الفلاسفة لما فيها من حق ممزوج بالباطل .

وهكذا وجد الغزالي الفلسفة والفلاسفة : حق ممزوج بكثير من الباطل وطريق مليء بالغوائل والآفات، فلما فرغ من علم الفلسفة ، وعلم انه ايضا غير واف بكمال الغرض (ان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا الغطاء عن جميع المعضلات) وكان ان شاع بين الخلق تحدث التعليمية (الباطنية) بمعرفة الامور من جهة الامام المعصوم اذ ذاك عن للغزالي ان يبحث ما يقولون ليطلع على ما عندهم .

واتفق — كما يقول الغزالي — ان ورد عليه أمر من الخليفة لتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، وبذلك اجتمع الدافع الباطني الى الوازع الخارجي ، فابتدأ في الدراسة وجمع مقالات هؤلاء ، وكان قد بلغه بعض اقوالهم المستحدثة التي لم تكن عند سلفهم ، فجمعها واستوفى الجواب عنها حتى انكر عليه بعض اهل الحق ذلك ، لان التعليمية لم يكونوا يستطيعون نصرة مذهبهم باحسن مما قام به الغزالي .. ولكنه برر ذلك بقوله ان الشبهة اذا انتشرت فالرد عليها واجب ، سيما وقد سمع عن بعض اصحابه انهم كانوا يضحكون على الردود التي كانت تساق ضدهم ، لان الرادين لم يكونوا يفهمون حجتهم ، ويقول الغزالي في هذا : (فلم ارض لنفسي ان يظن بي الغفلة عن اصل حجتهم فلذلك اوردتها ، ولا ان يظن بي انني — وان سمعتها — لم افهمها ، فلذلك قررتها) .

ويرى الغزالي انه لا حاصل وراء كلام هؤلاء ، فلولا ان المتكلمين ناظروا التعليمية فاساءوا مناظرتهم ولم يتقنوا اساليب الرد عليهم لما انتشر امرهم وشاع حديثهم بين الناس .

والخلاصة ان الغزالي لم يجدعند هؤلاء التعليمية شفاء ينجي من ظلمات الاراء فانه لا علم وراء ما يدعون، بل غايتهم الوقوف عند القول ان العلم عند الامام المعصوم الذي لابد منه .

والغزالي يتهمهم بمحاولة استدراج العوام وضعفاء العقول ...

ومن هنا اتجه الغزالي الى طريق الصوفية .

وقد لمس ابو حامد ان طريق التصوف مزيج من علم وعمل ، وما ايسر العلم عندهم بالنسبة الى العمل . طالع الغزالي ما كتبه ابو طالب المكي ، والحارث المحاسبي ، وما اثر عن الجنيد والشبلي والبسطامي.. فظهر له ان خصائصهم لا يوصل اليها بالتعلم ، بل بالذوق وتبدل الصفات (وفرق بين ان تعلم حد السكر او الشبع ، وبين ان تسكر او تشبع) ، فكذلك الفرق بين حقيقة الزهد وشروطه ، وبين ان تكون حالة المرء الزهد والعزوف عن الدنيا ... هؤلاء اذن ارباب احوال لا اصحاب اقوال ، يقول الغزالي :

(وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها ، والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى ، وباليوم الاخر وبالنبوة) ... ولم يكن ذلك بدليل ، بل باسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها .

وكان قد بدا له ان لا مطمع في سعادة الاخرة الا بالتقوى ، وكف النفس عن الهوى ، بالتجافي عن دار الغرور، والاقبال على الله تعالى، وما يوصل الى سعادة الاخرة من الاعراض عن الجاه والمال ، والهرب من الشواغل كلها ، ثم لاحظ انه منغمس في العلائق ، وان احسن اعماله — التدريس — ليس مقبلا فيها على علوم مهمة ولا نافعة في الاخرة ، كما تفكر في ان نيته في التدريس غير خالصة لوجه الله بل باعثها ومحركها طلب الجاه والصيت ، فادرك انه على شفا جرف هار ان لم يشتغل بتلافي الامر .

لنستمع الى الغزالي وهو يصف تردده وصفا رائعا مؤثرا :

(.. فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ، ومنادي الايمان ينادي الرحيل الرحيل / فلم يبق من العمر الا القليل وبين يديك السفر الطويل

وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل ، فان لم تستعد الآن للاخرة فمتى تستعد ؟ وان لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع ؟) (1) ثم يقول الشيطان لابي حامد : (هذه حالة عارضة اياك ان تطاوعها فانهـــا سريعة الزوال فان اذعنت لها وتركت هذا الجـــاه العريض، والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والامر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم، ربما التفتت اليك نفسك ولا تتيسر لك المعاودة) (2) .

وبلغت هذه الحال المضطربة ذروتها واصبحت ازمـة نفسية حادة اعتقل اثناءها لسان الامام عن التدريس مما اورثه حزنا تسرب الى باقي الاعضاء فامتنع مـــن الطعام والشراب ويئس من علاجه الاطباء .

فلما عجز الغزالي نهائيا لم يبق له الا التجاء الى الله تعالى ، فاجابه (الذي يجيب المضطر اذا دعاه) فسهل عليه الاعراض عن الجاه والمال .

واشاع الغزالي انه ينوي السفر الى مكة ، وهو يضمر السفر الى الشام لئلا يطلع الخليفة وجملـــة الاصحاب على الامر ، وقد استهدف الغزالي من جراء ذلك لحملة ائمة العراق الذين لم يصدقوا ان رحيله كان لسبب ديني ، غير طلب جاه دنيوي اكبر .

اخذ ابو حامد ما يكفي له ولاطفاله من مال العراق الذي هو وقف على المسلمين ، ثم دخل الشام فاقام فيها سنتين معتزلا الناس ، خاليا الى نفسه بالرياضة والمجاهدة ، لتزكية النفس وتصفية القلب لذكر الله كما تنص على ذلك تعاليم الصوفية .

وكان يغلق على نفسه طيلة النهار في صومعـــة مسجد دمشق ، ثم سافر الى القدس وكان يدخـــل الصخرة ويغلقها على نفسه كل يوم ...

ثم تحرك فيه دافع نحو حج البيت الحرام وزيارة الرسول (ص) ، فسار الى الحجاز .. ثم ..

ثم جذبته الهمم ، ودعوات الاطفال الى الوطن .. فرجع اليه بعد ان كان ابعد الخلق عن ذلك لقد كانت حوادث الزمان وضرورات المعاش تغير فيه وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة ، فلم يكن يستطيع معـــاودة الخلو والتفكير الا في اوقات متفرقة ، وقد دامت عزلته عشر سنين .

ويقول ابو حامد انه قد انكشف له اثناء ذلك ما لا يمكن احصاؤه من الامور ، ومـا يستطيع ان يذكره ، هو انه علم يقينا ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى ، خاصة وان سيرتهم احسن السير واخلاقهم ازكى الاخلاق ، فلا واحدة من الفرق السالفة الذكر تضاهيهم فيما هم عليه من صواب وخيـــــر ، لان حركاتهم وسكناتهم قبس من مشكاة النبوة .

ويفصل ابو حامد طويلا في ذكر محاسن الصوفية، وما يصلون اليه من مشاهدتهم الملائكة وارواح الانبياء، وما يقتبسونه من ذلك من الفوائد مما لا يستطيع المرء التعبير عنه بالالفاظ دون ان يقع في خطا صريح .

على ان الغزالي لا يفوته ان ينتقد التفسيـــرات التي اتى بها بعض المتصوفة لما يحصل لهم كالحلـول والاتحاد ، والوصول ، ويوصينا بالتمثل في هذا الشان بالبيت القائل :

وكان ما كـــان ممـــا لست اذكــره
فظن خيرا ولا تسأل عـــن الخبــر

ويرى الغزالي ايضا انه لابد من ان يستفيد المرء من مجالسة اهل التصوف حسب استعداده وان من لم يصحبهم يستطيع ان يعلم امكان ما يصلون اليـــه بشواهـد البرهـان .

ثم يحمل على المتكوبين الذين يسمون اقــوال الصوفية هذيانا ، مستشهدا بالاية الكريمة : (ومنهـم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا مـن عندك قالـوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا ؟ اولئك الذين طبـع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم) .

اما كيف رجع الغزالي الى التدريس ، وفـــارق عزلته ، فانه يقدم لتبرير ذلك بمقدمة وعظية يشـــرح فيها ما استفاده في خلوته :

---

1) المنقذ ص 98 .
2) المنقذ 98 ــ 99 .

يرى الغزالي ان الانبياء اطباء لامراض العقول ، وليس للعقل من فائدة سوى تعريفنا بهذا الامر ، وان يشهد للنبوة بالتصديق ، ويعترف بعجزه عن ادراك ما يدرك بعين النبوة . . هنا تنتهي حدود العقل البشري، . . وذلك ما عرفه ابو حامد بالضرورة .

وقد شاهد فتورا فى الاعتقاد باصل النبوة ، وفى حقيقتها ، وفى العمل بمقتضى تعليماتها ، وتحقق من شيوع ذلك بين الناس ، ولاحظ ان ذلك الفتور يرجع الى اربعة اسباب :

ا ــ احدها من الخائضين فى الفلسفة .

ب ــ والثاني من الخائضين فى طريق التصوف

ج ــ والثالث من المتسببين الى دعوة التعليم

د ــ والاخير من تصرفات الموسومين بالعلم بين الناس .

فهناك من يتعلل ــ اذا سئل عن سبب فتور اعتقاده ــ بفساد اخلاق من يدعون العلم ، واكلهم اموال الناس بالباطل وشربهم الخمر ، وهناك المتصوف الذي يرى انه ارقى من ان يحتاج الى العبادة وهناك من يقول ان الفرق مختلفة فلا ثقة بأي راي ، وثمة من قرا الفلسفة فتوصل الى ان يقول ان حقيقة النبوة راجعة فى نهاية لامر الى الحكمة ، والمصلحة ، وان القصد من التعبد ضبط العوام عن التقاتل والتنازع ، وانه ــ هو ــ ليس من العوام ، حتى يدخل فى حجر التكليف

ويقول الغزالي ان ذلك منتهى ما تعطيه الفلسفة الالهية من الايمان ، وهؤلاء هم متجملون بالاسلام . . فلما رأى كل ذلك ، ولاحظ ان (افضاح هؤلاء ايسر عنده من شربة ماء لكثرة خوضه فى علومهم وطرقهم) قال فى نفسه ماذا تغنيني الخلوة والعزلة وقد اشرف الناس على الهلاك . . ثم راجع نفسه متسائلا : (متى تشتغل انت بكشف هذه الغمة ، والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ، ولو اشتغلت بدعوة الى الحق لعاداك اهل الزمان بجمعهم ، وانى تقومهم فكيف تعايشهم ولا يتم ذلك الا بزمان مساعد وسلطان متدين قاهر) .

وما يكاد الغزالي يستقر على البقاء، دون الصدام، حتى قدر الله فتحرك داعية سلطان الوقت دون تنبيه له من الخارج ، فالزم الغزالي بالنهوض الى نيسابور لتدارك الامر ، وقد بلغ هذا الالزام الملكي حدا خطيرا بطلت به كل الاسباب التي كانت تدعو الغزالي الى القعود ، ويستشهد ابو حامد هنا بالآية الكريمة (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا واوذو حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبا المرسلين) . . ثم شاور الغزالي بعض ارباب المشاهدات فاتفقوا على وجوب ترك العزلة ، هذا الى منامات رآها بعض الصالحين ، تحبذ هذه الحركة التي (قدرها الله المولى جل وعلا على رأس هذه المائة) .

ويقول الغزالي : (وانا اعلم اني وان رجعت الى نشر العلم فما رجعت ، فان الرجوع عود الى ما كان ، وكنت فى ذلك الزمان انشر العلم الذي يكسب الجاه ، واوعد اليه بقولي وعملي ، وكان ذلك قصدي ونيتي واما الان فادعو الى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه) .

هكذا يعرض ابو حامد قصة تطوراته الفكرية والنفسية ، وهو يتطرق بعد كل ذلك الى سلسلة من المواعظ والارشادات ، التي تبدو صادرة بكل وضوح عن شيخ تقي ورع يقوم بمهمة الارشاد وتقوية الايمان فى النفوس . .

فهل ترانا نستطيع الاطمئنان الى هذا العرض ، ونقبله دون مناقشة . . ؟

(يتبـــــع)

العدالة في انجلترا

للأستاذ محمد بن تاويت

القانـــون المدنــــي

من المعلوم ان القانون المدني يتناول القضايـــا المدنية كما يتناول القضايا الجنائية ، وغالبا مايكــون سماع هذه القضايا - بنوعيها - بنفس المحاكم ، ومن نفس القضاة ، وعلى كل محـام ان يـزاول القانـون المدني ، كما يزاول القانون الجنائي ، وحتى المجالـس الصغرى التي يعقدها قضاة محليون جزئيون ، وهـم كما راينا غير محامين بالكلية ، فانها تباشر قليلا مـن القضايا المدنيـة ، ويسمـع قاضي المحكمـة العليـا بالدائرة ، كلا من القضايا المدنية والقضايا الجنائيـة ، اما المحكمة العليا بلندن فانها نادرا ما تباشر القضايـا الجنائية . ولكن قضـاة المحكمـة العليـا يعقـدون جلساتهم في محكمة الاستيناف الجنائيـة ، وكذلـك يعقدونها في المحكمة الجنائية المركزية ، المعروفة باسم (بيلي العتيقة Old Bailey) وهي المحكمـة الدوريـة للنـــدن .

وهناك فرعان من القانون المدني ، يعرضان على قسم الاريكة الملكية بالمحكمة العليـا ، او على المحكمـة الاقليمية ، ان كان المبلغ المتنازع فيه قليلا ، كما يأتـي مبينــــا .

وهذان الفرعان هما قضايا العقود وقضايا الضرر Tort . والعقد هو اتفـاق على شيء ، او اتفـاق على عمل ، او اي نوع آخر ، مما يعد به طرف طرفا آخر ، بانه سيقوم بفعله مقابل مكافاة (قيمة سلمت او وعـد بهـــا)

اما الضرر فهو عامل أسيء بارتكابه . وكلمة Tort كلمة فرنسية معناها الخطأ ، فهو غير عمل جنائي ، قد ارتكبه شخص جانيا به على آخـر

وهناك عدة تصرفات من هذا النوع مثلا ، سيارة تمر على شخص تحتها ، وموظفا يطرد مـن وظيفتـه بدون موجب ، وشخصا نشر شيئا مضرا بآخـر ، في صحيفة او سطر ذلك في رسالة بعث بهـا الى شخص ثالث ، مما سميناه هجوا Libel ، او تكلم كلاما قبيحا مع شخص في حق طرف آخر ، مما سمينـاه افتـراء Slander .

وحينما يقع شيء من هذا القبيل ، وهو واقـع في كل زمان ومكان ، فان الشخـص الذي قـد اسيء اليه ، قد يطلب من المحكمة ان تنصفه ، وهناك عـدة انواع من الانصافات ، والمعتاد منها غالبا هو التعويض بمبلغ من المال ، على مالحقـه من اضـرار . غيـر ان المحكمة ايضا قد تامر جانبا من المتعاقدين بان ينفـذ ما حصل عليه الاتفاق (اجراء خاص) ، او تأمر المذنب الذي اساء بهجوه او افترائـه ، بأن يقـوم باعتـذار مناسب ، ويكون هذا الاعتذار على العموم علنيا . فان لم يطع امر المحكمة ، فان المحكمة المدنية تقضي بسجن هذا المذنب ، لاستهانته بالمحكمة for (Contempt of Court) .

ونفس الاجراء يقع حينمـا يطالب بأداء ديـن ، فتقرر المحكمة القسط الذي يمكن ان يؤديه المديـن في كل دفعة : كان تامره مثلا بدفع جنيهين في كل اسبوع . فان تأخر عن ادائه ، فان المحكمة ترسله الى السجن ، لاستهانته بها ، الا ان يستطيع اقامة البرهـان على ان عدم ادائه كان لعائق مقبول .

سيـر المرافعـة في القضايا المدنيـة

تباشر جميع القضايا المدنية بنفس الطريقـة ، فالشخص المساء اليـه يذهب الى اقـرب محكمـة اقليمية ، ليقابل امين السجل Registrar أو يذهب الى

المحكمة العليا بلندن فى الأهم من القضايا ، ويطلب امرا قضائيا Writ ضد الطرف الآخر (الخصم) وهذا الامر يرسم الشكوى باختصار جدا ، ثم يستدعي المشكو للحضور بالمحكمة ، باسم الملكة (او الملك) ، ليجيب عن التهمة التي وجهت اليه ، وهذا الاعلام يجب ان يسلمه ضابط المحكمة الى المشكو نفسه ، فان تعسر العثور عليه بواسطة الضابط المذكور ، فيرسل اليه هذا الاعلام بواسطة البريد . وعلى هذا المشكو ان يحضر الى المحكمة ، بقصد الاجابة عن الشكوى التي ادعيت عليه ، وذلك داخل وقت معين ، عادة ما يكون ثمانية ايام ، فيذهب بنفسه ، او يطلب من وكيله Solicitor ان يذهب نيابة عنه ، او يكتب رسالة الى المحكمة ، يعلمها فيها بالمكان الذي به ، وانه مستعد للحضور ، كما يعين اسم وكيله ، ان كان .

فان لم يجب ، داخل الاجل المذكور ، فان القضاء يكون ضده ، الا ان يكون قد عاقه عن الحضور عائق ليس فى استطاعته التغلب عليه ، من نحو مرض ، او غياب عن البلاد ..

وحينما يحضر كلا الخصمين الى المحكمة ، فان القضية تسمع منهما اولا بطريقة سرية ، وذلك بواسطة امين السجل بالمحكمة الاقليمية ، او بواسطة الرئيس « Master » الذي هو من نوع القضاة الصغار، بالمحكمة العليا ، ويقع هذا السماع فى محل يسميه الانجليز باسم الغرف« Chambers » وهي عبارة عن حجرة فى قصور القانون the Law Courts ، وليست فى المحكمة نفسها . وفى معظم القضايا يسوى النزاع عمليا فى هذه الغرف ، بمحضر «الرئيس» ، او امام امين السجل ، فلا يسمع احد شيئا عن القضية ...

ولكن اذا لم يستطع الرئيس بالغرف بالمحكمة العليا او امين السجل بالمحكمة الاقليمية ، ان يسويا النزاع بين الطرفين ، فانه يصدر ما يدعى « امرا بالحضور الى الادارة » « summons for directios » وحينئذ يشرع فى تحضير المحضر المطول والمفصل ، عن الدعوى . وهذا نادرا ما يقع ، فان معظم الناس يتوقون الى تجنب ما يزعجهم ، ويعلن عن قضاياهم . ويرضيهم جدا أن تسوى نزاعاتهم بواسطة الرئيس او امين السجل ، فان ذلك لايكون له من الأهمية بحيث ينتشر على العموم ...

والواقع ان قليلا من الناس فى المملكة المتحدة ، باستثناء المحامين ، والاشخاص الذين اتصلوا بقضية من هذا النوع ، يعلمون شيئا عن مراحل هذا الاجراء ، بل ربما لايكون لغيرهم علم حتى بوجوده ، وهو لايثير فينا كثيرا من العجب ، ولكنه مهم الى اقصى حد .

ويمكن الرئيس او امين السجل المدعي ، الذي يدعى الآن بصفة رسمية باسم المشتكي plaintiff من مدة معينة ، بحيث يمكنه فيها أن يرسل تقريرا كتابيا عن القضية ، التي على المدعى عليه ، الذي يدعى الآن رسميا باسم المدافع defendant ، ان يستعد للاجابة عنه ، وهذا (المقال) يدعىباسم «تقريرالشكوى» Statement of Claim وهو ينص على تفاصيل الاساءة التي ارتكبت ، وفى نفس الوقت ينص كذلك على التعويض الذي يطالب به المشتكي . وقد يتخذ فى الموضوع اكثر من هذا ، فانه من الجائز ان يقيم « المدافع » قضية يشكو فيها «المشتكي» ، وبهذا يكون الطرفان معا يمثلان جانبين فى الخصام : كلاهما مدع ومدعى عليه .

فالشخص الذي صدمته سيارة ، ربما كان آنذاك يتخطى الشارع فى عدم انتباه ، والسائق وهو يوقف سيارته بسرعة ، على هذا الحادث ، ربما يكون قد أصيب برضوض او تهشيم ، من جراء هذا الاصطدام ، والموظف الذي طرد بدون موجب ، ربما يكون فى الواقع قد وضع ملفا له اهمية كبرى فى غير محله ، والرجل الذي قد هجي او افتري عليه ، ربما يكون قد كتب او فاه بشيء يسيء الى من قدم به شكايته ...

ولهذا فانه حينما يجري الدفاع ، فان المدافع قد يضيف الى ذلك دعوى فرعية Counterclaim بالأضرار التي لحقته ...

وكلا الطرفين فى النزاع يطلع على تقرير الشكوى والدفاع ، مع دعوى الدفاع الجزئية ان كانت .

وقد تستمر « مساجلة الخصام » وقتا طويلا ، فالمشتكي قد يجيب الدفاع بالرد عليه Rejoinder مبينا كيف اخطا الدفاع فى سيره ، من حيث الزمان والمكان ، وحينئذ فان المدافع قد يجيب بالحجة الدامغة Rebuttal . ولكن هذا نادر الوقوع ، ذلك ان

تقريري الشكوى والدفاع عادة ما يقتصر على تبادلهما بين الطرفين . ومع هذا فان كلا الطرفين قد يبحث عن أعظم التفاصيل فى القضية (احسن الخصائص وافضلها) او يطالب بالاطلاع على الرسوم اللازمة (فحص الوثائق Discovery of Documents) .

وكل هذه الأوراق المستعملة فى القضية ، والتي تتقدم سماعها فى المحكمة علانية ، يتولى ضبطها «الرئيس» بالغرف ، ان كانت من قضايا المحكمة العليا ، او يتولى ذلك امين السجل ، ان كانت من قضايا المحكمة الاقليمية .

وحرب الأقلام قد تشن بين المحامين Barristers فى اغلب القضايا ، ولكن لكل شخص الحق أن يسير قضيته بنفسه . ويمكن ان يسوى النزاع ، فى أية مرحلة من مراحل (حرب الأقلام) ، أما ان كانت القضية ستعرض على المحكمة ، فان الوكيل (1) Solicitor لكلا الطرفين ، يتلقى تفاصيل القضية عن الشهود ، ثم ياتي بها الى المحامي Barrister ، وهذا يعلم ، قبل ذهابه الى المحكمة ، ماذا سيقول بالضبط الطرف الذي ينوب عنه .

وحينما تتم جميع هذه الاجراءات ، فان القضية حينئذ تعرض على السماع set down for hearing ويعني هذا انها قد اخذت محلها فى لائحة القضايا لسماعها ، لا انها ستسمع فى يوم بعينه ، فهذا ما لا يعلمه احد ، لأن اليوم الذي تسمع فيه القضية ، رهن بطول المدة التي ستستغرقها القضايا الأخرى السابقة عليها ...

---

1) اخترنا أن نسمي هذا النوع من الوكلاء باسم (الوكيل) ، وان نجمعه على (وكلان) كما تقدم .. اما ان يكون مسمى باسم الوكيل ، فذلك خير مما سمي عندنا اخيرا باسم «المدافع» ، فالوكيل بمدلوله هذا معروف لدى الخاصة والعامة عندنا وعند الأجيال السابقة علينا ، من المغاربة الذين وضعت لهم القوانين ومصطلحاتها ، واسماء رجالها . واما المدافع ، فلا هو فى مدلوله عندنا معروف ، لهؤلاء الخاصة والعامة كالوكيل ، ولا هو مستعمل فيما استعمله هؤلاء الذين قلدناهم أو قلدنا من قلدوهم ...

واخترنا أن نجمع هذا الوكيل على (وكلان) لتفرده على خصوصيته التي جعلت له قضاء وقدرا ، او جعلت له لملاحظة ما نلاحظه فيه ، من أن هذا الوصف ينزل فيه ـ لهذه الخصوصية ـ منزلة الاسم فنستشهد له بقوله :

وفعلا اسما وفعيلا وفعل   غير معل العين فعلان شمل

وتناسي الوصفية هذه ، هو ما حصل بالضبط ، فى مثل ، صليب ، وكثيب ، وقضيب ، ورغيف ، وخليج ، وغيرها مما جمع على فعلان . ومع أن الذاكرة العربية قوية أو وفية ، فى «لمح الأصل» فى الأعلام ، واعتباره اساسا فى «الممنوع من الصرف» أو المصروف ، الا انها قد تخون ، كما يخون الناس ، فى بعض الاحيان مثل ما حصل منها فى (أجدل وأخيل وأفعى) وهو ما يجب أن يحصل منها ، كما حصل منا ، فى وكيلنا ، فتجمعه على (وكلان) انقاذا له من أعواد الصلبان ...

معاوية بن أبي سفيان

صفحة تاريخية فاصلة بين عهدين

للاستاذ محمد العيسوي

قد يذهب الباحثون عن سر تقلبات الدولة الاسلامية ومدها وجزرها الى مذاهب شتى ، وقد يطول بهم البحث والاستنتاج بعد المقارنات والموازنات بين العهدين : عهد الخلافة الراشدة ، والعهد الذي يليه . وقد لا يضعون ايديهم على نتائج حاسمة ، ويستبد بهم القلق احيانا طالما لم يجدوا لهذه الظاهرة التاريخية تفسيرا واضحا مستمدا من تصرفات العهدين ، ومن التعبئات والافكار والوسائل والاهداف التي كانت تملأ تلك الفترة التاريخية من حياة المسلمين ، وقد يطول الحديث اذا نحن تعرضنا للموضوع من اساسه .

لذلك اركز هذا البحث في العهد الاموي الذي تلا عهد الخلافة الاسلامية واركز النظرة الاولى في سيد موقف ذلك العهد ، وهو معاوية بن ابي سفيان .

اما عهد الخلافة الاسلامية فانا نجد انفسنا في حل من تصوير حياته الاجتماعية والسياسية ما دمنا مقتنعين بان حياته العامة كانت تمتاز بطابع ديني ، وتتسم بمسحة النبوة ، فان لنظام هذه الخلافة نفس الفكرة ، ونفس التصميم الذي اقامته الدعوة الاسلامية زمن الرسول (ص) ، ليس هناك فروق طبقية ولا شعور سلالي ، ولا حاكم ومحكوم ، ولا ملك وسوقة ، كل ما في الامر ان خليفة المسلمين يقيم عدل الله فيهم ، ويسوي بينهم في اعطياتهم وارزاقهم وخصوماتهم وفي تقريب مسافات الخلف بينهم ، ويصون عليهم دنياهم صيانته لدينهم ، ولا ياخذ منهم اموالهم الا على الوجه المعروف لتنفق في اوجهها المعروفة كذلك .

اما حين يصل بنا المطاف الى مؤسس العهد الاموي ، وقائده المحنك معاوية فان اثر الخلافة الاسلامية ينمحي عندما نقف على عتبة هذا العهد الذي كان مليئا بتقلبات فكرية وسياسية واجتماعية وعسكرية لتحقيق مطامع خاصة قد يركب لها اصحابها كل مركب بما وسعهم من الوسائل في تثبيت فكرتهم ، وتركيز دعوتهم ، واستمالة الجماهير اليهم وتسديد السهام الى اعدائهم .

بيد انه وان اوغلنا في البحث ، وبالغنا في تعليل الاحداث وتسلسلها ، واستنفدنا ما لدينا من جهد ، فلا نستطيع أن نجرؤ على القول بان هذا الصراع بين هذين العهدين كان وليد اشخاص ، او اشترك في تاليفه عدة اسباب وعوامل غابرة ، بل هو صراع نجده في الواقع بين فكرتين ، وبين خلقين ، وبين مزاجين من زمن بعيد .

وربما لايكون من المستبعد ان يلتمس تفسير هذا الانقلاب والتحول في الفكرة الاسلامية فيما انتهى اليه عاهل المانيا في تصريحه لشيخ الاسلام بالاستانة ؛ لنستمع اليه : انه يجب علينا ان نقيم تمثالا ذهبيا في ميدان — كذا — من عاصمة برلين ، لمعاوية بن ابي سفيان ، لانه هو اول من حول نظام الاسلام عن قاعدته الديموقراطية الى عصبية الغلب ، ولولاه لكنا — معشر الالمانيين — عربا مسلمين .

على ضوء هذه الفكرة نستطيع ان نضع ايدينا على بعض الوثائق التاريخية وعلى تفسيرها الواضح ، وعلى تفسير بعض الاهداف التي كان يحيطها معاوية بسياج سميك من اساليب التغطية والتمويه والتي ترجع في الحقيقة الى غرض واحد — الى ما يستتبع ذلك من مطالب — وهو استرداد مجد ءال عبد شمس ، واحياء ذلك الشعور السلالي الذي احيا بجانبه العداء التقليدي القديم بين بني هاشم وبني امية .

فقد اسس معاوية الدولة الاموية الجديدة في بلد اسلامي يتوفر على المواد الضرورية — من مال

ورجال — لتشييد صرح مثل هذه الدولة — على انقاض الخلافة الاسلامية — بما فيها من خلافة علي الذي احال صفاء حقه ، وصفاء سريرته وصدق جهاده الى قتام ، واحال انتصاراته التي كانت تنتظره — في شخصية مثل شخصيته ، وجهاد مثل جهاده — الى هزائم متلاحقة بما كان يستعمله في هذا السبيل — واكثر مما يلزم — من المهارة الفائقة والدس والوقيعة والتحايل والمساومات ، فكان له نفوذه الواسع ، ومكاسبه الوفيرة ، وطمانينته على مستقبل استخرجه من خاصرة الباطل ، ووقف جهده ونشاطه على خدمته وتلافي كل ما يمكن ان يحيق بـه .

وهو مع ما لقيه من النجاح الباهر ، والجد الكبير ، كان يعلم انه في حاجة الى من يستعين بـه في تقصي آثار المناوئين له والسعي في تخاذلهم وترويج الشكوك بين الناس في عدالة قضيتهم .

بل ربما كانت في بعض الاحيان ترتسم على وجهه اسارير القلق وعلائم الحيرة ، وطلائع الشك في نجاح قضيته في المعركة المقبلة ، وفي عدالتها ازاء علي بن ابي طالب ، وفي افهام الناس بنبل مقصده في ثورته عليه ، وكان معاوية يحس بهذا في قرارة نفسه ، وان الحال سينتهي بانفضاض الناس من حوله ان لم ينته في هذا الموقف الى راي واضح ، خصوصا وهو يرى ان الناس قد اسلموا امرهم الى علي ودانوا له بالطاعة ، واستقامت له البيعة في الحجاز وفي العراق وامتدت الى مصر والى الشام ، والناس يتحدثون في سر سكون معاوية عن طاعة الخليفة الجديد . راى ان الامر قد يفضي به الى اسوا مصير ، وبدات امارات الياس تساوره من حين لآخر وبخاصة بعد معركة طلحة والزبير — ايتعجل بالطاعة لعلي ليبقيه على ولايته بالشام ، ام يناجزه القتال ، وكيف يمكنه اقناع الناس بمناهضة الخليفة سليل الرسول (ص) والحال ان مداد النبوة لم يجف ، وبساطها لايزال منشورا لم يطو ، والمسلمون مستهلكون في نصرته ، راضون عنه رضاهم عن دينهم ! .

كل هذا جعل من معاوية طاقة حرارية لاتخبو ، وقوة لاتلين ، وفكرة ممتدة طويلة تجمع الامور اولاها على اخراها في اناة وحسن تقدير ، فانتهى به الحال الى الاستنجاد بعمرو بن العاص الذي ما يقصر عنه في راي ولا في حزم ولا في قوة ، ان لم يكن اوسع منه دهاء ومكرا ، فقد بعث اليه بكتاب — فيما يرويه اليعقوبي — يقول فيه : وبعد ، فانه كان من امر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك ، فقد قدم على جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وحبست نفسي حتى تاتيني ، فاقدم على بركة الله تعالى .

وقد صادف هذا الكتاب من نفس عمرو بن العاص ما كان يرجوه له معاوية ، بل وجده كله قرحة دامية يتحفز للوثوب ، ويتاهب للانقضاض ، فالمه لفراق مصر ، وتولية ابن ابي سرح عليها وعزله من قبل الخليفة عثمان امور لاتزال تحز في نفسه ويلاقي منها عناء شديدا .

وهو — من جهة اخرى — ليس خاطرا جديدا في نفس ابن العاص انه ليحس بمطالع هذه الخلافة المعقودة لعلي في شيء من الشك وقلة التقدير .

وبعد ، فمن يكون عمرو بن العاص ، ومن يدري لون المساومات التي كانت هوايته المفضلة يطبع بها حياة المسلمين ، وقد وجد من نفس معاوية ما يشفي غلته في توسيع الشقة بين العهدين .

اثار الفتنة على عثمان من مضاجعها حتى نعي ، وها هو ذا الآن يثيرها شمطاء على علي حتى ينعى وهو الى جانب هذا كله لم يكن من الابطال الذين كان يستعين بهم معاوية — كالمغيرة ، وزياد — فحسب ، بل كان له المدد الاول والاخير في اصطناع المساومات ، والهاب التحرشات ، والقضاء على كل حركة مناهضة . حقا ان المكاسب الفياضة ، والانتصارات التي سيقت لمعاوية ما كانت لتنتظم له لو لم يكن ابن العاص هو الذي يستوثق له من صلابة الطريق ، ويقوم له تلك الصفقات الانتهازية تقويمها الحقيقي ، ويقطع بـه المسافات القريبة والبعيدة في بعد تقديره وتفكيره ودقة حسابه للاشياء .

ما كان ليتسرب الى عمرو — وهو على هذه الحال خطا هذه المغامرة بما في هذه الصفقة الجديدة من مخاطر — لانه يستحيل عليه ان يمضي في سير غير مقدر ربحه وخسارته من كل عمل يقدم عليه ، فهو رجل يجيد المساومة ، ويجيد الاستثمار ، ويساوم في حرص ، ولا ينزل السوق الا كاسبا ، ويرقب الامور من جميع وجوهها ، وصدق رسول الله (ص) : اسلم الناس ، وآمن عمرو بن العاص .

راى عمرو تدفق الناس فى الاسلام ، واقبالهم عليه فى استمرار ، والفتوحات الاسلامية ارهقت اعصاب الناس ، وصارت ملء سمع العالم وبصره ، فراى بدقة بصره ان الصواب يخالفه ، وان الحظ يعاكسه ، اذا هو لم يتعرض للمغانم والولايات الاسلامية ، فما عليه الا ان يبذل الثمن وينتظر .

جمع معاوية امره ، وجمع ــ ما استطاع ــ القلوب حوله ، فما هو مدى كسبه فى هذه المعركة ازاء هذه القوة الصاعدة من المسلمين الذين ثبتوا على بيعة علي ، وما هي الثغرة الاولى التي يفتحها فى صفوف المسلمين ، لتنتقض عليه من حوله ؟

ا نمعاوية بحاجة ــ فوق كل حاجة ــ الى ان يفتح واجهة سياسية ملؤها التحايل والدهاء واستخدام المال ، ليستدني الناس اليه بالاطماع ، ويستميلهم اليه ــ اكثر من حاجته الى فتح واجهة عسكرية يلتقي فيها الجمعان ــ وان يكن فى هذه الواجهة الاخيرة قد لطخ وجه التاريخ بصفحات دامية، فجنوده كانت ثمانين الفا والوقائع التي كانت بينه وبين علي تسعون موقعة حربية ، فى مائة وعشرة ايام هلك فيها من الفريقين سبعون الفا ــ ومع هذا فليس هذا كله هو الذي كان يقض مضاجعه ، ويستولي عليه منه الهم والقنوط ، بل العقبة التي كان يسعى فى تذليلها ، هي ما قد يتبادر الى اذهان الناس من عدم عدالة قضيته ، بماذا ينقذ نفسه من هذه الخيبة التي ربما يتعثر فى اذيالها ، والتي تكون سببا لتاليب الناس عليه ، واقتناعهم بحق علي ؟ ، وربما اعانته الظروف ان يكون اسبق الاثار الى نفسه ، واسرعها اثرا فى نفوس الناس ، هو المطالبة بدم عثمان الذي ياخذ على الناس ــ فى تلك الآونة مسالك تفكيرهم ، والذي كان ظل دمه رهيبا ــ فى نظر معاوية السياسي ــ ملقى على عاتق خلافة علي ، وان كان يعلم فى اعماقه انه لايد له فيه وما كان ليتطامن على حين الخليفة عثمان ــ بل رفيقه فى الكفاح : عمرو بن العاص الذي استنجد به ، هو صاحب الاصابع الخفية ، وصاحب الفتنة الكبرى ، للقضاء على عثمان باعترافه غير مرة ، ولكن ذلك كان موضوعا بقدر ما يستدني الناس منه ، ويستهلكون فى سبيله ، ويستل من نفوسهم حدبهم على علي ، وتهالكهم عليه ، وموتهم دونه .

وقد اثار الفاجعة من جديد تلقيحا لعناصر البغضاء ــ يوم ان عرض على الناس فى مسجد دمشق قميص عثمان ملطخا بالدماء ، وقد روجت هذه الشائعة على نطاقها الواسع ، فكان ما قدر لها من الاثر البالغ فى نفوس الناس ، وكانت كلها حظوظا واسعة لمعاوية ، وتدعيما لسياسته ، وتزويدا له بما هو فى حاجة اليه اكثر من اي شيء آخر ، وكان طبيعيا لما استحكم هذا فى نفوس الناس ودب اليها دبيبالوهن ان لا يتنزل كتاب علي الى معاوية فى هذا الصدد منزلته من نفوس الناس ومن سريرتهم ومن اعماقهم ، تلك المنزلة التي يعرفها له صدق جهاده ، وصفاء طويته ، وجهره بالحق .

انظر اليه وهو يقول : « وبعد فما انت وعثمان انما انت رجل من المهاجرين وبنو عثمان اولى بمطالبة دمه ، فان زعمت انك اقوى بذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الي » ، ترى هذا الخطاب فى صفاء جوهره ، وصدق لهجته ، لم يصادف من نفوس الناس ــ الا قليلا منهم ــ اقبالا حسنا ، ولم ينسف ما تراكم من تلك الاضافات السيئة التي سكبت مياها باردة على حرارة العطف والحفاظ على سبيل النبوة ، فماذا يصنع علي ــ ومعاوية لايتورع عن تقمص صور كثيرة من الشعوذات السياسية والدينية التي لايقف على الفرض منها الا من كان عذب المزاج طويل الاناة مثله ، الا وهو القائل : « اننا لانصل الى الحق الا بالخوض فى كثير من الباطل » .

وربما تظهر لك الحقيقة التي قد تختفي على بعض الناس عندما تقف على راي صريح فصيح صادر ممن عنده الخبر اليقين ، الا وهو عمرو بن العاص ، استمع اليه ــ وهو يصارح معاوية فيما يرويه الذهبي بعدما سمعه يقول : لولا حرصنا على خير المسلمين لما كان لنا غدو ورواح فيما نحن فيه ، فقال ابن العاص : احرقت يامعاوية قلبي بقصصك اترى اننا خالفنا عليا لفضل منا عليه ، لا والله ، ان هي الا الدنيا نتكالب عليها وايم الله لتقطعن لي منها قطعة او لانابذنك .

مثل هذا التصريح الخطير يضع سياسة معاوية فى الميزان ، ليس بينها وبين الناس حجاب ، ويقلق باله ، ويدعوه الى اعادة النظر فى نظامه الحالي لو لم يكن يعمل باستمرار وبنشاط متزايد ، ويبني فى العاصفة ، ويسعى فى تلطيف حدة المصاعب والتموجات المختلفة التي قد تحلق فى الافق من حين لآخر .

وكان لابن العاص ما كان يرتجيه ، فقد اقطعه ولاية مصر ، وجعلها ولاية ممنوحة له ، وربما لايكون من المستبعد انه من اجله انشا معاوية ولاية الاستكفاء والعمال المفوضين ، والتي لم تعرف الا فى زمنه ، ثم امتدت الى زمن من بعده دفعا لثائرة عمرو بن العاص ، وحقنا لجميع الشائعات .

ولم يقف به الامر عند هذا الحد ، بل حول كل شيء عن مجراه فى الماضي القريب ، فاعاد نظره فى النظام الاجتماعي والسياسي ونظام الجيوش والولايات ، وحتى الشعر العربي ، كان هو الآخر له نصيبه من هذا الانقلاب ، فبعد ما كان شعرا عربيا مستمدا من صميم الايحاءات الصحراوية المترامية الاطراف اذا به استحال شعرا سياسيا يزخر بمحاسن الامويين وباياديهم ، ويطفح بترتيل هباتهم وعطاياهم واسعاد الناس بهم ، وكان لا مندوحة للدولة الاموية ـ وهي فى هذا الظرف الدقيق ـ ان تنصب منابر للشعراء فى كل ميدان ، وفى كل مكان من اقاليم الدولة ، وتشتري السنتهم بالمال ، لعلها تستاثر بمديحهم ، وتتقي هجاءهم ، وتتخذ منهم ابواقا تستنفر بها الناس لتجعل منهم حشودا وجنودا على دعوتها ، وقد احيا هذا الشعر السياسي الاموي ما كان يكمن فى نفوس الناس من عصبية الجاهلية ، والتفاخر والشعور القبلي ـ الى جانب لونه السياسي الجديد. وقد كان للدولة الاموية ـ وعلى راسها معاوية ـ مغانم واستفادات اخرى تستفيدها من مهاترات الشعراء ذوي النزعات المختلفة وتحرشاتهم ، ان يضرب على اقفية الناس ، فلا ينظرون الى عيوب سياستها ، ولا ينعون على اثرتها واستبدادها .

فكان من شعر النابغة ومسكين الدرامي والاخطل والفرزدق والكميت وجرير معرض لمهاترات الشعراء ، وسوق يجتمع الناس فيه ليستمعوا الى صنوف المدح والهجاء بمعزل عن التعرف على الحياة العامة التي يعيش فيها الناس .

وقد تطالعك الاحداث بصور كثيرة من هذه المناطق التي كان يقتحمها معاوية تنفيذا لتصميماته الاولى التي طالما شغلت بال الراصدين لسير الحركات التاريخية لذلك العهد .

فما مسالة التحكيم ورفع المصاحف على اسنة الرماح ، والمغالاة فى اعطيات الجنود وارزاقهم ، وتنفيذ الخطط باسم الحفاظ على اموال المسلمين ، وصيانة مقدسات الدين ، الا امثلة حية شاهدة على الطابع الحقيقي لتلك الفترة التاريخية من حياة الناس وربما ساعود الى مسالة التحكيم فى حديث مقبل ـ والذي كان خطة سياسية ماكرة ، وخطرا كله على علي ، وقضاء فاصلا فيما بينه وبين خصومه والعنصر الحقيقي لانتقاض الناس عليه ، وانتصار اعدائه ، حيث بقي يتعثر فى اذيال المصاعب الى ان لقي نهايته المحتومة على ايدي الخوارج .

واحدة باخرى

فى حفلة تكريم لمؤلفة على اصدارها كتابا جديدا كان من بين المدعوين مؤلفة اخرى فداعبتها هذه قائلة : (ان كتابك تحفة ادبية رائعة اهنئك عليها من كل قلبي ولكني احب ان اعرف من كتبه لك) فردت عليها المؤلفة بقولها : (انني مسرورة جدا لان الكتاب اعجبك ولكنني احب ان اعرف من قراه لك)

حصار طروادة

أول نزاع بين الشرق والغرب

للاستاذ محمد الحساني

هــــي حادثـة تاريخية جامعة لكل مزايـا دراسـة التاريخ ففيها القصة الهزلية المسلية ، وفيهـا العبرة التاريخية الحقة ، وفيها ايضا بدء بـــزوغ حضارة عريقـة اغريقية هي ام حضارة الغرب القديم والحديث .

كل شيء يعجبك فى القصة حتى التافـه منها ، فقد صيغت فيها حوادث جسيمة تثير اهتمام التفكير ولكنها تتضاءل احيانا حتى تصل الى مستوى الهـزل والدعابة واحيانا اخـرى الى استعراضات غراميـة تلهيك عن حرب طروادة ونوائبهـا .

ينحصر تاريخ هذه الحـرب بين سنـة 1194 وسنة 1183 ق م ، وهو تاريخ شغل بال الاقدميـن فقد تحدث عنه الفراعنة فيما خلفوه كمـا اشار اليـه الحثيون ، لقد قالوا جميعا ان شرق البحـر المتوسط كان فى حالة اضطراب دائم ، وان نشاطا بحريا وبريـا غير طبيعي كانت مسرحه المضائق البحرية المؤدية الى تركيا ومجموعة شواطيء آسيا الصغرى ؛ فما هو اذن هـذا النشاط البحـري الشاذ وما هـي اسبابـه ونتائجه ؟ . . .

كانت هناك مدينتان : احداهما فى شبه جزيـرة البيلوبونير (جنوب اليونان) اسمها اسبارطة تعاصـر مدينة اخرى لاتزال آثارهـا الى اليـوم فى الاراضـي التركية على هضبة (مصاريـق) وتسمى طـروادة ، وكانت لكليهما اهمية جغرافية واقتصادية لا تتوفـر عليها اية مدينة من مدن البحر المتوسط فى ذلك العهد ، وقد حدث يوما ان زار ملك طروادة (بريام) مدينـــة اسبارطة حيث اجتمع بملكها (ميلاتوسي) وباسرتـه التي كانت من بينها ابنته هيلين ، وحـدث ايضـا أن احب ابن ملك طروادة ، واسمه باريز الاميرة هيلين ، فقـر عزمـه على استقدامهـا الى طروادة ، فلمـا استعصى عليه ذلك اختطفها فى لمح البصر واودعهـا بيته ؛ وهنا ثارت ثائرة ملك اسبارطة فاستنفر شعبه للحرب ضد اسياد طروادة الذين سلبوه ابنتـه دون مراعاة لكرم الضـيافة ، ولحـق الجـوار ، وتنتهـي الحادثـة بالحرب بين المدينتيـن ؛ حشدت طـروادة جيوشا جرارة ضمت كل شعوب الشرق المجاورة لها ، وعقد ملوك اليونان اتفاقية تضامن فيما بينهم للوقوف بجانب اسبارطة ، وبين عشية وضحاها ركب الملـوك البحر عبر سفن بلغ عددها 120 سفينة وتوجهـوا لملاقاة جيوش طروادة عن طريق المضائق البحريـة . واستطاع اليونانيون ان يفرضوا الحصار على طروادة دون التمكن من اختراق السور ، ودام الحصار عشر سنين دون جدوى وهكذا استحال غزو المدينة عسكريا مما دفع القوم الى البحث عن وسيلة ناجعة للاستيلاء عليها وسرعان ما خطر فى بالهم ان يتعمدوا الانسحاب، فانسحبوا وقد تركوا بجانب احد ابواب السـور فرسا كبيرا مصنوعا من الخشب تجمع فى جوفه جنـود مسلحون ، وما ان ظن سكان طروادة ان اليونانيين قد عدلوا عن الحصار ، وانهم قد اتجهوا الى البحر صوب اليونان حتى فتحوا ابواب السـور على مصراعيها املا منهم فى تعقب سفن اليونان ، وفجاة وقع بصرهم على الفرس الخشبي ، فظنوا انه من بقايا اشلاء الحرب ، وفى غمرة من الفرح والاستغراب جـر الجنـود ذلك الفرس الى داخل المدينة مهلليـن مكبريـن بالغنيمـة العجيبة . وهنا وقعت الواقعة ، اذ تدفق الجنود من جوف الفرس وهم يلوحون بسيوفهم ورماحهم وسط

الجموع التي احتشدت امام الفرس ، فاتقدت نار الفتنة بين السكان ، وعقبتها فتنة اخرى برجوع من تعمدوا الانسحاب في وقت كان فيه سكان طروادة في غفلة ، ونتج عن هذا ان تدفق جنود اليونان على مدخل المدينة فخربوها واحرقوها وبذا تم تحطيمها كما يروي ذلك الاقدمون .

هكذا يبدو ان اسباب هذه الحرب ، دراما غرامية كان بطلها الاميرة هيلين عشيقة باريز وان اختطافها كان كافيا — حسب زعم رواية الاقدمين — لاندلاع حرب دامت عشر سنوات .

والواقع انه من المتعذر جدا ان يكون سبب حرب شغلت بال العالم القديم مدة عشر سنوات اختطاف الاميرة هيلين ، بيد انه من المعقول جدا ان يكون هذا الحادث مناسبة لاشعال نار حرب كانت منتظرة في كل حين بين مدينتين كانتا تتنافسان على احتكار اقتصاد العالم الشرقي والغربي ، فاسبابها اذا اقتصادية محض ولا ادل على ذلك من ان العداء بين المدينتين كان يزداد يوما بعد يوم بمقدار ما يتسع مجال التجارة في حوض البحر المتوسط ؛ ووضع طروادة الجغرافي كان يزيد حنق منافستها اسبارطة ، فطروادة كانت تقع على مدخل المضائق المؤدية الى سهول البحر الاسود التي اشتهرت بخصبها واتساع ارجائها ، والمضائق نفسها كانت مرتعا لنشاط تجاري كبير يدر على طروادة ارباحا طائلة تتقاضاها من رسوم الجمارك المفروضة على السفن ومن بينها سفن اليونانيين ، زد على ذلك انها قد استطاعت ان تتحكم في مصير سهول البحر الاسود وان تستغل خيراتها سنين عديدة دون اي تزاحم غريب .

فلا غرابة اذا ضايق هذا الوضع مدينة اسبارطة، وجيرانها وهم الذين يشعرون بتوفر الامكانيات لديهم وباعتزاز بقوتهم واصالتهم بالنسبة لعالم آخر يضم — على حد زعمهم — مجموعة من البرابرة المتوحشين فالحرب اذا كانت ضرورة نفعية وتعبيرا عنصريا لفرض الذات .

ماذا حدث اثناء هذه الحرب ؟ دامت الحرب عشر سنوات لم يعرف البحر المتوسط فيها اي استقرار ، بل لقد وصفه الاقدمون بان مياهه كانت كمياه المرجل تغلي كل يوم ، وان حركة السطو والبغي كانت من صنع اليونانيين ، بل لقد كانت فرصة نادرة اتاحت للمصارع اليوناني ان يروض عضلاته ويجرب كل انواع الفتك والتعذيب . وقد انتشرت عدوى الحرب الى الجيران ممن استكانوا واعتزلوا ، فبعد ان كان الحثيون ينظرون الى هذه الحرب من بعيد ، اجبروا ذات يوم ان يشتبكوا مع اليونانيين عندما هاجموا جزيرة قبرص واستولوا على جزء منها ، ولا غرابة ايضا اذا تضايق الفراعنة من اليونانيين فالتحموا معهم على الحدود ، وقد انتشرت حركة الاستيلاء اليونانية على كل جزر بحر ايجه حتى شملت كل شعوبها وهدموا كل حضارتها .

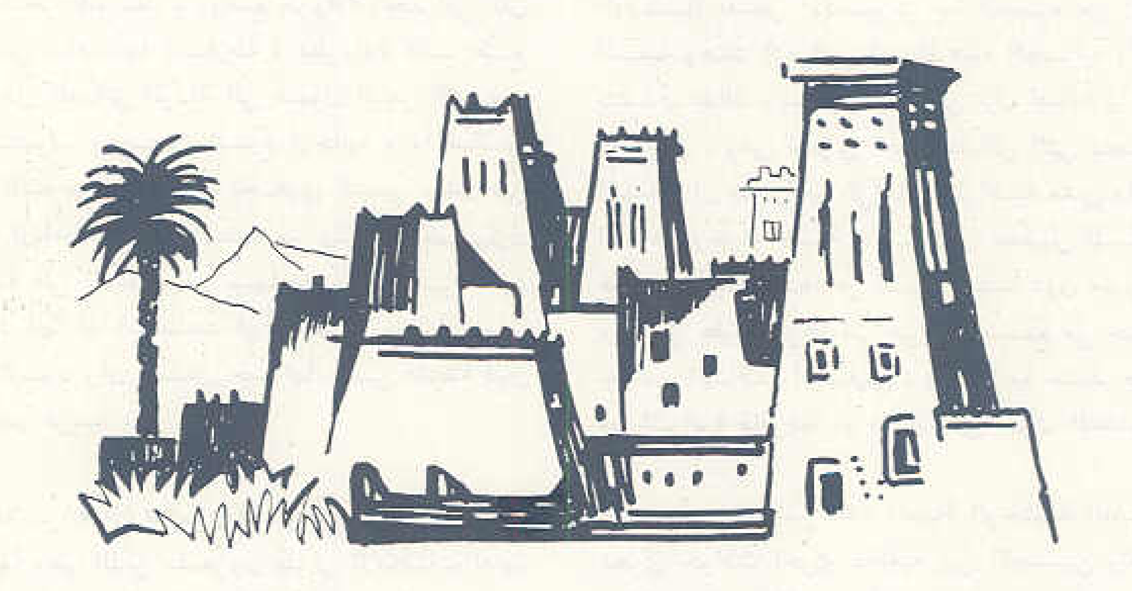
وما دمنا بصدد الحديث عن المثل الاعلى اليوناني في هذه الحرب فانه يجدر بنا ان نشير الى شخصية القائد اليوناني اودسيوس الذي يعتبر بطل ملحمة الشاعر اليوناني هوميروس ؛ في هذه الملحمة الشهيرة (اوديسيا) يفتخر اودسيوس بما انجزه من اعمال السلب وهتك الاعراض اثناء هذه الحرب ، وهو يتشدق بذلك ويسهب فيه حتى يزل لسانه في الكذب والتزوير ، وهي لعمري احد الفضائل التي يتحتم على اليوناني ان يتحلى بها كي يثبت لمواطنيه مدى ما وصل اليه من رجولة حقة وكفاءة في تحمل المسئوليات فكم من قبيلة ابادها عن بكرة ابيها دون مبرر لذلك وكم من بطون بقرها على مرآى ومسمع من جنوده في جو من الهتاف والتصفيق ، وكثيرا ما حشد جموعا من البرابرة فاغرقها او ساقها الى سوق النخاسة .

وفي غمرة من هذه الحياة الوحشية القاسية تجري حوادث اخرى عاطفية بين الجنسين ولكنها عواطف فظة غليظة ، تلبست بلبوس حربي حيث يسود فيها الغضب المفاجيء يؤول غالبا الى القتل والخيانة ، وفي شخصية القائد الشهير اخيليس يتجلى لنا ذلك ، فبعد ان تأكد له ان القائد الاعلى للجيوش

اليونانية (اغامنون) قد راود عشيقته ذات يوم ، قـرر الانسحاب من المعركة مع جنوده ، وهو اجراء عسكري خطير كاد ان يغير مجرى المعارك ومن يدري فقـد يؤدي الى هزيمة اليونان ؟ وفي هزيمتهم انقلاب لكـل شيء في التاريـخ العام وفي موعـد وصول حضـارة اليونان الى الشرق .

على ان من حسن حظ الحضارة الانسانيـة ان انتصرت جيوش اليونان فتقدمت جحافلهم الى الشرق بما اوتيت من مثل عليا جافة يتعالى عنها الشرق وبما توفرت لديها من قيم حضارية مادية فامتزجت هـذه القيم الاغريقية بغيرها من القيم الفينيقية والفرعونيـة فنشأ عن ذلك تناغم بين الحضارات القديمة سواء منها الغربية او الشرقية وسواء منها الروحية او المادية . ولئن كان من المستعصي على الاله اليوناني (زفس) ان يتفق اتفاقا كليا مع الاله الفينيقي (ادونيس) على كـل الخطوط الرئيسية فقد استطاعا على الاقل ان يتعرفا على بعضهما وان يزيلا اسباب الكلفة بينهما ، ومن هنا بدات قصة علاقة الشرق مع الغرب وهي علاقة تولدت عنها مشاكل عديدة ومعقدة واتخذت لنفسـها سلسلة امتدت الى يومنا هذا ولا يزال عالمنا اليوم يبحث لهـا عن حلول جذرية .

اما بالنسبة لليونان فشيء عجيب طرا عليه بعد هذه الحرب ، فملوك اليونان قد رجعوا من الحرب وهم في وحدة متماسكة وتعارف تام بعد ان كانوا من قبل يحكمون قبائل وشعوبا يجهل بعضها الآخـر ، فرقت بينها الجبال والوديـان نتيجـة لتضاريس اليونـان المعقدة ، وتمخض عن ذلك كله نشوء وحدة يونانية ، بل وحدة سياسية وحضارية نسقت الاعمال في الداخل والخارج ومن هنا بدأ تاريخ اليونان .





بليان الغماري

للأستاذ: سعيد أعراب

من ابرز الشخصيات البربرية التي عرفها التاريخ ، ولعبت دورا هاما فى الفتح المغربي والاندلسي بليان الغماري ، ومما يلفت النظر ان الروايات العربية، لاتحدثنا كثيرا عن شخصية بليان ، ولا سيما عن نشأته الاولى ، فاننا لانعرف عنها الا قليلا ، وكل ما نعرف ان نسبه يرتفع الى غمار بن مصمود ، وينتمي الى غمارة احدى قبائل البربر بشمال المغرب ، وهي من اكبر بطون المصامدة كما يقول ابن خلدون . (1)

غمارة فى تاريخها القديم ، تمتد على الساحل من طنجة الى حدود وادي ملوية وتتصل على ضفة المحيط بقبائل برغواطة (اهل تامسنا) (2) .

وتشيد الروايات بشجاعة بليان وسياسته ودهائه ، وتصفه بالثراء والغنى الواسع ، ومن المرجح انه كانت له علاقات تجارية مع القوط فى الاندلس ؛ ومعلوم ان هذه الشواطىء كانت معروفة بنشاطها التجاري منذ عهد الفينيقيين ، وكان بليان اميرا على بلاد غمارة وكانت عاصمة ملكه طنجة ، ثم سبتة ، ولا يزال واد بين طنجة وقصر الحجاز يحمل اسم بليان حتى الآن (3) ، ولم يكن بليان ذلك الحاكم المستبد ، والملك الطاغية ، كما كانت الحال فى الضفة الاخرى من بلاد الاندلس ، بل كان الابن البار لهذه البلاد ، يحمي حماها ، ويذود عنها كل غائلة ، وقد طالت مدة ولايته ، حتى توهم بعض المؤرخين انهما بليانان اثنان ، وكانت ايامه ايام هدوء واستقرار ، وهناء وطمانينة ، رغم ان الموقع الاستراتيجي للبلاد كان يجعلها دائما معرضة للغزو الاجنبي ، ويدفعها الى الحرب ارادت ام لم ترد ، وكان بليان على دين النصرانية ، يكره الوثنية ، ويحارب انصارها ، ويعمل جهده — لتطهير البلاد من ارجاسها ، وتذكر بعض الروايات انه كان تابعا للقوط ، يدين بطاعتهم ، ويعمل تحت نفوذهم ، ويبدو ان هذا النفوذ كان اسميا فقط ، ذلك ان القوط عندما انتهوا من احتلال اسبانيا فى نهاية القرن الخامس للميلاد ، خطوا الى هذه الجهات خطوة كانت اشبه بموجة طاغية لم تلبث ان تراجعت الى حدودها الطبيعية ، وليس لدينا اطلاقا ، ما يؤكد القول بان بلاد غمارة كانت تحت النفوذ المباشر للقوط ، على عهد بليان ، بل هناك ما يدفعنا الى الاعتقاد ، بانه لم يكن لدولة القوط اي نفوذ على هذه الجهات آنذاك ، فقد حاصر العرب طنجة ، واستنزلوا ملكها بليان ، على حد تعبير بعض الروايات (4) ، فاضطر الى مفاوضة عقبة ، والنزول على حكمه ، ولكن ماذا كان موقف القوط من هجوم العرب على بليان ؟ فهل وقفوا الى جانب بليان ، وانزلوا حاميتهم للدفاع عنه ، شأن الدول القوية ازاء محمياتها ؟ ان التاريخ لايذكر لدولة القوط اي عمل او اعتراض على هذا الهجوم المسلح بل كان موقفهم سلبيا بالمرة ، بينما نرى الروم فى الجهات الاخرى من المغرب قد وقفوا الى جانب البربر ودافعوا معهم دفاع المستميت ، بل كانوا اشد خطرا على العرب من البربر اصحاب البلاد ، على ان دولة القوط لهذا العهد ،

---

1) العبر ج 6 : 435 . دار الكتاب اللبناني .
2) تختلف حدود بلاد غمارة باختلاف العصور والازمان لذا كان من الصعب تحديدها على وجه الضبط .
3) وتنطق العامة به هكذا : اليان بالهمزة بدل الياء .
4) الناصري — الاستقصاء ، ج 1 : 82 ط دار الكتاب ، البيضاء .

كانت ممزقة الاطراف ، مضعضعة الاركان ، لاتملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، حتى قال بعض الكتاب الاسبان: (كان خلفاء الاريك من القوط يحتجبون بصخورالبرنيه غارقين في سبات السلم ، لايعنون بتحصين مدينة ، ولا يعبأ شبابهم بتجريد سيف) ويقول الدكتور عنان — في صدد ذكر حالة اسبانيا قبيل الفتح الاسلامي — : (كانت المملكة القوطية تجتاز دور انحلالها قبل ذلك بامد طويل ، وكان المجتمع الاسباني يعاني صنوف الشقاء والبؤس ، وقد مزقته عصور طويلة من الظلم والايثار (5)) ، فاي نفوذ او سيطرة يمكن ان يتصور لدولة وصلت الى هذا الحد من الضعف والانحلال ؟ .

برزت شخصية يليان للمرة الاولى على مسرح التاريخ في حدود 681 م على اثر نزول عقبة بن نافع على طنجة ، ونحن وان كنا لانستطيع ان نحدد بالضبط العصر الذي عاش فيه يليان ، ولكن يجوز لنا ان نقول : انه عاش في النصف الثاني من القرن السابع للميلاد ، وبعض الشيء من الثامن ، فقد رأينا يليان — وهو على جانب كبير من النضج السياسي — يبدي اهتماما زائدا لقضية الجيش العربي الذي اكتسح افريقيا كلها ، واصبح يهدد بالخطر سائر اقطار المغرب .. فمنذ ان تحرك جند عقبة من القيروان (عاصمة العرب في افريقية) متجها نحو المغرب ، ويليان يتتبع خطواته في الجبال والوديان ، والسهول والهضاب ، ويرقب عن كثب الحرب التي كانت تدور رحاها في باغية والزاب ، وتاهرت ، بين عقبة والبربر تارة ، وبينه وبين الحلف الرومي البربري تارة اخرى، وكان يسجل انتصارات عقبة على كلا الفريقين ، ويبحث عن اسبابها وعللها ، وكان عقبة اذا راى الحال تأزمت ، واشتد الخطب على اصحابه ، يخطب فيهم ، ويحرضهم على القتال ، فيندفعون كالسيل الجارف ، لايقف امامهم شيء ؟ وهكذا استطاع عقبة بفضل ايمانه وتجاربه الحربية ، ان يحطم هذه القوة الهائلة من الروم والبربر ، ويشق طريقه الى الامام .

وما ان رحل عقبة من تاهرت ، وبدا ينحدر الى السهل الساحلي ، قاصدا مدينة طنجة عاصمة شمال المغرب — حتى كان يليان اعد كل شيء ، لملاقاة عقبة ، ووضع خطة سلمية محكمة ربما كانت اقوى من سلاح عقبة ، واكثر مفعولا من جيشه ، وقد تفعل السياسة والحكمة مالا تفعله القوة بل ما تعجز عنه احيانا ، وكان جيش عقبة قد اختار المسير في الممر الضيق المحصور بين هضبة الريف وجبال الاطلس الوسطى ، كي يجنب نفسه مشقة المرور بالساحل المليء بالموانيء الحصينة ، التي ربما لقي فيها مثل ما لقي في باغية ، ولميزة (6) . .

ومن المحتمل ان يليان كان على اتصال مباشر او غير مباشر بعقبة في تنقلاته وحركاته ، درس خلالها نفسية عقبة واتجاهاته الحربية والسياسية ، وعرف كل شيء ؟ .

وعلى اي حال فلم تكد تصل طلائع جيش عقبة الى احدى ضواحي طنجة حتى خف يليان لاستقبال عقبة والترحيب به مثقلا بالمال والهدايا الثمينة ، وقد صدقت فراسة يليان في عقبة ، فقد كان لهذا الاستقبال وهذه الهدايا وقعها الحسن في نفس عقبة ، ولا غرو فقد اعتاد عقبة ان يستقبله امراء البربر بالحراب والنبال ، لا بالهدايا الحسنة ، والكلمات الطيبة ، وبين عشية وضحاها ، اصبح يليان الخل الوفي ، والصديق الحميم لعقبة ، وضع فيه كل ثقته ، يستشيره حتى في شؤونه الخاصة ، ويكاد ياخذ برايه في الصغيرة والكبيرة ، وربما كان ليليان عقل اكبر من عقل عقبة ، وربما كان اشد دهاء واكثر تبصرا بالشؤون السياسية والحربية منه ؟

وهكذا رأينا للمرة الاولى في التاريخ يلتقي بطنجة اربعة امراء : عقبة اول امير عربي وطئت قدمه ارض المغرب الاقصى ، وابو المهاجر اول امير مسلم دخل المغرب الاوسط، وكسيلة امير اورفة، واول امير بربري اعتنق الاسلام ، ثم تنكر له انفا وكبرياء ، ويليان امير غمارة ، واحد دهاة البربر الذين لايقلون شأنا عن امثال معاوية ، والمغيرة ، وعمرو بن العاص دهاة العرب الكبار ، وكان عقبة قد اصطحب معه في طريقه الى طنجة — الاميرين ابا المهاجر ، وصديقه كسيلة ، مقيدين في الاكبال .

وهنا تسطع شخصية يليان ، وتبدو في اروع صورها ، فقد استطاع ان يحقق انتصارات باهرة في المفاوضات التي اجراها مع عقبة ، فقد رأينا عقبة

---

5) عنان — دولة الاسلام : ج 1 : 24 \ 25
6) حسين مؤنس — فتح العرب للمغرب : 191

ينصرف عنه، وينصرف معه جيوشه، تاركا له التعرف كيف يشاء، ودون ان يحدد من نفوذه اي شيء، وفي نفس الوقت استطاع ان يغير اتجاه عقبة السياسي والحربي، فبعد ان كان صمم العزم على ان يعبر البحر ليفتح بلاد الاندلس، رأيناه يسلك طريقا آخر غير الذي اراد، وبعبارة اصح رأيناه ينفذ الخطة التي رسمها له بليان، لا الخطة التي رسمها هو بنفسه، او اراد ان يرسمها، وتلوب شخصية عقبة في عبقرية بليان، ونبوغه السياسي، ويتجلى ذلك واضحا في الحوار الذي دار بين الرجلين، وهذه صورته كما ترويها كتب التاريخ (7) :

عقبة : كيف بحر الاندلس ؟

بليان : انه محفوظ لايرام

عقبة : لابد ان نعبر البحر الى الاندلس

بليان : وكيف تترك البربر خلفك، وترمي بنفسك في بحبوحة الهلاك ؟

عقبة : دلني على رجال البربر والروم

بليان : تركت الروم خلفك، وليس امامك الا البربر وفرسانهم .

عقبة : واين موضع البربر ؟

بليان : هم بالسوس الادنى، وهم اصحاب نجدة وباس

عقبة : ما دينهم ؟

بليان : ليس لهم دين، ياكلون الميتة، ويشربون الدم من انعامهم، وهم امثال البهائم يكفرون بالله ولا يعرفونه

عقبة : اكثير هم ام قليل ؟

بليان : هم كثير لايعلم عددهم الا الله .

وكان يجب ان نقف طويلا عند هذا الحوار، ولكن راينا ان نقتصر منه على نقطة مهمة وهي: ان بليان ربما دل بعمله هذا على انه قوطي، لا بربري، فلو كان بربريا، حقا، لما الحق الشر بالبربر، وابعده عن القوط في اسبانيا، ولما وصف البربر بهذا الوصف السيء ؟ وهذا النظر يبدو وجيها في اول وهلة، ولكن اذا عرفنا ـ مقدما ـ ان بليان كان تحت النفوذ السياسي للقوط، مهما كان نوع هذا النفوذ، ومهما كان من الضعف، وعرفنا انه ـ بحكم الجوار كانت تربطه بالقوط روابط الصداقة العريقة، فضلا عن رابطة الدين والمصالح المشتركة ـ ادركنا ـ ولاشك ـ ان بليان لم يدافع ـ في الحقيقة ـ عن القوط، وانما دافع عن مصالحه الخاصة، او عن مصالح كانت تجمعه واياهم، وفوق ذلك فقد كانت الروح الدينية متغلغلة في نفس بليان، فبها كان يتكلم، وبها كان يدافع ـ كما نلمس ذلك جليا في اجوبته عن اسئلة عقبة ـ ويجوز ان يكون بليان اراد ان يبعد عنه العرب الى جهات نائية، ويرمي بهم في القفار ومتاهات الجبال، ليكون في مامن من شرهم، بعيدا عن الخطر، لايهدد نفوذه اي شيء، عكس ما لو نزل العرب الى جانبه بارض الاندلس واحتلوا الجزيرة الخضراء وما اليها ـ كما كان يريد عقبة ـ وليس بينه وبين هذه الجزر الا بضعة اميال في البحر ؟ والا بم نفسر قوله : انه (البحر) محفوظ لايرام ؟ ونحن نعلم ـ سلفا ـ ان دولة القوط لهذا العهد، كانت اضعف ماتكون برا، وبحرا .

وايا كان فان مجرد موالاة بليان للقوط، ودفاعه عنهم بالكلام، لايجعله قوطيا، وليس ذلك بكاف في ان تجرده من الجنسية المغربية التي اعترف له بها مؤرخو المغرب، وعلى راسهم ابن خلدون عالم آثاره، وجهينة اخباره (8)، اما وصفه للبربر فانما كان سيئا من حيث عقيدتهم وما كانوا عليه من مجوسية ووثنية، وهو وصف لهم بالواقع، لا من حيث شخصيتهم كبربر، والا فقد وصفهم بانهم فرسان اصحاب باس ونجدة، واكرم بها من اوصاف .

على ان البربر لم يكونوا من الاخوة والاتحاد، بحيث يحمي بعضهم بعضا، ويدافع عن اخيه كمواطن، وفي دائرة اوسع، بل كانوا قبائل متفرقين، ليس لهم وحدة ولا تجمعهم رابطة، وكان الحكم السائد للقبيلة، فكل قبيلة لها رئيس او امير حسب توسعه الحربي، ونفوذه القبلي، وكانت العصبية القبلية تعمل عملها فيهم، فهذه القبيلة تغير على تلك، وهذا امير بلد يحارب امير بلد آخر، وهم جميعا ابناء وطن واحد، وامة

---

7) انظر نهاية الادب للنويري، والجمان ـ للشطيبي، ويكاد يكون الحوار ملفقا من روايتهما

8) ومن بين هؤلاء المؤرخين : الناصري في الاستقصاء، والشطيبي في الجمان، والقاضي عياض في المدارك وابو راس في كتابه، الفتس ومطران في الاندلس ووهران ...

واحدة ، وهكذا عاشوا عبر التاريخ الى ان جاء الاسلام فوحد كلمتهم ، وجمع شملهم ، تحت راية القرآن ، فكانوا امة لها كيانها ووحدتها ، تجمعهم رابطة الدين ، واخوة الاسلام .

وهناك نقطة ثانية على جانب من الاهمية ، وهي ان يقال : لو كان يليان غماريا ، واميرا على بلاد غمارة ، لما انتظر بطنجة ، وعقبة يطوي هذه البلاد ، ويجوبها شرقا وغربا ، وينتقل فيها من جهة الى جهة ، ومن مكان الى مكان ، ويصح الجواب عن هذا بان عقبة لم يتوغل في بلاد غمارة ، وانما اختار المسير بين هضاب الريف وجبال الاطلس الوسطى ـ كما اسلفنا ـ وهي بالطبع من حدود بلاد غمارة ، او من اطرافها النائية ، فهو لم يعرج على المراكز المهمة منها في الساحل ، ولم يهاجم قبيلة او مدينة ، بل ذهب توا الى طنجة (العاصمة) ، ويجوز ان يكون يليان اراد ان لايحارب عقبة ، ولا يعترض سبيله ، وقد دلته التجربة التي مر بها امراء الزاب وتاهرت ، على ان سياسة العنف او القوة ، لم تكن صالحة ومجدية في تلك الظروف ، وفعلا فقد اختار يليان هذه السياسة ، ونجح فيها ايما نجاح ، ويرى بعض الباحثين : (ان تصرفات عقبة مع يليان تبدو غريبة في نوعها وان قول ابن الاثير : ان يليان نزل على حكم عقبة غير مفهوم على وجه صحيح ـ لانه لم يحدث في غير هذه المناسبة امر كهذا : جيوش اسلامية غازية ، تقبل على بلاد لتفتحها ، فيقدم ملك هذه البلاد بالهدايا الحسنة ، والنصيحة الطيبة ، فينصرف عنه المسلمون ، لا اسلام ولا جزية ولا قتال (9)) . وقد لايبدو غريبا ، اذا ما اخترنا له من التفسيرات ما يتفق واحداث التاريخ ولا يتنافى وروح الاسلام ذلك ان عقبة لم ينصرف عن يليان الا بعد ان قدم له الطاعة ، واذعن للجزية ، وكفى، والجيوش الاسلامية لم تكن غازية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، فهي اولا وقبل كل شيء ، جاءت لتبشر بالدين الجديد ، وتنشر الوية الاسلام والوئام بين ابناء البشر ، ولم تات لتبث الرعب في قلوب الناس ، وتستعمر بلادهم وتبتز اموالهم كما كان شأن الغزاة قبل الفتح الاسلامي ، اما قول ابن الاثير : ان يليان نزل على حكم عقبة فمعناه انه اذعن لاداء الجزية ، وهو ما حكم الله به من اسلام او جزية او قتال ، وقد اختار يليان من بين الثلاثة ـ الجزية ، لانه كان يراها اصلح لنفسه ، ولبلاده في تلك الظروف ، ويفسر هذا صنيع يليان مع موسى بن نصير كما جاءت الرواية بذلك مفصلة (10) .

ولنودع يليان وهو في عاصمة ملكه طنجة ، حتى نلتقي به مرة اخرى في عاصمة غير هذه ، ولنصحب عقبة وهو في طريقه الى سوس ، مارا بوليلي (قصر فرعون) ثم بدرعة ، ثم بلاد سوس ، حيث احتدم القتال بينه وبين رجال البربر ، واسلم على يديه كثير من الناس ، وترك بتلك الجهات بعض اصحابه يعلمونهم القرآن والاسلام (11) ، ومن هناك عطف على ساحل المحيط (اسفي) حتى ادخل قوائم فرسه في البحر ، ووقف ساعة رهيبة ، وقال كلمته الخالدة : (يارب : لولا هذا البحر ، لمضيت في سبيلك الى ملك ذي القرنين ، مدافعا عن دينك ، ومقاتلا من كفر بك ، وعبد غيرك) .

ـ يتبع ـ

---

9) حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب : 193
10) الناصري ، الاستقصاء ج 1 : 96
11) ابن عذاري ، البيان المغرب ج 1 : 28

على هامش الكفاح الجزائري

من أدبائنا

للاستاذ احمد مراد

ان الذي يريد ان يدرس الحقبة الاخيرة من حياة الجزائر ، خلال ثلث قرن على الاقل ، سيلاحظ ــ ولا شك ــ مدى التطور العميق الذي حظي به هذا القطر ، في مجال الثقافة والادب ، اثناء هذه الفترة ، بالاضافة الى يقظته وتقدمه في المجالات القومية الاخرى . وقد يدرك الدارس حينئذ اهمية الدور الخطير الذي لعبه الادب الجزائري الحديث، في بناء نهضة الجزائر الفتية، على اختلاف جوانبها وتعدد اهدافها .

لقد انبتت تربة الجزائر الخصبة في هذه الحقبة، عددا لا باس به من الشعراء والكتاب الذين حملوا مشعل الثقافة العربية ، ورفعوا منار العلم والادب ، وعملوا على صيانة تراث العروبة والاسلام في هذا القطر وساهموا باوفر حظ في احياء اللغة القومية وبعثها الى الحياة من جديد ، بعد ان تضافرت عوامل شتى على اضعافها وزحزحتها عن مركزها الطبيعي في حياة الامة ، وتركها ــ قرابة قرن من الزمن ــ تعيش في وضع ممتهن ، لاحظ لها من الاعتبار ، كلغة عريقة ، طالما ادت للحضارة الانسانية خدمات جليلة . بل قد اعتبرت كلغة اجنبية في عقر دارها ، وبين ذوي قرباها وارحامها ، قصد الحيلولة بينهم وبينها ، واضعاف شانها في نظر ابنائها .

ولكن بالرغم من الدعاية الاستعمارية الافكة ، التي دابت دوما في الماضي على ان تظهر المواطن الجزائري في مظهر الانسان الذي تخلى بمحض ارادته واختياره عن لغته، وتنكر طوعا لقوميته وميراث اسلافه فان ازدهار الادب العربي في الجزائر حديثا ، والمستوى الرفيع الذي رقي اليه في مختلف ضروبه ، وشتى اغراضه ومراميه ، لمما يفند تلك الدعاية المغرضة ... ويكشف عن زيفها ...

ان ارض الجزائر قد زخرت بنخبة كبيرة من ادباء العربية الموهوبين ، الذين امتازت اساليبهم بالجودة والدقة والمتانة ، وعمق الفكرة . وقد اهتم معظمهم بطرق الموضوعات الحيوية ، التي تنبع من صميم حياة ابناء الشعب ، وتتجاوب مع ما يفكر فيه ويشعر به افراد الامة ، ويمتزج باحاسيسهم ، ويعبر عما يكمن في اعماقهم من الاماني والآمال ، أو عما يعانوه من الآلام ، التي يشغل بالهم التفكير في وسائل التخلص منها ، حتى ولو ادى بهم ذلك الى ركوب الاهوال والاخطار ، بغية ان يدرك وطنهم حياة العزة والكرامة ..

وان ادباءنا ــ بهذا الوصف ــ ليعدون بحق ــ في طليعة ادباء العالم العربي المعاصرين ، الذين سايروا مواكب اليقظة والتحرر ، في مختلف انحاء المعمور ، ولم يتوانوا قط عن خوض المعركة ، التي تحقق لوطنهم السيادة والحرية ، باذلين من اجل ذلك دماءهم .

واذا كان من هؤلاء الادباء وذوي الفكر ، من استأثرت بهم المنية في الاعوام القريبة ، ومنهم من حظي بالاستشهاد ، في معركة الجهاد ، التي تدور رحاها ــ منذ سنين ــ في البلاد ، والذين اذكر منهم : الاديب أحمد رضا حوحو ، الذي انجز عدة مؤلفات ادبية واجتماعية قيمة ، قبل ان يستشهد ، وهو في العقد الخامس من عمره ، والشهيدين الشاعرين : عبد الكريم العكون ، والربيع بوشامة ، اللذين ظلا يصدحان على الافنان كبلبلين غريدين، يشحذان العزائم ، ويستحثان الهمم ، نحو تدعيم النضال التحريري في وطنهما ، الى ان قضيا نحبهما على يد السفاحين ، وكانهما كانا يتمثلان بقول ثانيهما رحمهما الله :

« لا شيء أغلى من التحرير يكسبه
مجاهد بعد آلام واخطار »

« فك البلاد وفادى مجد امته
من عيشة الذل بين السيف والنار »

نعم ، اذا كان بعض هؤلاء الادباء الامجاد قد غدا معدودا ضمن مئات الآف الشهداء المواطنين ، فان الاكثرية منهم لا تزال رهن السجن والاعتقال ، منذ بضعة أعوام ، زيادة عمن يعيش منهم فى ديار الهجرة . وانا لنرى انه من الواجب المفروض علينا أن نعير اخواننا الادباء هؤلاء ، ما هم جديرون به من عناية واهتمام ، سواء من غيبتهم عن انظارنا المنون ، او من احتوتهم غيابات السجون ، خدمة للادب والفكر فى اشخاصهم ، وتنويها بآثارهم ومآثرهم ، التي نحرص على أن تظل موضع القدوة والتوجيه الرشيد ، للاجيال الناشئة فى المستقبل .

ولعل هذا اقل ما يفرضه علينا الوفاء لادبنا وأدبائنا ، الذين مهدوا السبل ، وذللوا الصعاب — بخوضهم للمعركة الادبية فى ظروف شاقة — امام الابطال الذين آلوا على انفسهم ان يقودوا معركة الحرية ، خدمة لقيم عليا ، ومثل انسانية سامية ، وصونا لتراث أمة عريقة ماجدة من الضياع والاندثار .

*

وبعد هذه الكلمة التمهيدية اريد أن اتحدث اليوم فى ايجاز عن اديب واحد ، من الذين ما برح السجن يحتفظ بهم ، منذ اول عام من قيام الثورة ، مؤملا أن تتاح لي الفرصة الملائمة ، لمتابعة الحديث عن ادباء آخرين ، من الذين قضوا نحبهم ، وذهبوا الى ربهم ، ومن الذين نأمل أن تمتد بهم أسباب الحياة ، حتى ينجزوا أداء الرسالة الفكرية والثقافية المنوطة بعهدتهم نحو وطنهم ومواطنيهم . .

كان اديبنا محمد العابد الجلالي فى طليعة الكتاب الاوائل ، الذين خاضوا معركة القلم بما تتطلبه من حكمة وصبر وتجرد ، انه كاتب عميق التفكير ، بليغ التعبير ، دبج يراعه كثيرا من الفصول الادبية الممتعة ، نشر معظمها فى مجلة (الشهاب) التي كان يصدرها استاذنا المرحوم الشيخ عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة ، تلك المجلة التي كانت منبرا حرا لاقلام عدد كبير من الكتاب والشعراء ، الذين جددوا شباب اللغة العربية فى الشمال الافريقي . .

ويمتاز اسلوب كاتبنا محمد العابد بالسلاسة والوضوح ، ويغلب عليه الطابع القصصي ، يعبر عن آرائه ومقاصده فى صراحة وقوة ، وتتجلى من بين كلماته وتعابيره روحه المتمردة على الطغيان والاستبداد الثائرة على الاوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة . .

كانت له جولات موفقة فى ميدان الصحافة العربية بالجزائر ، يوجه فى حكمة ويقترح عن خبرة ، يشتد فى النقد احيانا بقصد البناء ، ويعالج الامراض الاجتماعية والخلقية ، فيضع الدواء فى مكمن الداء ، وفى كل ذلك يصدر عن باعث نبيل ، وضمير حر ، ويسير دوما فى اتجاه الهدف الوطني المنشود .

ولاديبنا — فوق ما ذكرت — ناحية ايجابية فى حياته الثقافية كان يمعن فى الاهتمام بها ، ويحرص أشد الحرص على أداء متطلباتها ، ويخصها بالمزيد من نشاطه وجهوده . تلك هي ناحية التربية والتعليم ، فقد كان معدودا فى هذا الحقل من أكرم المربين ، ومن المعلمين المقتدرين الذين أنفقوا جل عمرهم فى خدمة التربية والتعليم ، والنهوض بأعبائهما ، وفق اساليب التربية الحديثة ، والمناهج المستمدة من نظريات وآراء أئمة هذا الفن فى عصرنا الحاضر . وقد تخرجت على يده أفواج من الشباب الذي يتسم بالخلق المهذب ، والوعي الرزين ، والادراك العميق لمسؤولياته الوطنية . كما تلقاها من استاذه ، الذي نراه يحدد الهدف الاسمى من تعليم المدرسة فى فقرات من تقرير له ، قدمه فى احدى مؤتمرات جمعية العلماء منذ ربع قرن ، اذ يقول :

— أن الغرض من التعليم المدرسي هو تعليم الاطفال بالمدارس اللغة العربية .

— وهي اللغة التي تحقق الصلة بينهم وبين اسلافهم .

— وهي الكنز الذي حفظ لهم تراث اولئك الاسلاف

— وهي اللغة التي كتبت لاسلافهم بها شهادة الخلود .

— لأنها لسان الثقافة الاسلامية .

— ولسان القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، اللذين هما اصل تلك الثقافة ، ومنبع وجودها .

— فحاجة النشء الاسلامي الجزائري الى لغته ، هي حاجة الخلف لما يدعم صلته بسلفه .

— وهي حاجة الوارث لما يثبت استحقاقه لميراث اسلافه .

— وبعبارة اشمل ، هي ضرورة من ضرورات الحياة الحقة ، بالنسبة للمسلم الجزائري ، عليها يتوقف ادراك المطمح الاسمى الذي يرمي اليه كل انسان فى الحياة . . .

— فاذا عرفنا التعليم العربي بهذه المثابة هانت علينا كل تضحية نبذلها في سبيله ..

ولما انتفض الشعب انتفاضته التاريخية الكبرى، ابى الرجل الا ان يكون من اول جنود النضال المسلح ، كما كان من أول جنود الكفاح ، في ميدان الادب والثقافة والفكر . وكأنه اراد ان يشعرنا — رغم خدماته المعنوية والروحية لوطنه — أنه مع الشاعر ابي تمام على خط مستقيم ، عندما قال :

« السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب »

وهكذا بادر الى الانضواء تحت لواء جيش التحرير معتصما بجبال — أوراس — الشامخة ، دون أن يثنيه تقدم السن به ، اذ كان يدق باب الدخول في العقد السادس من عمره . ولكنه كان يحتفظ بارادة قوية ، وعزم ثابت ، ويتوفر على رصيد في الايمان ، لا يقل رسوخا في أعماقه عن رسوخ الجبال التي آوى الى معاقلها . فما كاد يرى مواكب الجهاد المقدس تزحف نحو ميادين القتال ، حتى اندفع لاخذ مكانه من بين الصفوف ، وحقق بذلك امنية عزيزة على نفسه ، ظل يترقبها بشوق وحنين ، منذ عديد من السنين .

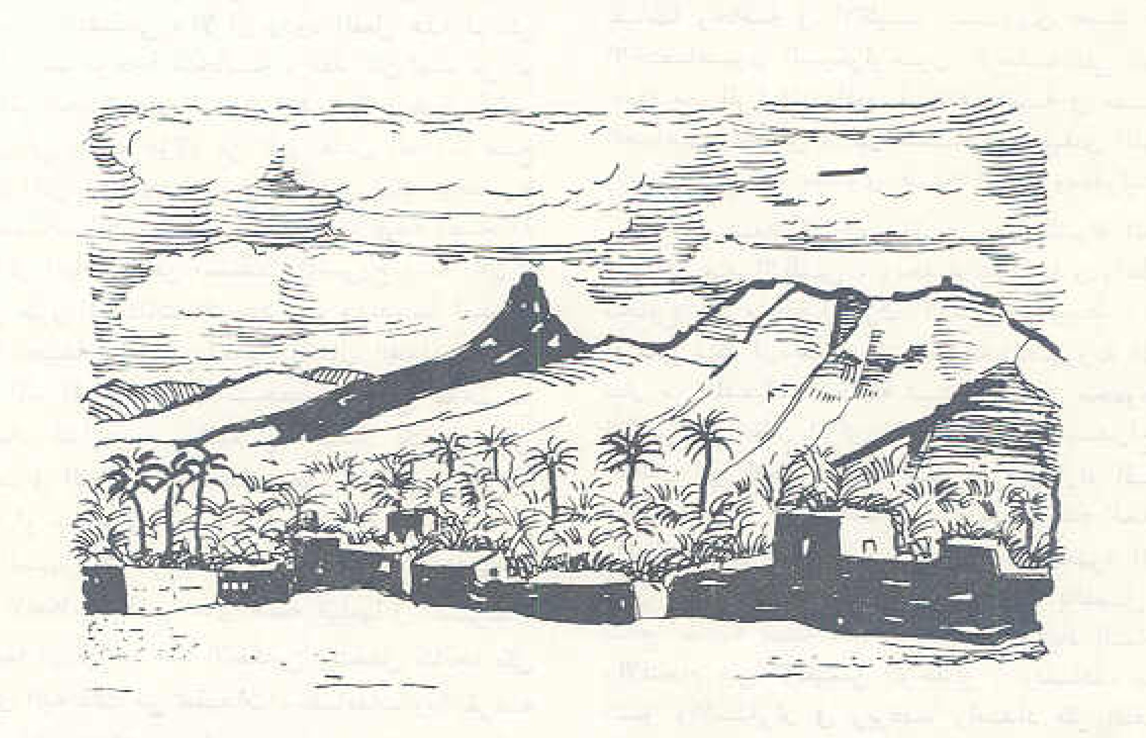
لقد التحق من اليوم الاول بطلائع المجاهدين ، فكان من السابقين الاولين ، حين كان الناس بين مصدق ومكذب ...

وما لبث غير قليل ، حتى آلت به الاقدار الى السجن : ذلك المآل الذي آل اليه امر عديد غير قليل من المفكرين والادباء وعشاق الحرية . واستسلم لهذه الاقدار ، ولسان حاله ينشد قول الشاعر العربي الابي:

« عش عزيزا أو مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود »

حفظ الله أخانا الاديب واخوانه الذين يقاسمونه بأساء الاسر ، وعناء السجن : حتى يروا امتهم ترفل في حلل السؤدد والعز ، وتنعم بالحرية التي جادت في سبيلها بالأرواح الغالية والدماء الزكية .

وكل آت قريب .



الجمهورية العربية المتحدة بعد ثلاث سنوات

للاستاذ الهادي الجمالي

- 2 -

لقـــد كان من الضروري ان يثير الحادث الدولي المتمثل فى قيام الوحدة بين مصر وسوريا – كان من الضروري ان يثير هذا الحادث كثيرا من الانعكاسات وردود الفعل المختلفة فى اكثرية انحاء العالم ، وخاصة فى الغرب حيث يشتد تأثر المصالح الغربية – الى حد بعيد – بجميع المجريات العامة بالبلاد العربية ، وحيث تتضاعف العناية – نتيجة لذلك – بكل ما يجد فى هذه البلاد من تقلبات وتطورات ، وقد نجم بالفعل – غداة اعلان قرار فاتح برابر 1958 – نجم كثير من ردود الفعل العالمية والغربية مما امكن للمراقبين ملاحظته على الصعيد السياسي والنفساني ، الا ان ردود الفعل هذه لم تكن صورها دائما موحدة متجانسة ، فقد كان ثمت من لم يجاوز اثر الحادث على نفوسهم حدود الاستغراب ، بيد انه كان الى جانب هؤلاء من كان تفاعل الحادث مع نفوسهم اكثر حدة وعمقا ، وقد تبدى ذلك بوضوح من التحفظات الكثيرة التي انطبعت بها لهجة الصحافة الغربية فى احاديثها عن مستقبل المشروع بينما كان لا يزال فى طور المحادثات التمهيدية ، وعندما اضحت الوحدة حقيقة واقعية واصبح الكيان الدولي العربي الموحد قائم المعالم ، بارز الشخصية واضح الملامح والقسمات غدا من غير الممكن حينذاك لكثير من الاوساط فى الغرب ان تستسيغ هذه الانتفاضة العربية الكريمة او تستمرىء وجودها ، ولهذا كان طبيعيا ان تواجه الجمهورية العربية المتحدة – فى فجر ميلادها – حقيقة الانعكاس القاتم الذي خلقه قيامها فى الغرب ، كان عليها ان تواجه هذا الانعكاس وتتحمل نتائجه بكل ما يؤدي اليه ذلك من تعقيدات ومضاعفات وما يفرضه من واجبات وتبعات ، وما يضعه من مشاكل ومعضلات،

ولا شك ان من ابرز هذه المشاكل حملة المناورات الاجنبية الجديدة التي كان على الجمهورية الوليدة ان تجابهها باستمرار ، واذا ما استقرينا مظاهر هذه المناوات واستقصينا جوانبها المختلفة فانه يمكننا ان ندرجها فى الاساسات الآتية :

1) التشكيك فى سلامة الاصول التي ينهض عليها بناء الكيان الموحد الجديد المنبثق عن الوحدة المصرية السورية .

2) بذل الجهد فى تحديد الاندفاع الشعبي نحو هذه الوحدة وعزل الحماس الجماهيري الذي احاط بقيامها وخاصة فى الاقليم السوري حيث انصب الاختصاصيون السيكولوجيون الاجانب على تكوين جملة من المركبات والعقد النفسانية فى نفسية الجماهير وتقليص ولائها للنظام التوحيدي القائم واضعاف ايمانها بجدوى هذا النظام ومعقوليته .

3) استنفاذ كل الوسائل فى عزل الدولة الجديدة على الصعيد الاقليمي ؛ وتحديد علاقاتها وروابطها مع مجموع بلاد منطقة الشرق الادنى والاوسط ، وقد اقتضى ذلك ان يتركز على حكومة الجمهورية المركزية تيار من المدعيات المختلفة تستهدف فى مجموعها التأثير على مظان الراي العام بالمنطقة واستدراج هذه المظان الى اتخاذ موقف سلبي تردى ازاء المبادرات الحية المتوثبة التي كانت اساسا لقيام هذه الحكومة والنظام الذي تتولى توجيهه . بيد ان الجهود الدولية التي بذلت فى هذا الميدان لم تتكشف بالفعل عن نتائج ايجابية عملية ، الا ما كان من ازدياد التماسك والالتحام بين الاقليمين الموحدين ؛ وتضاعف نسبة النمو والاستقرار فى ربوعهما وامتداد ظل النفوذ المعنوي اللذين ينعمان به فى المحيط الاقليمي والدولي.

ولا مغالاة في القول ان البناء العقائدي المتين الذي تستند اليه الوحدة المصرية السورية وتنهض على اساسه هو بلا ريب ــ كما قدمناه ــ مصدر هذه الطاقة من الحصانة والمناعة التي تتوافر لهذه الوحدة والتي تضمن لها مزيد القدرة على الصمود امام العوامل والتيارات الدولية المضادة ، تلك العوامل والتيارات التي ما فتئت تعترض جميع البوادر التوحيدية العربية المتحررة والتي تشكل بالفعل جزءا كبيرا من تاريخ الكفاح التوحيدي العربي ومرحلة اساسية من مراحل نموه وتطوره . واذا ما استقصينا اصول هذه العوامل فانه سيكون من اليسير لنا ان ندرك بان المد الثوري التحرري الذي خلقه قيام هذه الوحدة والتهديد المباشر الذي يشكله وجودها للمصالح الغربية والشرقية في منطقة غربي آسيا وتطورات الاوضاع الدولية التي اعانت على نشوئها في المنطقة ، كل ذلك كان من المعقول ان يؤدي بهذه الوحدة الى الارتطام بكثير من المناوآت الدولية المتعددة ويجعل منها هدفا اساسيا من اهداف العدوان الدولي غير المباشر بكل ما يتقمصه هذا العدوان من صور مختلفة وما يتجلى فيه من مظاهر متنوعة . ومن بين العوامل الاساسية في هذا المقام ما يلي :

1) كان قيام هذه الوحدة بالشكل الذي تم الاعلان عنه في فاتح برابر 1958 ــ ظاهرة خطيرة وهامة جدا في حياة العرب والقومية العربية ، فقد اكدت الشهور التالية لميلاد الجمهورية المتحدة ان القومية العربية يمكن في حالة توافر المقتضيات اللازمة ــ ان تكون اساسا لحقائق كيانية جديدة تتوافر لها جميع العناصر الضرورية لقيام المجتمعات الحية النامية المتماسكة ، والحق انه ليس من الجائز ــ لحد الآن ــ تقدير النتائج البعيدة لقيام الجمهورية العربية المتحدة وما يمكن ان تنطوي عليه هذه التجربة العربية الفريدة من آثار عميقة على مستقبل الفكرة الوحدوية العربية العامة ، الا ان الذي يبدو مؤكدا بالفعل هو ان قيام هذه الجمهورية كان تحديا ضخما للنظريات المناوئة للقومية العربية ، تلك النظريات التي تقوم في مجموعها على اساس الاعتقاد بان مبدأ هذه القومية مبدأ وهمي خيالي مفتعل وبالتالي فان الدعوة للوحدة في نطاق هذا المبدأ هي ــ بالضرورة ــ دعوة غير معقولة وتتنافى مع القواعد الصحيحة لبناء الكيانات والمجتمعات السليمة . وقد لاقت هذه النظريات ــ بالفعل ــ بعض الرواج والنفاق في اوساط معينة بالعالم العربي وفي كثير من المحافل المعنية بالشؤون العربية في الغرب ، ولا تزال بعض هذه المحافل والاوساط ــ وقد قامت ج.ع.م ــ تستمسك بالامل بامكانية اخفاق البادرة التوحيدية الرائعة التي تتمثل في وجود هذه الجمهورية وبالنتيجة انتكاس العقيدة القومية العربية التي تنهض على اساسها هذه البادرة ، الا ان الاطوار التي مرت بها التجربة الوحدوية بين سوريا ومصر في غضون السنوات الثلاث الماضية لم يكن من شأنها ان تبيح الاستمرار في انتظار هذا الاخفاق او ترقب بوادره وارهاصاته على الرغم مما تتناوله مصادر الدعاية الاجنبية والشعوبية من مواضيع في هذا المجال .

2) ادى قيام الوحدة بين مصر وسوريا وتكتل القوى السياسية الموالية لمبدأ الحياد الايجابي داخل هذه الوحدة ــ ادى ذلك الى نشوء اوضاع سياسية جديدة في الشرق الاوسط من شأنها ان تفضي الى تجميع مصادر الاتجاه الحيادي في المنطقة وتركيز الضغط الايديولوجي والسياسي الذي توجهه هذه المصادر وتستهدف منه العمل على مطاردة الاتجاهات التدخلية الاجنبية وتحقيق المدلول السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يعبر عنه مفهوم القومية العربية . وقد كان من شأن هذا التركيز لقوى الحياد الدولي في منطقة من اهم المناطق الحيادية في العالم ــ كان من شأن ذلك ان يعين على تعزيز الاوضاع الدولية التي تحتضن مبدأ الحياد ويضفي على جوهر الفكرة ذاتها رداء لامعا من الجدة والروعة والفعالية .

3) كان قيام النظام التوحيدي الجديد اساسا لكثير من التغيرات الجذرية التي اصبحت تميز الخريطة السياسية والاوضاع الدولية العامة بالشرق الاوسط تلك التغيرات التي ساهمت حقا في قلب مستويات التوازن الدولي الكلاسيكي بهذه المنطقة واعانت على ابراز الواقع الثوري العربي الجديد الذي اصبح يتحكم في تحديد مصيرها وتخطيط اتجاهاتها وضبط مسيرها التاريخي الحاسم نحو السلام والحرية والوحدة والتقدم

ومن بين هذه التغيرات : ــ ا ــ حبوط خطة عزل مصر . ــ ب ــ انفلات سوريا من بؤرة الضغط الدولي الذي كان مركزا عليها مستمدا فعاليته من حدود البلاد الشمالية والشرقية والجنوبية ــ ج ــ

تعـزز مركز الجبهة العربية الاشتراكية المتحـررة في الشرق الاوسط ـ د ـ تقلص ظـل الدعـوة لخطط الالحاق كمشروع الهـلال الخصيب وانحسـار مـد الدعوات التوحيدية الاقليمية الضيقـة القائمـة على اساس اعتبار الشخصية السورية شخصية قوميـة متميزة ومنفصلة عن نطاق القومية العربيـة ، ومـن الجلي ان البعض من هذه الخطط والدعوات لم يكـن عديم الصلة بالانقلابات العسكرية المفاجئة التي كـانت تتوالى بالتتابع على سوريا ـ هـ ـ تطـور الموقـف العسكري على الحدود الاسرائيلية السورية في الشمال والجنوب ، وارتباط القوات العربية الرابضة على هذه الحدود بسلطة مركزية قارة ، وخضوعها لنظام مـن الاشراف والتوجيه موحد ، والذي يبـدو واضحا ان تضاؤل عدد الاعتداءات الاسرائيلية على حدود الاقليم الشمالي بعد معركة «التوافيق» يعود في الدرجـة الاولى الى تطور وضعية الجيش الاول نتيجة اندماجه في اطار القيادة العربية الموحدة ، وما اصبح يتوفـر عليه بسبب ذلك من امكانيات تنظيمية وفنية تـزداد اهميتها باطراد مع توالي الايام ، وواضح ان تطـور الاحوال العامة بين العربية المتحدة واسرائيل بمثل هذه الصورة الحاسمة سيكون لـه تاثير جوهري في تعديل موازين القـوى السياسية الدوليـة بالشرق الاوسط وتاثير واضح على مستقبل التوسع العسكري الاسرائيلي ، وفورة الامتداد الاكتساحي الذي تعتمده اسرائيل كوسيلة مثلـى لضمان وجودهـا الدولـي ، وتامين مستقبلها الاقتصادي ، الديمغرافي وتطورهـا الاجتماعي ـ و ـ اتساع مدى التجربة العميقة التي كان لابد ان تعانيها القومية العربية في مجال صراعهـا مع التيارات المذهبية المضادة والمبـادىء والشعارات الاجنبية المتناقضة ، وفي طموحهـا الـى مواجهـة التحديات الفكرية والفلسفية والاخلاقية التي يضعها تدفق هذه التيارات والشعارات على المجتمع العربـي المعاصـر .

والواقع أن انطباد القومية العربية على هـذا الشكل كاضخم تيار فكري عقائدي في الشرق الاوسط وتاكد وجودها كبديل حقيقي ومتكامل لجميع العناصر العقائدية الدخيلة التي قد تجد لها سبيلا للتسرب الى العالم العربي ، كل ذلك كان من شانه ان يعد ظروف الاصطدام الحتمي بين هذه القومية وبين الحركـات الشيوعية العالمية المتاهبة ابدا للتسلل الى الشـرق الاوسط والسيطرة على مكامن التوجيه والقيـادة في ربوعه ، واستصفاء الاوضاع العقائدية الخاصة التـي تتحكم الآن في توجيه مصيره ، وقد كـان لتطـورات الموقـف في الشرق الاوسط ـ نتيجـة الحملـة على السويس ـ ما اعان بالفعل على توسيـع نطـاق هذا التسلل وتمديد الافاق الملائمة لنجاحـه ، واصبـح حينذاك على القومية العربية ان تواجه التحدي بكـل ما يتخذه من صور واشكال ظاهرة ومتخفية ، وقـد واجه شعب الجمهورية العربية المتحدة ـ في الواقع ـ حقيقة هذا التحدي ، ولم يكن لديـه سبيـل آخـر للاختيار ، بالنظر لما يحتله في ستراتيجية الكفاح الفكري العربي من مكانة اصيلة وما يضطلع به في مجال هـذا الكفاح من ادوار طلائعية واساسية ، وافضى الكفـاح الفكري والسياسي الذي استعر اواره بين القاهـرة وبيكين وموسكو في هذا المجال الى نتيجته الطبيعيـة المحتومة : انتكـاس المبـادىء الشعوبيـة والاممية والنضالية الطبقيـة بكل ما تنطوي عليه من اهـداف واتجاهـات كليـة ومـا تعبـر عنـه مـن مثاليات وشعارات لاقومية وارتداد القوى السياسيـة التي تحتضن هذه المبادىء وانهزامها امام فورة الوعي القومي الاشتراكي الذي اتخذ سبيله الى الاستقـرار في الذهنية العربية واصبح الاساس لبنـاء عقائـدي اصيل يتحكـم في تحديد الاتجاه العام للامة العربية .

على ان هناك حقيقة اساسية ليس من اليسير الاغفاء عنها وهي ان شعب الجمهورية العربية المتحدة والقيادة السياسية والفكرية داخل هذه الجمهوريـة لم يتاخر كل منهما ـ كما قدمنا ـ عن القيام بالدور الرئيـسي في هذا السبيـل ـ ز ـ تزايد الشعور بعد اقرار نظـام الوحـدة المصريـة السوريـة بخطـورة المسؤوليات التي تفرضها الحياة الحديثة على كاهـل الشعب العربي في الاقليمين الموحدين ، وذلك بعـد ان غدا من الممكن اعتبار الدولة المنبثقة عن اتحاد هذيـن الاقليمين كاضخم تنظيم دولي وشعبي في منطقـة الشرق الاوسط ، وقاعدة ارتكاز للوجود العربـي في هذا القطاع الهام من العالم . وقد كان الاعلان المفاجىء عن الامكانيات الذرية الاسرائيلية المحتملة وامتـلاك اسرائيل ـ بالفعل ـ لمولد نووي في صحراء النقب ـ كان ذلك فرصة هامـة لشعب الجمهوريـة العربيـة المتحدة ليؤكد من جديد وجود هذا الشعور العميـق بالمسؤولية ، وليبرهن عن احساسه الشديد بضخامة الرسالة التي تلقيها عليه التطورات العالمية ، وتصميمه

على رد التحدي والسعي فى مسابقة اسرائيل والمزودين لها فى مضمار النشاط الذري ومشتقاته الحربية والستراتيجية .

وليس من الحكمة بالطبع الاعتماد ـ فى هذا المجال ـ على مجرد التاكيدات اللفظية التي رددها المسؤولون العرب والموحية بامكانية امتلاك العربية المتحدة ـ فى المستقبل ـ لسلاح نووي رادع له اهميته وجدواه ، ليس من المعقول ـ ولا شك ـ تقييم الموقف على حقيقته بالاستناد البسيط الى مثل هذه التصريحات ، غير ان الاحداث التاريخية التي سجلها شعب الجمهورية فى الشمال والجنوب ، والمواقف الايجابية التي تبناها هذا الشعب فى مجال صراعه المتواصل من اجل الحياة والنمو والتطور ، والمآثر التي خلفها فى سجل الكفاح الانساني ضد عوامل التقهقر والتراجع والتخاذل ، كل ذلك من شانه ان يبيح الشعور ببعض التفاؤل ، ويجيز الاعتقاد بان الشعب العربي فى الاقليمين المتحدين سيعرف ـ بالتعاون مع اشقائه العرب ـ كيف يجعل من التسابق الذري قضية رابحة مثمرة ، كما فعل من قبل فى قضايا التأميم والتصنيع والتجهيز والتطهير وغير هذا من مواطن الفوز التي سجلها فى الفترات الاخيرة من يقظته وانبعاثه .

والذي لايتطرق اليه الشك ان ما يصل بين الاقليمين من عوامل الوحدة المتينة وما يربط بينهما من اسباب التكافل والتعاون هو خير ضمان لتوفير ظروف وعناصر النجاح فى هذا المجال .

لقد كانت نقطة الانطلاق الكبرى فى الحركات التوحيدية العربية الاستجابة لمنطق الواقع من ضرورة التقارب والالتحام بين المجتمعات الموحدة فكرا وتاريخا ومزاجا ولغة واماني وآلاما ، وقد كانت كل هذه العوامل بالطبع فى اساس القاعدة التي انبنى عليها كيان الجمهورية العربيةالمتحدة ، لكنها لم تكن ـ فى الواقع ـ كل شيء ، فقد كانت الوحدة المصرية السورية ـ الى كل ذلك ـ موقفا ايجابيا عربيا امام التحديات الكثيرة التي تشكلها حقائق الحياة المعاصرة بما فيها من صور تطورية وحضارية سريعة ، وليس من المعقول بالطبع ان نجرا على التاكيد بان الفترة الزمانية القصيرة التي تمتد من سنة 1958 الى 1961 كانت كافية لاثبات كل هذه الفاعلية الخارقة لوجود الجمهورية العربية المتحدة ، ولكنه قد يكون فى ميسورنا ـ مع ذلك ـ ان نؤكد بان السنوات الثلاث المنقضية كانت خطوة كبرى فى هذا المقام ، ومجرد استعراض بسيط لنتائج الوحدة فى الاقليمين قد يجزيء فى الدلالة على ذلك : فقد ساعدت الاحوال الناشئة عن قيام الوحدة على تهييء المجال للشخصية القومية العربية لكي تصبح ـ فى المحيط الدولي ـ اكثر جلاء ووضوحا واعمق جذرية واصالة ، وقد اضحى بناء الجمهورية الفتية اعظم قدرة على مواجهة التطورات العالمية المعاصرة واكثر استعدادا لمجابهتها بروح الواقعية والابداع والتنظيم ، فقد تيسر للاقليم السوري فى ظل الجمهورية العربية المتحدة ـ مثلا ـ ان ينال حظا من الاستقرار العام بعيدا عن الزعازع السياسية العسكرية التي كانت تدمغ وجه الحياة فى ربوعه منذ بضع سنوات ، هذا بالاضافة الى الخطوات التنظيمية والاصلاحية المتلاحقة التي شهدها الاقليم والتي تتناول الحياة العامة فيه بالتهذيب والتشذيب ، وقد كان من ذلك الخطوة الاصلاحية الكبرى التي شهدها الاقليم فى اوائل خريف سنة 1958 والتي تتمثل فى قانون الاصلاح الزراعي والمقتضيات القانونية الناشئة عنه ، تلك المقتضيات التي تستهدف اعادة بعض التوازن الممكن فى حياة المزارعين وتعديل النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي كان من اكبر العوائق فى تحقيق هذا التوازن وتكريس مداولته .

ومن احدث الخطوات التنظيمية التي عرفها الاقليم ايضا : مجموعة التدابير المالية التي اتخذت فى اوائل هذه السنة والرامية الى حماية النقد السوري من اخطار المضاربات فى الاسواق الخارجية وتحديد نطاق التهريب العالي الضخم الناشيء عن اتساع حركات المضاربين ، والذي كان من نتائجه الحتمية انخفاض سعر النقد السوري فى كثير من الاحيان بصورة مفتعلة وغير عادلة . (1)

1) استوعب مشروع الاصلاح المالي بادرة ضخمة ومسرحية تم بموجبها تأميم وتعريب 19 مصرفا اجنبيا تبلغ استغلالات الواحد منها 100 مليون ليرة سورية .

على ان برامج الاصلاح الزراعي والمالي هذه لا تستقطب – في الواقع – كل صور الاصلاح العام الذي يجري بصورة نسبية في جميع شرايين الاقليم الشمالي ؛ فهناك ايضا مجالات واسعة اخرى لتحقيق تطورات اصلاحية جديدة تمتد على مختلف قطاعات الحياة المدنية بهذا الاقليم ، وتستهدف العمل على انماء ثرواته وامكانياته ومن صور ذلك : مشروع السنوات الخمس الذي يستهدف منه – بصورة خاصة – العمل على تصنيع الاقليم السوري وتوسيع مبادرات النمو الاقتصادي في مختلف ربوعه ، الامر الذي من شانه ان يساهم – بشكل جدي – في تغيير مستقبل هذا الاقليم ويجعله اكثر استعدادا لقبول مقتضيات الحياة الصناعية الانتاجية كما تعرفها كثير من الدول المتقدمة في حقول التصنيع وميادين التيكنولوجيا . هذا وقد ساعدت الوحدة – من جانب آخر – على تعزيز المكانة الدولية للحكومة المركزية فكان لها من ذلك سبيل الى التخلص من كثير من المعضلات السياسية الخارجية الامر الذي اتاح لابناء الاقليم الجنوبي القدرة على السير الحثيث في طريق التوسع الصناعي والنمو الاقتصادي العام ، واذا ما وضعنا في الاعتبار مدى الاهمية التي يتسم بها التقدم الصناعي الذي احرزته مصر في غضون السنوات الاخيرة امكننا ان نحس بكثير من عناصر الثقة في المستقبل الانتاجي والتيكنولوجي للاقليم حيث ستغدو الصبغة الصناعية لصادراته اوسع نطاقا من الصبغة الزراعية والخامية تلك التي كانت تميز اقتصاده فيما قبل .

على ان الجانب الزراعي من النهوض الاقتصادي في الاقليم الجنوبي لم يبق هو الاخر بعيدا عن التأثر بمظاهر الطفرة الاصلاحية التي ستساعد في الميدان – على زيادة استثمار الموارد الارضية في الاقليم ، وبذلك يصبح من الممكن كثيرا مواجهة المشكلة السكانية التي تحول بينه وبين تدرج اكثر سرعة في ميدان التطور المعيشي المنشود . ومن بوادر التفاؤل ان السنة الاولى من حياة الاقليم في ظل الجمهورية العربية المتحدة كانت نفس السنة التي امكن فيها لمشروع السد العالي ان ياخذ طريقه الى المراحل الاولى من انجازه، ولا محالة ان اقامة هذا السد ستكون – مع مشروع سد الفرات في الاقليم الشمالي – شبكة هائلة للري تتيح لـ ج.ع.م. مجالا فسيحا للتوسع الزراعي وانتاج الطاقة مما لا تتوافر امكانياته لكثير من البلدان الاخرى .

على ان اهم من هذا كله ما امكن لابناء الاقليمين الموحدين التوفر عليه من المكتسبات الخلقية التي هي زاد كل شعب يتوق الى الافضل ، فقد غدا يبدو جليا ان روح الثورة البناءة المبدعة تلك التي تعتمل في جسم الجمهورية وتسري في اوصالها ، هذه الروح لم تعد غريبة مطلقا عن الجماهير المتحفزة في الشمال والجنوب، والمتاهبة للسير مع قافلة التاريخ ومواكبة سير التطور العالمي الاكبر ؛ ان روحا من الوطنية الايجابية والقومية الواعية الهادفة قد غمرت – بالفعل – وكما تعكسه تطورات الاحداث – مختلف الكتل الشعبية المؤمنة المتحمسة في الشمال والجنوب ؛ وليس امام هذه الاشراقة الباهرة من الوعي الجماهيري في الاقليمين الا ان تنبثق – وقد بدات تفعل – عن مزيد من آيات الخلق المبدع والتنظيم الدقيق والتخطيط المنهجي ، حتى تصبح الجمهورية العربية المتحدة – بمشيئة الله – نموذجا حيا لما يمكن ان تسفر عنه الحركات التقاربية بين الشعوب والمجتمعات الصغيرة من نتائج ايجابية مثمرة .

*

لقد انقضى الآن على ميلاد الجمهورية العربية المتحدة ما ينيف على ثلاث سنوات ؛ وهي فترة جد تافهة بالقياس لاعمار الدول والشعوب ، ولكنها – مع ذلك – تشكل مرحلة هامة من حياة الجمهورية في المحيط العالمي والدولي ، وتوجد العربية المتحدة الآن وهي في وضع دولي مرموق سيفضي بها – كما نعتقد – الى ان تصبح القوة السياسية الرئيسية في شرقي الابيض المتوسط وغربي آسيا ، وذلك بالطبع في اطار التعاون العربي العام . وترتكز اهمية الجمهورية المتحدة في هذا المقام على الاعتبارات الآتية :

1) وجودها كاداة عازلة لمختلف التاثيرات الدولية المتناقضة التي تزحف على منطقة الشرق الاوسط حيث يستهدف كل منها تلوينه بالوان اتجاهية معينة . (2) تفردها بزعامة معسكر الحياد الايجابي بالمنطقة . (3) ارتباط سياستها الخارجية بمبدا القومية العربية .

وقد كان من نتائج هذا كله ان اتاح للجمهورية العربية المتحدة مكانة هامة في القطاع الدولي للحياد الايجابي وفي عالم الكتلة الافريقية الاسيوية بما يضمه من بلاد وشعوب باندونغ ودول الكومونلث وغيرها . هذا الى ما تنعم به من فرص التعاطي الحر الخير مع

دول المعسكر الاشتراكي في شرق اوربا وآسيا وبعض الدول الاخرى الملتزمة وغير الملتزمة في الشرق والغرب .

وقد نشأ عن هذه الاحوال من الاستقرار والنمو والتطور والارتكاز ـ تلك التي تميز اكثر فاكثر حياة الجمهورية العربية المتحدة ـ ان اخذت ترتسم في بعض الافاق بالعالم الراسمالي ملامح اتجاه محدود يبدو انه قد يرمي ـ في بعض الجوانب ـ الى اصطناع علاقات معها اكثر ايجابية وواقعية وصراحة ، وعلى الرغم من ان هذا الاتجاه لا يمكن ان يعبر ـ بالضرورة ـ عن امكانية الوصول الى نهاية حاسمة للخلافات العربية الغربية ـ تلك الخلافات التي يتأصل اغلبها عن مأساة فلسطين والجزائر والمحميات وغيرها ـ فانه ـ مع ذلك ـ يمكن ـ اذا ما استوفى شروطه ان يساعد على قيام عهد من التفاهم المصلحي والتعاون الاقتصادي بين الغرب والعرب قد تبرز نتائجه في المراحل النهائية لسد اسوان او غيره من مشاريع الانماء الاقتصادي في العالم العربي .

ان الافاق التي تتفتح امام الشعب العربي في ظل الجمهورية العربية المتحدة ليس من شأنها الا ان توحي بمشاعر الثقة والايمان بمستقبل هذا الكيان الخالد الذي يضم الاشقاء من ابناء بردي والنيل ، ذلك ان قيام هذه الجمهورية لم يكن فقط اساسا لوقوع تعديل جديد على وجه الخريطة السياسية لمنطقة الشرق الاوسط ، لا ولم يكن مجرد تغيير عددي للوحدات الدولية التي تملأ حيز هذه المنطقة ، انه كان بدء انطلاقة عربية كبرى في السبيل الذي تختطه المجتمعات اليقظة لنفسها عندما تريد التحرر من اسار القيود الفكرية والعقد النفسية التي تحول بينها وبين التطور، لقد كان انطلاقة هائلة في سبيل التحرر والتقدم والتجديد ، وخطوة اساسية في طريق التغلب على التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه البعث العربي الحديث ، وكان بالنتيجة لذلك اسهاما ايجابيا في صقل انسانية الفرد العربي وتأصيل وجوده ، وتفجير نشاطه وملكاته ، وتنمية كوامن ايجابيته وابداعه وقيادته الى سبيل الثورة الخلاقة البناءة من اجل الحياة ومن اجل القوة ومن اجل النمو والتطور .

مبـــارزة

كان البروفسور (رودلف فيرشانو) العالم الالماني المعروف كثير النقد لسياسة بسمارك مما اضطر بسمارك الى ان يتحداه ، ويدعوه الى المبارزة فارسل اليه العالم يقول : (ما دمت انت المتحدي فان لي حق اختيار المبارزة) ووافق بسمارك على ذلك فارسل اليه العالم كعكتين متشابهتين وقال له : (ان واحدة من هاتين الكعكتين ملوثة بجراثيم الكوليرا المميتة ، والاخرى نظيفة خالية من الميكروبات ... فهل تتفضل باكل احدى الكعكتين وسآكل الكعكة الاخرى . ولم يسع بسمارك الا ان يعتذر عن عدم استطاعته قبول مثل هذه المبارزة .



انطوى ذلك اللواء

للشاعر عبد القادر المقدم

جـــل
ما خطـه القضـــاء
وشـــاءه
وانطـــوى
ذلك اللـــواء انطـــواءه ،

*

واستبـد الاســى
وعـز التآسي
واختفـى البشـر
ساحبـا اشلاءه

*

وسـرت همســة
يواكبهـا الدمـع
كمـا يرسل السمـاء
انـــواءه
تتلاقى اللحـاظ
من وطأة الهـول
فتومـــي
ومـا تعـي ايماءه

*

وبدت آيـة الكآبـة
تلقي من دجاه
فوق الوجـوه
ملاءه

*

وتناسى الاطفـال
لغـو صباهـم
وتساقـوا من الوجوم
شقـــاءه

*

وكـأن اصبحـوا
كهـــولا
فمـا تلحظ فيهـم
من يستسيـغ غذاءه

*

ما عهـدت
خطبا يروع نشئا
شانـه اللهـو
ينتحـي انحاءه

*

ومن الخطب ما يشيب ولدانا
ويلقي على الملا
اعبـــاءه
حلـــق
وعـد الالـه
فالموت راح
كـل حـــي
لابـد يحسـو
حســـاءه

*

جبـل الحـي
للفناء وما يجدي مع الموت
ان نهـاب لقــاءه

*

ارايت ابن يوسف
كيف قضـى
اي عمـــر
لم يستطب نعماءه

*

يوصل الليل
بالنهـــار
فما يسكن الا
ليستعيد رواءه

ساهرا

او مناقحا

او معيد التراث

او ناشرا

اطـواءه

*

لا ينـي

يرسل الطلائع

من كل لبيب

يبثه آراءه

*

ويسيل العلوم

غيثا

ويحيي دارسا

للفنون

يعطي شذاءه

*

ويحيل الايام

بيضا

فما تشهد

الا آلاءه وثناءه

*

مستهينا

بكل جهد

فلا يفتر سعيا

ولا يمل عناءه

*

هكذا

يصهر الطموح

فيغدو اثرا ماثلا

يروم بقاءه

وتراءت لـه

مخايل آت

يا لـذاك النذير

ينهي نداءه

*

ينتحي

خلوة التدبر

يرنو

ويناجي مستوصيا اصفياءه

ويسر الوصي :

« ما بت ابغي

غير ان ينشر الهنا

افيـاءه »

*

وخطا ..

في مسالك الابد الساجي

وكم كابد الاساة

ازاءه

*

فتخطى

درب الفناء

واوفاه بديع السماء

ثم جزاءه ..

*

فهو في الخالدين

ينعم بالرضوان منه

مجاورا اولياءه

*

وكفاه الولي

شان مناه

فتصدى

وما توانى

وراءه

*

اي امر

سعى له مستحثا

كان عونا له

وكان عزاءه

*

شد من ازره

وكان على اللاواء

يفتر نجمة

وضاءة

*

واذا استطلع الحكيم

خبايا

جنبته فطنته

اخطاءه

*

يغنم المالكون

زهر حياة

وهو في شأنه

يقيم بناءه

*

همة لا تني

وعزة نفس

واباء يضني النهي

اضناءه

*

هل يعي الدهر

اسوة كمليك

عاش للفضل اوجـه
وسمـاءه

❋

مـلـك
وابـن مالـك
حالف الاقبال منـه
طموحه
ورجـاءه

❋

حسـن النعت
والشمائـل
شـهـم
عقد النصر والولاء
لـواءه

❋

كنـت
للشعب بلسما وعزاء
ولما حل بالقلـوب
شفـاءه

❋

فتسنـم
عـرش الجـدود

مطاعـا انت اهـدى
لمـا تشا انشاءه
وتقـدم ركبـا
خبـرت منـاه
نلـت تأييـده
وحـزت ولاءه

❋

وامـض
فى عـرشك السعيد
رشيـدا قد حباك التنشيء
خير كفـاءه

❋

واعتصـم
بالذي هداك فاولاك
من الملك والحجـا
مـا شاءه

❋

واقتحم ما تروم من كل شأو
كـمـل الـصـرح
جملـن ارجـاءه

❋

وارق

فى سلـم التألـق
نجمـا
وتعهـد ما تنتـوي
اعـلاءه

❋

واسبقـن
موكب الحيـاة
فللدهـر شـؤون
فاستدركـن آنـاءه ..

❋

وخـذ الحـزم
فى الخطـا
ان للحزم قضاه وشأنه
ومضـاءه
وانـج
مـا عشـت
ساريا عبر اشراق الاماني
سابقا جـوازاءه

❋

وذووك السراة يحدوهم السعد
ويضفي عليهم
اضـواءه

مليك له في التضحيات مواقف

للأستاذ محمد بن عمر العلوي

قضى الله فينا ما قضى وهو احكم — فصبرا لما قضى الاله المعظم

فجعنا وعم الحزن والكرب والاسى — وجل فينا خطب اليم مجسم

فافقدنا احساسنا وشعورنا — واذهلنا عما تدير ونعلم

واخرس منا السنا فتلجلجت — لم تدر حتى ما به تتكلم

مصاب الم كالصواعق فجاة — ورزء بدت من هوله الخلد تلذلم

بكينا فما اجدى العويل ولا البكا — وما فاض من دمع يمازجه دم

فجعنا ولم يكد يدور بخلدنا — نزول منايا لا تجود وترحم

فتاتي على روح لاعظم مالك — وخير اب في المكرمات مقدم

مليك له في التضحيات مواقف — بها شهدت اعداؤنا وهم هم

وفي الراي والتدبير والعزم واللقا — مشاهد لو تحصى لألف معجم

حمانا واولانا السعادة والهنا — وانقذنا والجو اسود مظلم

فدانا بروح لا تقاس شهامة — ونبلا واخلاصا وما هو اعظم

بهمته القعسا تحرر شعبنا — من الرق وانفك الحصار المقسم

باخلاصه الاسمى نجونا من الردى — وصرنا اباة لا نداس ونهضم

بفقدك يا قطب الملوك محمدا — فقدنا عظيما في الشدائد ملهم

خسرنا حكيما عبقريا مجاهدا — يصول امام النائبات فتحجم

الا فليمت من شاء بعد محمد — فكل لذيذ بعده اليوم علقم

ابعد ابن يوسف تطيب حياتنا — وناي الذي يسلي النفوس وننهم

ومن اجلنا تجرع المر صائقا ... لنحيا كما يشاء بالمجد ننعم

بلى اننا فى لوعة من مصابه ... نصابر مقدورا وما هو مبرم

ابا الفتح والعلى رحلت مخلفا ... وراءك شعبا قلبه يتضرم

فلو كنت تفدى لافتداك بروحه ... واسهم بالحظ الذي منه تعلم

مضيت الى الفردوس فى حلل الرضى ... تقدسك الاملاك منها وتخدم

وتهتف حور العين حين تراكم ... وتسعد باللقاء منكم وتبسم

ابا حسن نم مستريحا من العنا ... يظلك رب العرش ظلا وترحم

فقد وفيت العهد الذي قطعته ... واسست صرحا شامخا لا يهدم

يدوم متى دام الزمان واهله ... وتدرسه الاجيال بعد فتفهم

وحققت فينا المعجزات فآمنت ... بها اعين الورى فهاموا وسلموا

عليك سلام مستطاب عبيره ... بلا غاية برضيك منا ويعظم

ومن ربنا المنان الف تحية ... يطيب بها ذاك الضريح المنسم

وفى الحسن المحبوب وارث سركم ... ضمان لنا فلا نخاف ونظلم

عزاء لكم يا مالك العرش اننا ... على العهد والولا وبالله اقسم

ادامكم المولى لنصرة دينه ... تحقق سرا من ابيك فتغنم

بجاه عريض الجاه طه محمد ... وءاله والاصحاب ما حل مغنم



قصة يتيم

للشاعر المدني الحمروي

عرفت فتى هلكت امه ... وكان ابوه قد استشهدا
رايت الاسى قد عرا وجهه ... وقال : بقيت انا مفردا
فلا والد اجتني بره ... ولا أم تدفع عني الردى
ولا من قريب الوذ به ... ولا محسن لي يمد اليدا
ولست سوى يافع عاجز ... عن الكسب او ما يبل الصدى
فما حيلتي وانا ضائع ؟ ... سالقي مصيرا رهيبا غدا
الا محسن بره حاضر ... الا ملجا أقضي فيه المدى ؟

فقلت : تعز ولا تبتئس ... ولا تنس ان تلزم المعهدا
تعلم تنل كل ما ترتجي ... فبالعلم ساد من استرشدا
واني ساضمن ما تبتغي : ... معاشك والكتب والمرقدا

فقال : جزيت بخير الذي ... يصون الجميل ويولي الجدى
سامضي الى الدرس لا انثني ... عن الدرس ما دمت لي مسندا

فقام وقمت بما ينبغي ... وقلت لقد احسن المبتدا
ولما شدا احرفا قال لي : ... سئمت المدارس والمسجدا
ارى النفس للمال تواقة ... لتروي منه غليل الصدى
سأبذل فى كسبه قوتي ... لقد طال بي فى الدروس المدى

فقلت : الا تتقي نكسة ؟ ... ستندم ان لم تصدق غدا
فصبرا على الدرس ان كنت لا ... تعق نصوحا ولا مرشدا
ستجني ثماره ان اينعت ... ويمنحك الحظ والمجدا

فقال : عزمت فلا تعترض   سأكدح في عيشتي مفردا
فان الق سؤلي فتلك المنى   وان خاب سعي فلن اكمدا
ولست بأول ذي امل   فسيح يعانق فيه الردى
فبارك علي ودع وجهتي   سأمضي اليها ولن اقعدا

فودعته اذ ابى فكرتي   وقد ضاع نصحي لديه سدى
ولما انقضى الحول من بعده   وقلت لعل الفتى اسعدا
رأيته في زمرة كلهم   بدا من تشرده مجهدا
عليهم رقاع عداد ، اذا   مشو تبصر الجسم منهم بدا
فاطرق كي لا اراه ولم   يقف لحظة ، بل سريعا عدا
فقال رفاقه في دهشة :   اجن الفتى اذ عدا مبعدا ؟
فقلت : اهذا الفتى منكمو ؟   وما ذا يروم واين اغتدى ؟
فقالوا : رفيق وفي لنا   زعيم خبير يسوء العدى
وانا يتامى لنا منزل   بظهر الثرى تحت قطر الندى
نجوب الشوارع في يومنا   الى الليل نرتاد فيها الجدى
نلاقي شقاء على اوجه   مراض ترى لونه قد بدا
وقالوا : تعطف وجد اننا   نراك نبيل العلى امجدا
وقال فتى منهمو : ابتغي   لديك « سجاير » نفسي الفدا
فآسفني ثم ناولته   دراهم مني ، فمد اليدا
وعدت وقد ساءني حالهم   اعاتب نفسي وقومي سدى

صوتُ شعبٌ

للشاعر ابن دفعة محمد

انا ، في الجزائر ، ثورة .. لن تخمدا

.. وفدائي ثوري ، كم اهوى الردى

مهما رماني ظالمي بقذيفة ..

حرى ، نما صبري لها ، وتجددا

انا لست ارهب ان يغيلني .. ان امت

بقيت بطولتي ، بعدي ، ما بقي الندى

تحيا « جزائري » امة عربية ...

واذا قضيت فداءها ، لن افقدا

لكن دمي ، بثراها ، ربا خالدا

وعظامي ، تحت حشاها ، نصرا مغمدا

انا .. ان امت ، فعروبتي تحظى بما ..

ارجو لها ، من عزة ، رغم العدى

انا صوت شعب ... اقسمت اوراسه

.. الا تنام .. وثاره هدر صدى

شعب تمرد .. لا امان بارضه

حتى يحول امس عزته غدا

قصة العدد



ذات ليلة من ليالي الصيف الشديدة الحرارة ، عاد من نزهة نهرية في طليطلة نبيل شيخ ومعه زوجته، وطفل صغير وابنة في السادسة عشرة من عمرها وخادمة ، كانت الليلة مقمرة ، والطريق خاليا، والساعة تشير الى الحادية عشرة ، وكانوا يسيرون على مهل فرارا مما يتطلبه المقام لدى النهر من نفقة وجهد يفرضها المستوى في طليطلة ، ونظرا للامن الذي تكفله العدالة الشاملة ، وطيبة الناس في تلك المدينة ، فقد رجع النبيل الطيب مع اسرته الشريفة ابعد ما يكونون عن التفكير في حادث ما يمكن ان يقع لهم ، بيد ان الكثير من الحوادث التي تقع مما لا يجري به فكر ، ولاسيما فكر ذلك النبيل ، ومن ثم فقد اصيبوا بفاجعة بدلت سعادتهم شقاء ، وتركتهم يبكون اعواما طوالا ...

كان من بين وجهاء المدينة شاب في الثانية والعشرين من عمره تقريبا ، من اولئك الذين توافر لديهم المال ،والدم العريق ، والانحراف الممسوح ، والحرية الزائدة عن الحد ، والزملاء الاباحيون الذين يدفعونه الى عمل اشياء ، والاجتراء على امور لا تلائم نوعه ، وقد اطلقوا عليه لقب « جريء » هذا الوجيه الذي نمسك عن ذكر اسمه الان احتراما ، ونطلق عليه اسم « رودولفو » كان هو واربعة من اصدقائه ــ وكلهم شبان مستهترون يعوزهم الحياء ــ قد هبطوا من نفس المنحدر الذي صعده النبيل الشيخ ، والتقى الفريقان، رب القطيع والذئاب ، وفي غير شرف او استحياء نظر « رودولفو » ورفقاؤه ــ وكانت وجوههم ملثمة ــ الى الام ، والى الابنة ، ثم الى الخادمة. فصاح النبيل فيهم وزجرهم منكرا عليهم تطاولهم وجراتهم ... ولم تكن اجابتهم له الا تغامزا وسخرية ، ثم واصلوا سيرهم في غير اكتراث ، بيد ان وجه الفتاة الساحر الذي رآه « رودولفو » والذي اطلق هو ورفقاؤه على صاحبته اسم « ليوكاديا » ــ وهي ابنة النبيل الشيخ ــ قد بدا ينطبع في ذاكرته على نحو لم يستطع معه التحكم في ارادته ، واستيقظت فيه رغبة الاستمتاع بها على الرغم مما عساه ان يصيبه في سبيل ذلك ، وفي دقائق ابلغ زملاءه بما فكر فيه ، وبعد قليل كان هؤلاء قد قرروا العودة لاختطافها ارضاء لرغبته ... والاغنياء الذين يبذلون بسخاء يجدون دائما من يرضى عن شذوذهم ويصف عملهم السيء بانه حسن .. وهكذا ولدت الفكرة الاثمة وابلاغها والموافقة عليها .. وقرار اختطاف « ليوكاديا » ثم اختطافها فعلا .

وضع كل لثامه على وجهه ، ورجعوا شاهرين خناجرهم ، وعلى بعد خطوات قليلة ادركوا اولئك الذين لم يفرغوا بعد من شكر الله الذي خلعهم من ايدي اولئك الفاتكين ، هاجم « رودولفو » « ليوكاديا » وحملها بين ذراعيه ثم ولى بها هاربا، ولم تكن لديها قوة كي تدافع عن نفسها ، اذ ازال الخوف صوتها ان تستغيث ، واصيبت بالاغماء فلم تعد تحس ، ولم تدر من حملها ، ولا الى اين تحمل .

صاح ابوها ، واعولت امها ، وصرخ اخوها ، وخمشت الخادمة وجهها ، ولكن لم يسمع شيء من الصياح او العويل ، ولم ينفع من الحزن دمع ، ولم يجد خمش الوجه جدوى ، فقد اختنق كل ذلك في وحدة المكان ، وهدءة الليل الصامت ، ووحشية الاشقياء الجريئة ، وفي النهاية انقلب هؤلاء مسرورين ، وبقي اولئك محزونين .

بلغ « رودولفو » منزله دون اية صعوبة ، بينما وصل والدا « ليوكاديا » الى منزلهما فزعين ، اعميين فقد فقدا « ليوكاديا » وقد كانت ضياء عيونهما ، وحيدين وقد كانت بهجتهما ورفيقهما المؤنس ، مضطربين لا يدريان ان كان من الملائم ان يخبرا العدالة بفجيعتهما ، فزعين من ان يكونا هما الاداة الرئيسية لاعلان ما يمس شرفهما ، انهما كنبيلين بائسين وجدا انفسهما في حاجة الى مساعدة ، فلم يدريا ممن يشكوان ، اللهم الا من مفاجاة قصيرة ...

اما « رودولفو » فبكثير من خبثه ودهائه قد صارت « ليوكاديا » في جناحه الخاص من داره ، ومع انه كان قد احس بالاغماء الذي اصابها عند ما حملها ، الا انه غطى عينيها حتى لا ترى الطريق التي سلكها ولا المنزل الذي دخله ، وبالرغم من انه كان يعيش في دار والده ، الا ان احدا لم يره ، اذ كان له جناح خاص قائم بذاته ، به كل مايحتاجه ، ولديه مفتاحه ، وقبل ان تثوب «ليوكاديا» الى رشدها كان «رود ولفو» قد قضى منها وطره ، وهكذا سلبت اعز ما تملك .. في الظلام.. وفي عمى البصيرة ...

ولما كانت شهوات البدن الآثمة لها حدود تنتهي عندها ، فقد ود « رودولفو» اذ ذاك ان يتخلص من «ليوكاديا» وفكر في ان يضعها في الطريق هكذا مغمى عليها كما كانت . ولكنه اذ هم بان يضع فكرته موضع التنفيذ ، احس بانه قد عاد اليها رشدها ، وسمعها تقول وهي تحدث نفسها : اين اوجد ايتها التعسة ؟ اي ظلام هذا ؟ اي غموض يكتنفني ؟ هل انا في منزل براءتي ام في جحيم خطاياي ؟ يا الاهي ، من يمسني ؟ انا في فراش ؟ انا معتدى علي ؟ انصتي الي يا امي ؟ واستمع الي يا ابي العزيز ؟ .. آه .. انه لتعاستي ان الاحظ ان ابوي لايستمعان الي ، وان اعدائي قد فتكوا بي . كم اكون محظوظة لو ان هذا الظلام كان ابديا ، ولم تعد عيناي تريان ضوء العالم ثانية . وان هذا المكان حيث انا الآن ــ كائنا ما كان ــ يكون مقبرة لي ، لان التجرد من الشرف اذا كان مجهولا افضل من الشرف الذي يكون في متناول آراء الناس ، انني اتذكر ــ وسوف اتذكر ذلك ابدا ــ انني منذ قليل كنت راجعة في مرافقة ابوي ، واتذكر انني هوجمت.. ما من شك في انه ليس حسنا ان يراني الناس هكذا.. اواه ... يا انت كائنا من تكون . اذا كانت نفسك تقبل نوعا ما من الرجاء ، فانني ارجوك وقد قضيت على شرفي ان تقضي كذلك على حياتي ، انتزع مني هذه الحياة ، فليس من المستحسن ان تكون لي حياة غير شريفة ، وسوف تدرك ان ما استعملته معي من وحشية وتجرد من الشرف والادمية عند الاعتداء علي سوف يتعادل مع الرحمة التي تستعملها اذا قتلتني ، وهكذا يمكن ان تكون وحشيا ورحيما ..

ــ 2 ــ

لقد تركت كلمات «ليوكاديا» «رودولفو» حاسرا لم يدر ما يقول او يفعل ، وهو شاب قليل التجربة ، حتى لقد عجبت لصمته وحاولت بيديها ان تكشف الامر وان تعرف الذي كان معها هل هو خيال ام ظل ، ولكنها لمست جسما فذكرها بالعنف الذي اتخذ في اختطافها عندما كانت راجعة مع ابويها ، فوقعت على حقيقة قصة فاجعتها ، وازاء هذا استأنفت قائلة : ايها المجترىء الشاب : ان عملك هذا لكفيل بان تحاكم من اجله ولو كنت في سن طرية ، اغتفر لك فعلتك اذا اكدت لي واقسمت انك كما اخفيت ذلك في الظلام ، تخفيه بصمت ابدي فلا تنبس به الى احد ، يجب ان تعلم انني لم ار ابدا وجهك ، ولا احب ان اراه ، لانني اتذكر الاعتداء علي ، ولا احب ان اتذكر المعتدي ، ولا ان احتفظ في ذاكرتي بصورته ، بيني وبين السماء ستتصاعد شكاياتي ، ولا احب ان يستمع اليها العالم ، لان العالم لايحكم على الاشياء بحسب الحوادث ، ولكن طبقا له هو تجري التقديرات ، انك قد اعتديت علي في حادثة من غير ان يكون هناك مجال للنطق ، وساعتبر كما لو كنت لم اولد في العالم ، او ولدت لاصير تعسة ، ضعني بعد في الطريق ، او على الاقل الى جوار الكنيسة الكبيرة ، لانني من هنالك ساعلم جيدا ان ارجع الى منزلي ، ولكن يجب ان تقسم لي انك لن تتبعني لتعرف منزلي ، ولن تسالني عن اسمي ولا عن اسماء ابوي ولا اقاربي الذين هم نبلاء وعلى جانب كبير من الثراء حتى لا يصيروا تعساء بي ، واذا كنت تخشى ان اتعرف عليك من كلامك

فلتعلم انني ما تحدثت في حياتي الى رجل قط غير والدي ، وغير قس الاعتراف ، وقد تحدثت الى القليلين مرات كثيرة على نحو يجعلني اميزهم من اصوات حديثهم ، فلم يكن جواب « رودولفو » على تلك الحقائق الجلية التي القت بها «ليوكاديا» التعسة شيئا آخر غير أن احتضنها مبرهنا على انه يريد العودة ليؤكد شغفه بها وبأنها غير شريفة ، رات «ليوكاديا» ذلك فدافعت عن نفسها بقوى اكثر مما تسمح بها سنها الفتية .. برجليها وبيديها وباسنانها ثم بلسانها قائلة : لتعلم ايها الخائن ، ايها الرجل الفاقد الاحساس كائنا من كنت ، ان ما سلبتني اياه هو ما استطعت ان تناله من جذع او من سارية لاتحس ، والانتصار والفوز في مثل هذا يجب ان يكون في مقابل تجردك من شرفك وضعة قدرك ، ولكن ما تحاوله الآن لن يكون الا بموتي ؛ لقد نلت مني وحطمتني اذ كنت مغمى علي ، اما الآن فلدي قوة اكثر ، تستطيع ان تقتلني قبل ان تنتصر علي ، ولعل نزعتك الشريرة قد اقنعتك بانك لن تلقى مني مقاومة وانا مستيقظة ، ولعله قد خيل اليك ان اغمائي كان مصطنعا عندما جرؤت على ان تفعل ما فعلت ، واخيرا قاومت «ليوكاديا» بشجاعة وعناد فانهارت قوى «رودولفو» ورغائبه وبقي جامدا منهك القوى ، ومن غير ان ينبس ببنت شفة ترك «ليوكاديا» في فراشها وفي داره واغلق عليها جناحه الخاص ، وذهب ليبحث عن زملائه للتشاور معهم فيما يجب عمله ، وقد احست «لوكاديا» بانها وحدها حبيسة فنهضت من الفراش وجعلت تطوف المكان متحسسة الجدران بيديها لترى بابا تذهب منه او نافذة تلقي بنفسها منها ، فوجدت بابا ولكنه كان محكم الاغلاق ، وعثرت على نافذة استطاعت ان تفتحها حيث تسلل ضوء القمر ساطعا فاستطاعت ان تميز الوان السجف التي تزين الجناح ، ورات ان الفراش مذهب معد بترف ، وهو اشبه ان يكون فراش امير من ان يكون فراشا لذى وجيه عادي ، واحصت المقاعد والمكاتب ولاحظت الجزء الذي يقع فيه الباب من الحجرة ، ومع انها رات بعض اللوحات معلقة على الجدران الا انها لم تستطع ان تتبين ما عليها من رسم ، كانت النافذة كبيرة مزينة ومحاطة من الخارج بسياج حديدي قوي ، والنظرة منها تقع على حديقة محاطة بجدران عالية ، فكان من الصعوبة بمكان التفكير في القاء نفسها من النافذة لتصل بعد ذلك الى الطريق ، كل ما راته ولاحظته في ذلك الجناح يدل على ان صاحبه شخص رئيسي بارز ، ولقد رات فوق مكتب كان بجوار النافذة تمثالا فضيا صغيرا للمسيح فاخذته واخفته في كمها ، ولم يكن ذلك بقصد السرقة ، او كان ذلك منها غيرة دينية ، وانما كانت مدفوعة بفكرة عاقلة ، فعلت ذلك ثم اغلقت النافذة كما كانت من قبل ، ورجعت الى الفراش تنتظر النهاية التي ستختم بها فاجعتها ، ولم يكن قد مضى نصف ساعة في تقديرها عندما احست بان المفتاح يفتح ويصل عندها شخص ، ومن غير ان يفوه بكلمة غطى عينيها بمنديل ، واخذها من يدها وقادها الى خارج الدار ؛ وقد احست بانه رجع ليغلق الباب : كان ذلك الشخص هو «رودولفو» ومع انه كان قد خرج ليبحث عن زملائه ، الا انه لم يرد ان يتحدث معهم ، اذ بدا له انه ليس من المستحسن ان يجعل منهم شهودا على ما وقع له مع الفتاة ، بالرغم من انه كان قد قرر سلفا ان ينبئهم بما ارتكب بيد ان دموعها حركته فترك هذه الفكرة في منتصف الطريق ، وازاء هذا فقد عاد مسرعا لكي يضع «ليوكاديا» الى جانب الكنيسة الكبيرة كما طلبت هي اليه ذات من قبل ، وقبل ان يطلع النهار فيتعذر معه اخراجها ، ويضطر الى ابقائها في جناحه حتى الليلة المقبلة ، وهو لايريد ان يتيح الفرصة لكي يعرف ، من اجل ذلك حملها الى ذلك الميدان المعروف باسم «ميدان المجلس البلدي» وهنالك في صوت متغير ، وفي لغة هي خليط من الاسبانية والبرتغالية قال لها : بالتاكيد تستطيعين ان تذهبي الى دارك لانه سوف لا يلاحقك احد ، وقبل ان تتمكن من ازالة المنديل المربوط على عينيها كان هو قد وصل الى مكان حيث لايمكن ان يرى ، فبقيت «ليوكاديا» وحدها وازالت رباط عينيها ، وتعرفت على المكان الذي تركت فيه ، ونظرت في كل اتجاه فلم تر احدا ، لكنها تصورت انها ملاحقة من بعيد فسارت نحو منزلها الذي لم يكن بعيدا ، وكانت تتوقف في سيرها ، ولكي تضلل من عساه ان يكون قد تابعها ، رات دارا مفتوحة فدخلتها ، وبعد قليل ذهبت الى دارها .

— 3 —

لقيها ابواها ذاهلين لم يخلعا عنهما بعد ملابسهما ، او يفكرا في اخذ قسط من الراحة ، وعندما راياها اسرعا نحوها باذرع مفتوحة فاحتضناها ودموعهما تجري ، طلبت اليهما «ليوكاديا» في صوت اشبه بالتصايح ، والخوف يملأها ان تخلو بهما ففعلا ، وهنالك افضت اليهما بحادثها المفجع وبكل ملابساته ،

وبانها لاتعلم شيئا عن ذلك القاتل الذي سرق شرفها ، قالت لهما ما شاهدته على خشبة المسرح حيث مثلت مأساتها ... النافـذة .. والحديقـة .. والحديـد القـوي الـذي يسـد النافـذة ... والمكـاتب .. والفراش .. والستائر الحريرية ، وفي النهاية ارتهما تمثال المسيح الفضي الصغير الذي جاءت بـه معها ، وامام تصويرها هذا تجددت دمـوع ابويهـا ، وطلبا الاخذ بالثار ، ورغبا في ان يلحقا بالآثم عقابا لا مثيـل له .. قالت «ليوكاديا» لابويها كذلك : بالرغم من انهـا لم تود ان تتعرف على المعتدي عليها ، الا انهما اذا كانا يريان من المستحسن معرفته ، فبواسطة ذلك التمثال الفضي الصغير يستطيعان ان يتصلا بمساعدي الكهنة كي يعلن هؤلاء من منابر كل الكنائس في المدينة ان مـن ضاع له تمثال «كـذا» فسيجده لـدى رجل الديـن «فلان» الذي يعينانـه هما ، وهكـذا يعرف صاحب التمثال .. ثم تعرف الدار .. ثم الشخص المعتدي . فاعترض الاب عن هذا قائلا : ان ماقلته يابنيتي حسن لو ان خبث البشر لايتعارض معه ، فمن الجلي ان فقد التمثال من الجناح الذي وصفت سيكون له اليـوم اهمية صغيرة ، وسيعرف صاحبه على وجه التحقيق ان من كانت معه هي التي اخذته ، وعندما يعرف انـه لدى احد رجال الدين ، سيحاول اولا ان يعرف مـن الذي دفع به اليه من غير تصريح باسم صاحبه الذي فقده ، وشيء آخر فربما يعطي صاحب التمثال صفات تمثاله لشخص آخر ، ثم يتقدم ذلك الشخص الى رجل الدين لياخذ التمثال ، وازاء هـذا فمـن الافضل ان نبقى قبل غامضين لانعلن شيئا ، ولو انـه يمكننا ان نستخدم نفس الحيلة التي نفترضها وهي ان ندفع بالتمثال الى رجل الدين بواسطة شخص آخر كذلك ...

ولكن الذي يجب ان تفعليه يا بنيتي هو ان تحتفظي التمثال وان تثقي فيه ، فهو شهيد على مأساتك ، وان توقني بان هناك قاضيا سينصفك ، كمـا ينبغـي ان تعلمي بان زنة درهم من شرف مخدوش ينتشر بيـن الناس لهو اثقل من زنة قنطار مـن شرف مخـدوش لايعرفه احد ، ومن ثم فانت تستطيعين ان تحيى حياة شريفة فيما بينك وبين الله ، ولا يحزنـك انك غيـر شريفة بالنسبة لحكم المجتمع ، التجرد الحقيقي مـن الشرف هو في الاثم رغبة او قولا او عملا ، والشرف الحقيقي هو في الفضيلة نزوعا او قولا او عملا ، وانت لم تاثمي لا تفكيرا ولا قولا ولا عمـلا ، فلتعلمي انـك شريفة ، وانني لن انظر اليك الا كاب حقيقي لك يعرف ظاهر امرك وباطنه .

بهذه العبارات المتعقلة واساها ابوها ، واحتضنتها امها مخففة عنها ، فانخرطت هي في البكاء ثانية ، ثـم اخذت شيئا غطت به راسها وبدات تعيش منطوية على نفسها تحت رعاية ابويها مرتدية ملابس متواضعـة كانهـا فقيـرة .

— 4 —

رجع «رودولفو» الى منزله وقد لاحظ ان تمثال المسيح الفضي غير موجود في مكانه ، ففكر فيمن قـد استطاع ان ياخذه ، ولكنه كفنـي لم يحفل بـه ، ولم يعط كبير اهتمام ، وبعد ايام ثلاثة سافر الى ايطاليا اذ كان والده هناك وكان من قبل قـد اقنعه بالسفـر قائلا له : ليس الوجهاء وجهاء فقط في اوطانهم ، بـل يجب ان يكونوا في الخارج وجهاء كذلك ، فبهذا المنطق وبغيره هيئت عزيمة «رودولفو» للسفر ، فسافر ومعه اثنان من رفقائه ، شغوفا بما كان قد سمعه من بعض الجنود من انتشار الفنادق في ايطاليا وفي فرنسا وعن الحرية التي يتمتع بها الاسبانيـون في هـذه الفنادق الشهيرة مثـل «لي لووني لولا ستـري» و «بيتيولي» و «بريسونتو» و «سالشيشي» وكثير غيرها من نفس النوع الذي يتذكره الجنود الاسبان عندما كانوا هناك ، ذهب «رودولفو» الى ايطاليا وذاكرته تحمل القليـل مما وقع له مع «ليوكاديا» كما لو ان شيئا لم يحدث وكانت هي في ذلك الحين تعيش في منزل ابويها بكل ما يمكنها من انطواء على نفسها ، دون ان تدع احدا يراها، فزعة من ان تقرا كارثتها على جبينها ، ولكن بعد بضعة اشهر لم يكن بد من ان تعرف كارهة الى اية درجـة بلغت بها تعاستها فبالغت في اخفاء نفسها عن اعيـن الناس ، لان حدثا اعاد الى ماقيها الدمع الذي نسيته ، وبدات احزانها من جديد تجرح مشاعرها ، ولم يجـد هذه المرة في مواساتها عطف امها الطيبة وتعقلها معها .

— يتبـــــــع —



الموسيقى فن من الفنون الجميلة التي طبع على محبتها والافتتان برقتها النوع البشري اذ كان بخيمه وخليقته يستلذها ويتعشقها عن طواعية وهوية في اندفاع مدهش يضعه احيانا في قمة النشاوى خفة وطربا – ولا بدع ما كان الفن الموسيقي يسيطر احيانا حتى على بعض الحيوانات العجم ، فتنسى ما يعلوها من اتعاب ومشاق وتقطع الفلوات المترامية الاطراف متأثرة باصوات الحداة واراجيزهم المتزنة الخالدة – لا سيما اذا صدرت عن مثل معبد والغريض ومن اليهما ممن اوتوا مزمارا من مزامير آل داوود ، فتلك آية الفن الكبرى التي يسجد لها ارقاء الطبع وفنانو الغريزة الذين خلقوا لتنسم نفحات الاصوات والتقاط دررها الفتانة واكتشاف ذراتها في كل صقع من اصقاع الاريحية والسلو .

فهم الذين ادركوا وادركوا وحدهم اسرار الفن ومدى مزاياه على النفوس والارواح تسلية وخفة ونشاطا ، بل ذكروا ان له تأثيرا على الدورة الدموية وتصفيتها ، ادرك حقيقته اجدادنا فقاموا بواجب تنشيط فنونه فوقفوا الرباع والعقار لتنظيم اجواق وترتيب هيئات فنية لتطرب الحمقى بالمارستانات والمستشفيات باصوات وانغام فعالة لها عملها الحميد في المصابين بالادواء العقلية على الاخص ، ومن وراء هذه الظاهرة الساحرة كان كل صوت يعد بمثابة موجة من الامواج السابحة في الفضاء لها ذبذباتها الخاصة التي تقع على حاسة السمع مندفعة نحو الدماغ فتسري منه في النفس سريان الكهرباء في السلك حيث تحس الذات بانفعال لطيف ، وخفة مريحة تستطيع الروح به استرجاع ما فقدته من كمال ونشاط ، وهذا ما جعل علماء النفس واطباءهم في المقدمة اليوم يعالجون المرضى ومرضى العقول والادمغة بواسطة الموسيقى وانغامها الشجية والرقيقة التي تغالب تلك الادواء وتقاومها في لطف كما يقاوم الدواء المادي – الداء بعراك المادتين او الميكروبين بتعبير صحيح ، فيشعر المريض وقتما تأخذ الاصوات في انغامها بدبيب في نفسه كأن سنة نوم
تأخذ الاصوات في انغامها بدبيب في نفسه كأن سنة نوم
يستيقظ من كراه كأنما نشط من عقال ، وهذا الفيلسوف (جان بودن) يقول في كتابه الجمهورية : ان الموسيقى تطرد الشياطين ؛ ويرمي الى هذا المعنى ما عرف في بعض الاوساط المغربية بالحضرة او جوقة (كناوة) بما ينشأ عن اثرها من خفة ونشاط للمصروع او المصدوع اثناء سماعه لآلات هذه الاجواق من طبول واوتار وقراقب ومزامير مدعين أن ارواحا جنونية تقمصت نفوسهم ، واخذت تنطقهم بما يتفوهون به في تغيير اصواتهم العادية ، بغض الطرف عن مصادمة هذا للاعتقاد الصحيح قاصرين النظر على النتائج الملموسة ، هذا ما يجعل الموسيقى في الصف الاول من المعالجات الروحية لاجتثاث الادواء العقلية كدواء ناجع يغني عن باقي الادوية المادية ، اذ الصوت او النغم ينزل منزلة الاشعاعات الكهربائية التي تسلط على الداء بكيفية علمية ومقدار محدود حسبما يتحمله جسم المصاب ، وذلك ما يجعل الموسيقى عنصرا مساعدا له فعاليته القوية في الطب ، وفعلا فقد ادخلت الهيئة الصحية العامة في الارجنتين على وسائلها شيئا جديدا يقوم على اسس علمية حديثة ثابتة ، ذلك انها ابتدات تستعمل الموسيقى كأساس للعلاج في المؤسسات الصحية العامة ، فاصبحت الآن تعزف فيها في بعض الاحيان موسيقى سينفونية – للملحنين كلاسيكيين ذات اثر كبير في المرضى .

واذا كان فن الموسيقى بهذا الاعتبار له اهميته السلوانية من جهة ، والعلاجية من جهة اخرى كان ابناء الصدر الاول خصوصا من يعلم مقداره يعدونه من اجل العلوم في ظرف كان لايتناوله سوى اعيانهم واشرافهم؛

وهذا اسحاق بن ابراهيم الموصلي الذي كانت له اليد الطولى فى العلوم نرى الفن الموسيقي غالبا عليه حتى اشتهر به فى ميدان المعرفة ــ ونرى الرشيد العباسي اخرج مالا للعلماء وامر باحضارهم وادخال كل طبقة وحدها وجعلوا يدخلون زمرا زمرا ، فكان اسحاق كلما دخلت طائفة دخل معها وكان اعلمها فى مادتها فيقبض نصيبه مع كل طائفة حتى تردد الى سفرة العطاء 24 مرة .

وقد علمنا ما لتلميذه زرياب من يد فى الفن ، فاليه ينسب تاسيس مدرسة الموسيقى بقرطبة ، تلكم المدرسة التي ذاع صيتها فى عالم الفن المطبوع ، وعلمنا كذلك انه دقق البحث فى طبيعة الانغام وموارد الصوت البشري بحثا جديا ، فجعل اوتار العود خمسة بعد ان كانت اربعة ، وهذا يرمي الى فكرة «اندريه جوليان» ونظريته ان الموسيقى والالحان والمراتب وردت من الشرق حيث تكونت باسبانيا ، وبقيت خالصة لم يساورها تغيير ، وطبق العرب الرياضة فى الموسيقى ، وعرف الاندلسيون الانغام المسجلة «النوتات» قبل ان يعرفها مكتشفها المزعوم «جيدودي ارتسو» ويذيعها فى ايطاليا ، ويكفي فى كتب هذا الفن ، كتاب ابى بكر بن باجة الغرناطي وهو فى المغرب بمنزلة ابى نصر الفارابي المعلم الثاني بالنسبة لارسطو ؛ واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد ؛ وليحيى الخدج كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني ، ولا شك ان الموسيقى العربية اثرت على الغربيين بواسطة الحجاج والتجار والصليبيين الذين سمعوا الحانها الشجية ، وتغنوا بها ايضا ، ذلك لان الانغام العربية كانت تروق لهم الى درجة ان الرهبان كانوا ينكرون اهمال اناشيد الكنيسة واستبدالها باغاني الكفار المدنسة وكان الفونس العاشر الذي اكتسب علومه المدهشة بمطالعة تآليف العرب يرى للمشارقة نصيبا وافرا فى ايجاد الموسيقى العصرية . ومن بين هذه السطور ندرك ان رنة الالحان تجلت فى جنوب فرنسا وايطاليا على نغمات المواليات الفرامية العربية الرقيقة ، وان فتيان الغرب الفوا التوقيع على العيدان ؛ كما نعلم ان بواسطة العرب دخلت الموسيقى الشرقية الى الاندلس ثم اوربا ، لذا فالطرب الاندلسي يعد طربا مشتركا بين الشرق والغرب يستلذ نوباته والحانه الشرقي والغربي جميعا حيث ان الاندلس (الفردوس المفقود) كان مهجر عدة اقطاب من سائر اطراف المعمور ، وبطبيعة هذه الظاهرة ان يحملوا معهم فيما يحملون ما رق ولذ من الحان وانغام ذاعت فى سماء شبه الجزيرة الخالدة ، وتلقاها الاحفاد عن الاجداد وحفظوها كأمانة اولا ، وفن ثانيا ، حفظا صادقا جعلهم غير مفرطين فى حملها وقت جلائهم عن فردوسهم المفقود الى ما وراءه من اقطار حتى تخوم الهند حيث عثر هناك على آثار ودفاتر اندلسية تصفح بعضها المؤرخ الفرنسي «دوكستري» ، انما تجلى هذا الاثر الخالد او اللحن الخالد بتعبير اوفق فى الرباط وفاس وتطوان وتكونت اجواق وفرق للطرب الاندلسي منذ عهد بعيد وظلت محافظة على طابعه الرائق معتمدة على تحرير الفنان الحائك (الحايك) التطواني اصلا ، الفاسي دارا الذي كان يعيش ايام المولى محمد بن عبد الله قدس الله روحه ــ فيما الفه وجمع من مقطوعات وموشحات وطقطوقات فى المدح والوصف وذكر المعاهد والمنازل والبكور والآصال وشموسها الهادئة الفاترة ، واوقات ما بين ذلك ، وقد طبعه الفنان المرحوم المكي مبيركو الرباطي سنة 1354 هـ موافق 1935 م وكان من آيات الفن الموسيقي الاندلسي تركيب طبوعه وانغامه على طبائع الانسان الاربع ــ السوداء والبلغم والدم والصفراء ، بحيث ان ما يستلذه السوداوي من اغاني واصوات كالذيل وما يحتويه من فروع لا يكترث له الصفراوي ، ولا تستطيبه نفسه ؛ فالذيل للسوداوي ، والزيدان للبلغمي ، والماية للدموي ؛ والمزموم للصفراوي ، ويلمع هذا المعنى الدقيق الذي على ضوئه ركب ابو نصر الفارابي اوتار خريطته يلمع الى الاتزان والوحدة الصوتية التي يتكيف بها كل اصل من اصول هذه الموسيقى الحافز كل من يذوقها لان يحس بنقراتها ترن فى احاسيسه فيطرب لها الوجدان ويرقص ، واليك الاصوات الاربعة المحتوي كل واحد منها على نوبات تعرف بالنوبات الاربع والعشرين الموجود منها الآن احدى عشرة نوبة وهي : رمل الماية ، الاصبهان ، الماية ، رصد الذيل ، الاستهلال ، الرصد ، غريبة الحسين ، الحجاز الكبير ، الحجاز المشرقي ، عراق العجم ، العشاق .

تلك النوبات والطبوع الاندلسية الجذابة التي تعد فى تراث الفن المغربي بما تتوفر عليه من تراتيب وتقاطيع مسلية تدفع السامع للاصغاء اليها فى خفة ومرح ، يجعلانه احيانا يقلد نقراتها المتزنة بلسانه واصابعه كأنه يدس على عود او كمان ، وسط فرقة فنية متأثرا من نوباتها الموسيقية الاندلسية ، التي نرى بعض شبابنا لاينفعل لطبوعها الرقيقة رغم نظامها

واتزان الحانها ، ومتانة اشعارها فى شتى الاغراض والمناحي الادبية المرحة التي كانت تدرج فى ابهاء قصور الفردوس المفقود بالزهراء والحمراء ، وقصور المغرب فى اكثر مدنه ، وليس بعيدا ان يكون للشباب الواعي عذر فى هذه المظاهر التي نراه يعرض فيها عن طربه الوطني وموسيقى اجداده التي لايزال ءاباؤه يستطيبونها ويطربون لالحانها المتلونة حسب الزمان ودقاته اليومية من غداة يوم لنظيره الموالي لسبب قد يعد قويا فى تأثيره على نفسية الشاب الناشىء بما اصبح يعيش فيه من الوان الطرب الشرقي والغربي بواسطة الاذاعات وتنوع مشاربها ، فلحظة مع الموسيقار الموهوب عبد الوهاب المصري وآنة مع بلبل الشرق الصداح السيدة ام كلثوم ، وهكذا نجده يعيش لحظات فى اعماق الطرب الشرقي والافريقي وغيرهما من انواع الموسيقى العالمية ، حيث ينسيه ذلك موسيقى بلده الشعبية والاندلسية ، اضف الى هذا ما كان يحيط الموسيقى كفن جميل من اشواك لا فى تعلمها ولا فى الاستماع اليها من افكار بالية تعزى احيانا للدين وحكمه فيها مما كان له اثر سيء فى انتحال الفن الموسيقي كمهنة رقيقة او ثقافة جميلة يتعاطاها الناشئون من الشباب فى معهد من معاهد الفن ومدرسة من مدارسه .

نعم ، هذا شيء لا يمنعنا من اعطاء الطرب الاندلسي ما يستحق من قيمة وما له فى نفس الواقع من مزايا سامية وضعته فى اوج الموسيقى العالمية ، فقد مرت مؤتمرات موسيقية فى الشرق وغيره شاركت فيها اجواق الموسيقى الاندلسية بدورها وحازت على مقامات لائقة بنوباتها والحانها المطبوعة بطابع الخلود الفني فى كل اطوارها ومراحلها ، بيد انه يجب ان يلفت اباء الفن ورجاله نظرهم للموسيقى الاندلسية كتراث خالد بادخال تحسين وتطوير يصل ماضيها الماجد بحاضرها المعاصر كتهذيب اشعارها وارجاع قصائدها لاصولها العتيقة والعمل على ترتيب صنائعها وتواشيها وما الى ذلك من تواشيح وبراويل ، واضافة آلات جديدة لالالاتها الاحدى والثلاثين التي لم يبق منها اليوم عدا قدر الثلث ، فان اعار الفنيون الموسيقى ما تستحق من اهتمام وعناية وسايروا بها عصر الذرة وحلقوا بها فى اجواء الحضارة دون ان يؤثر ذلك على جوهرها ، فبالطبع يجد الشباب الواعي من موسيقاه الوطنية مجالا لاستطابتها والتأثر بانغامها وتقبل تواشيها ، وينتشل مما قد يرمي به من تعشق غريب الطرب ، والهيام بالحانه بعيدا عن الطرب الشعبي والاندلسي البلديين ويشمله فى التو والحين مغزى هذا المفرد الشعري :

كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحا

وينسلك جل الفتية المتصادمين والعشاق والزبدان فى شباب العراق الذي يقول فيه الجريح المتحسر :

عذيري من فتية بالعراق
قلوبهم بالهوى قلب
يرون العجيب كلام الغريب
وقول القريب فلا يعجب
وعذرهم عند توبيخهم
مغنية الحي لا تطرب

لذا فالكاتب يهيب بالفنانين خصوصا عشاق الطرب الاندلسي وحاملي رايته كالفنان الوكيلي رئيس جوق الطرب الاندلسي بالاذاعة المغربية ان يسعى مستعينا برجال جوقته فى تحقيق ما يرمي اليه العصر الجديد من تحوير خفي وتجديد جذاب يروق ويعجب فى دائرة الطرب الاندلسي وطابعه الخاص من غير ان يصيبه مسخ او تشويه يبعدان الاحفاد عن ذوقه ويربط احاسيسهم الرقيقة ونشاطهم الفني بما كان يعلو الآباء والاجداد قبل ، فنود التجديد فى اطار الجمع بين اذواق القديم والجديد ، وهذا ما لم تساعدنا الظروف على رؤيته حتى الساعة ، فيجب فنيا ان ينهض رجال الاجواق الاندلسية والشعبية والعصرية كعبد الوهاب اكومي والبيضاوي والراشدي وعبد النبي الجراري ومحمد العفير ، وفيتح والسقاط واسماعيل احمد والمعطي البيضاوي والسجعي وغيرهم ممن تضمنتهم الاجواق الناشئة للعمل على تلبية هذه الرغبة الملحة ورفع مستوى الطرب المغربي لاسيما الاندلسي منه الى المستوى اللائق بخصائصه ومزاياه النفسية والفنية متضافرين على خلق موسيقى مشاعة الذوق تضطر المستمع للطرب التأثر بنغماتها وتواشيها بما يضفي عليها من حضارة قرن العشرين وءاياته ، على ان هناك طوائف وجمعيات فنية فى اوربا وغيرها لها منتديات موسيقية لايشترك فيها الا من رق طبعه ولان ذوقه واتسع شعوره لقبول الموسيقى ايا كان نوعها وفى اي آلة دارت وتحركت ولو على الدف

والمزمار ، وما هذا الا لأن هؤلاء ينظرون الى الموسيقى كفن من الفنون يستطيع كل احد ان يتعاطاه ويدرس ما تحتويه مكنوناته ،وتنطوي عليه اسراره ، وليس هذا بعيدا عن همة الفنانين المغاربة ما ساندهم التشجيع وحالفهم التوفيق ، وكان لوزارة التربية الوطنية حظها الوافر فى ميدان التكوين والمساهمة حتى يرى الفن الموسيقي فى عهد الحرية والاستقلال يرفل هو الآخر فى حلل الجدة والطراوة بما لا يذر مجـالا للشباب الناهض فى الكرة مرة اخرى على الطرب الاندلسي بما لا يتفق وطابعه الخالد

فعلى الفنانين السعي حثيثا لتسنم ذروة الفن بما يكسوه حلة التفويف ويضعه فى حبة القلوب وتصبح معاهده الجميلة مفتوحة فى وجه الطالب حسب هويته وميوله .

واننا لنعلق ءامالا كبارا على جمعية الهواة التي يراسها الولوع الفني الحاج محمد ابن جلون ـ فيما تبذله من جهد فى النهوض بالطرب الاندلسي والسير به قدما نحو ما كان له فى سالف عصوره المشرقة فى عدوة الفردوس المفقود وفى المغرب وباقي الاقطار التي ضمت ابناء الاندلس اثناء الجلاء عن ديارهم الطيبة

مسابقة

ضم مجلس الخليفة « المامون » يوما بعض الادباء والشعراء وظلوا يتحدثون فى شتى الموضوعات حتى نضب معينهم وفتر جو المجلس فعمد المامون الى تنشيطه كما كان يفعل ووجه اليهم الحديث قائلا : من ابتكر كذبة لا يصدقها العقل فله جائزة الف درهم ... وتبارى الحاضرون فى ابتكار الاكاذيب فقال احدهم : شرد مني بعير وبحثت عنه حتى اضناني البحث فلم اعثر عليه ، وجلست حزينا فى الطريق، فمر بي بائع بطيخ فاشتريت بطيخة ولما شققتها فوجئت بوجود البعير الشارد بداخلها ... فقال له المامون انها حادثة محتملة الوقوع ، وقال آخر : كنت اسير فى الطريق فسمعت صراخا وعويلا ، واتضح ان بيتا قديما يوشك ان ينهار على سكانه، فاسرعت نحوه واسندت الجدار بيدي حتى غادره سكانه ، وعندئذ تركته فانهار على الاثر ، فقال المامون : واي غريب فى هذه القصة وهي مما يمكن حصولها ... وقال ثالث هاجمني اسد فى بقعة قفراء ، فلم اجد ملجا الوذ به .. ولما اقترب مني الاسد قفزت فى الهواء الى اعلى وظللت معلقا فى الجو حتى يئس الاسد من افتراسي فانصرف ... فقال المامون : لا يستبعد حصولها .. وظل الحاضرون يتبارون فى الاكاذيب والمامون لا يجد واحدة منها تستحق الجائزة حتى جاء دور (ابي نواس) فقال : لقد مات والدك الرشيد ولي فى ذمته عشرة الاف دينار ... وحار المامون فاذا قال انها ليست بعيدة الوقوع فلابد من الوفاء بدين والده واذا سلم بانها كذبة فقد استحق ابو نواس الجائزة ... فقال ضاحكا ربحتها ايها الخبيث ثم دفع له الجائزة مضاعفة .

الحياة الثقافية في الوطن العربي

اعداد الأستاذ: محمد الحاج ناصر

في الجمهورية العربية المتحدة

قررت الحكومة التنفيذية للاقليم الجنوبي للجمهورية العربية المتحدة ان تعمل على تحويل جميع المقاهي واندية اللهو الى مكاتب ومراكز للتثقيف والتدريب الاجتماعي وانماء الوعي القومي ، وشرعت وزارة الثقافة والتوجيه القومي التنفيذية لهذا الاقليم في تطبيق هذا القرار تدريجيا وقبل ان تتخذ هذه الخطوة التهذيبية طابع قرار رسمي عمد بعض ارباب المقاهي والاندية البارزة الى اجراء تجربة لهذا الاسلوب من اشاعة الثقافة وتهيئة اساليب التنوير والتوجيه للراي العام ، فوجدوا لهذا العمل اقبالا اكبر من الذي كانوا يأملون فيه من عامة الجماهير . وقد يبدو هذا القرار كحدث محلي اذا اعتبر انه عمل دعائي يراد منه تجميع الافكار والمشاعر حول اسلوب من الادراك السياسي او حول مذهب اجتماعي او اقتصادي او اداري ، ولكنه في حقيقة امره ، وايا كان الغرض المتوخى من تشريعه ، عمل يعني الامة العربية قاطبة ، ذلك بان القطر المصري (الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة) يشتمل على نحو ستة آلاف مقهى وما هو في مدلولها من مراكز التسلية وتزجية الفراغ او بالاحرى اضاعة الوقت للجماهير ، وكثير من هذه المقاهي والاندية كان بمثابة لالوان من العبث والوان من الميسر الذي ان لم يبلغ بمكاسبه مستوى الاندية المخصصة للقمار فهو على كل حال يثير في الانفس تعود هذا النوع من اللعب ذي العواقب الوخيمة ، كما ان جانبا كبيرا من هذه المقاهي وما هو في حكمها كان يتخذ ملتقى لالوان من اللغو السياسي الذي لا يقصد الى تنوير الاذهان او تنمية الوعي وانما يقصد الى اشاعة ضروب من الريب والشكوك واثارة الوان من الفتن والقلاقل من غير ان يكون له هدف آخر يمكن ان يبرر اشاعة تلك الريب او اثارة هذه الفتن ، ولذلك كان تحويل هذه المقاهي وما هو في حكمها الى مكاتب ومراكز لتنوير الاذهان والتهذيب الاجتماعي من شانه ان يصرف الناس عن العبث الذي لايفيد وعن التعود على الوان من اللعب تدفع باليائسين والمحرومين منهم الى ما هو شر منها ، وعن الانصراف الى القيل والقال اللذين لاينتج عنهما الا بلبلة الاذهان وتبادل المشاعر المنحرفة وربما الاندفاع الى ما هو شر من تبادل المشاعر المنحرفة ، ولا تثريب على الحكومة المصرية اذا هي قصدت مع هذا او من قبل هذا الى استغلال تلك المراكز التي تأوى اليها الجماهير عادة لاهداف من شانها تجميع الراي العام العربي في مصر او في سوريا (الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة) عندما يشرع في تطبيق هذا القرار هنالك ايضا وهو امر لامحيص عنه حول نظام من الحكم معين او مذهب من السياسة مختار . فالمهم من هذا ومن كل مقدح قد يثيره من يتلقطون ويتسقطون للمذاهب والانظمة التي لايركنون اليها ان ثلاثة واربعين الفا وخمسمائة وهم المعدل التقريبي لرواد كل مقهى من الستة آلاف مقهى في الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة سيجدون ما يشغل القاريء منهم عن الفراغ الممض والعبث المفسد واللغو الدافع الى الانحراف وما يدفع الامي منهم الى تعلم القراءة والكتابة والى الاستجابة للاعمال الناشطة هنالك ابتغاء محو الامية ؛ اذ يجد نفسه في مقهاه المفضل منعزلا او كالمنعزل فيما يجد الآخرين منصرفين الى قراءة ما يعرض امامهم من الوان الصحف والنشرات والكتب الخفيفة الجامعة بين التسلية والامتاع والافادة ، بالاضافة الى انه من الوسائل التهذيبية التي تقرر ان تتخذ في تلك الاندية والمقاهي ، وسيلة التليفزيون التي سوف تخيل لرواد تلك الاندية والمقاهي الوانا من الاحداث والتشخيصات القاصدة الى تنوير اذهانهم وتهذيب عقولهم وجعلهم على اتصال احسن بما يدور حولهم من ظروف وصروف .

وما من شك في ان هذا التشريع الموفق سيغري عددا من الحكومات العربية الى الاقتداء به يوم يتجلى للجميع مدى نجاحه وتأثيره في ايقاظ الوعي وتوحيد المشاعر والمدارك بين الجماهير ، ونعتقد أن من اولى الدول العربية بالاسراع الى الاقتداء بهذا التشريع المملكة المغربية ، فعدد المقاهي والخمارات المرخص لها وما هو في حكم ذلك بالمملكة المغربية يقارب الالفين او

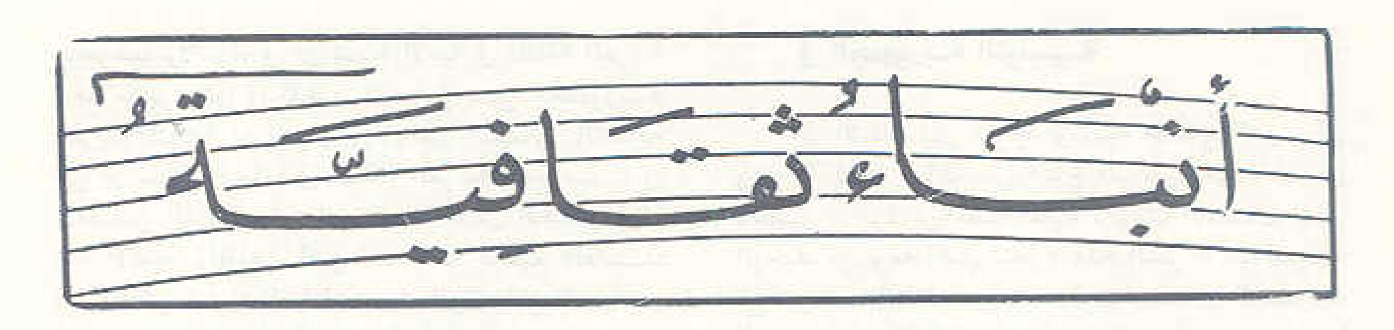
يناهزهما ولا مراء فى ان نسبة الامية فى المملكة المغربية ارفع بكثير منها فى الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة فضلا عنها فى الاقليم الشمالي بالاضافة الى ان نسبة البداوة فى المملكة المغربية ارفع منها فى الاقليمين العربيين ايضا وذلك ما يجعل اذهان رواد تلك الاندية والمقاهي اكثر استعدادا لجميع المفاسد المترتبة عن ارتيادها ما لم تحول الى مراكز للتهذيب والتنوير ثم ان نظام الحكم والادارة والمذهب الذي استقرت عليه شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد فى الجمهورية العربية المتحدة قد اضطر الناس طوعا او كرها الى ان يحذروا فيبالغوا فى الحذر كلما هم احدهم بان يولغ فيما ليس من شانه ، او اريد على ان لايكون من شانه من امور الحكم والسياسة وبذلك نقصت الفرص التي تتيح للمهرجين والمفتنين اسباب التهريج واشاعة الفتنة وترويج الاقاويل والاضاليل على حين لايجد الشعب المغربي من انظمة الحكم القائمة فيه ولا من المذهب السياسي والاقتصادي والاجتماعي القائم فيه او الذي يراد ان يقوم فيه مثل هذا الحاجز العاصم من اسباب شيوع الفتنة وذيوع الاباطيل والاراجيف لان المملكة المغربية تؤثر ، وحبذا ما تؤثر ، ان تكون اشد تشبثا بالانظمة الديموقراطية فى مدلولها الاوسع وهو تشبث خليق بان يشيع الوعي السياسي والاجتماعي والاقتصادي وروح التفكير الحر فى مختلف طبقات الشعب ولكنه اذا لم يقرن بالوان شتى من وسائل التوجيه وانارة الاذهان قد يكون سببا الى اتاحة الفرص للمرجفين والمفتنين والذين لايملكون من الثقافة ولا من حسن الاستعداد النفسي الا ان يحترفوا ترويج الشائعات غدوا ورواحا والى جانب هذا كله فبقدر ما تتضاءل البطالة فى الجمهورية العربية المتحدة نتيجة للنمو الصناعي المستمر السريع يبدو ان الامل فى تضاؤلها والتخفيف من حدتها فى المملكة المغربية مرهون بتحقيق المشاريع التي انجز اعدادها

لاجل هذا كله نعتقد ان مثل هذا التشريع الذي اتخذته الحكومة التنفيذية للاقليم الجنوبي بالجمهورية العربية المتحدة ينبغي ان تتخذه الحكومة المغربية وان تعمل على انجازه بكل ما تملك من وسائل الاغراء والهيمنة لاسيما وهي مقبلة على الشروع فى ارسال برامج التلفزيون ، ومن يدري فقد يكون هذا من بين ما اعلن عنه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من الوان التعبئة الشعبية للبناء الوطني فى خطابه الاخير بمكناس .

فى الجمهورية التونسية

تم الاتفاق بين شركة تونسية للانتاج السينمائي وشركة المانية مماثلة على انتاج فلم سينمائي ناطق باللغتين ماخوذ من قصة المانية ، وهذا الاتفاق ليس الوحيد من نوعه الذي تنجزه هذه الشركة التونسية مع شركة مماثلة اجنبية . فمنذ تاسست فى الجمهورية التونسية شركة للانتاج السينمائي اسهمت فيها الدولة وتولت توجيهها وزارة الانباء ابرمت عدة اتفاقات للانتاج السينمائي المشترك ، وهذا النوع من الانتاج من شانه ان يضمن مستوى الجودة لبواكير الانتاج السينمائي الذي تكون الشركة التونسية طرفا فيه ، كما انه يجعل موضوعات الافلام بعيدة عن ان تكون مجرد وسائل تجارية مهمتها البحث عن اقرب الطرق الى تملق الغرائز والرغبات الجماهيرية كما هو الشأن فى الاغلب الغالب من الانتاج السينمائي العربي ، وقد سبق أن عرض السيد وزير الانباء المغربي على الصحافة اتجاها من وزارته الى انشاء الوسائل اللازمة لايجاد صناعة الانتاج السينمائي فى المغرب وقد يكون من المفيد ان يتوخى المغرب فيما يعمل على استحداث هذه الصناعة ان تكون من اول يوم منتجاته السينمائية مبراة من ابتغاء السبيل الى الكسب وجلب الجماهير عن طريق تملق الغرائز الدنيا ، ولعل فيما نلاحظ بالمغرب من انصراف الجانب الاكبر من الجماهير عن شهود الافلام العربية وولوعهم بالافلام الاوربية والامريكية عزوفا عن المستوى الفني للافلام العربية ما يقنع المسؤولين عن العمل من اجل انشاء صناعة سينمائية فى المغرب كما اقتنع زملاؤهم فى تونس بانهم لن يخسروا اذا هم براوا الانتاج السينمائي الذي يعملون على ايجاده من التردي والاسفاف سواء فيما يتصل بالمقاييس الفنية الصرف او فيما يتصل بالمقاييس الفكرية والخلقية ؛ وليس المهم ان توجد صناعة سينمائية قومية ، وانما المهم ان توجد هذه الصناعة لتسهم فى الانماء الاقتصادي والثقافي والفني فى آن واحد ؛ اما ان تستحدث صناعة سينمائية وتكون مهمتها الكسب من اقرب الطرق ، فان مثل هذا التصرف لايمكن ان يجد قبولا حتى من الجماهير التي تتمتع اليوم او يتمتع معظمها بمستوى من الذوق الفني والتقدير الفكري رفيع محمود .

محمد الحاج ناصر



* شارك المغرب بوفد فى مؤتمر الشؤون التربوية لمنظمة الدول الافريقية التابعة لليونسكو الذي عقد فى اديس ابابا من 13 ماي الى 26 منه .

* زار المغرب مؤخرا الدكتور عوض محمد عوض رئيس المجلس التنفيذي لليونسكو صحبة السيد فيربلوفسكي عضو المجلس المذكور وذلك بدعوة من الحكومة المغربية .

* وفد على المغرب الدكتور جوزيف ابليكتساط استاذ اللغات واللهجات فى جامعة كليفورنيا ــ لويس انجليس بقصد تسجيل اللهجات البربرية لتدريسها فى السنة المقبلة فى الجامعة المذكورة .

* سيقام فى السنة المقبلة مهرجان كبير احتفالا بذكرى مرور تسعة قرون على تأسيس مدينة مراكش التي كان تأسيسها فى سنة 1062 ميلادية على يد الملك المرابطي يوسف بن تاشفين .

* قام بزيارة المغرب اخيرا الكاتب الاميركي المعروف طينسي وليام .

* عقد المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو دورته التاسعة والخمسين بباريس فى يوم 25 مايو الماضي تحت رئاسة الدكتور محمد عوض . وقد تبرع كل من المغرب وغانا بمبلغ من المال مساهمة منهما فى تمويل البرنامج الاستثنائي الذي اقرته منظمة اليونسكو للنهوض بالتعليم فى افريقيا .

* مثل للطبع للاستاذ محمد صادق عفيفي كتاب فى الادب والنصوص باشتراك مع الدكتور عمر الدسوقي

* احييت الشاعرة الاسبانية المعروفة ماريا طيريسا سرفانطيس سهرة شعرية فى مدينة مورثيا الاسبانية القت فيها مختارات ادبية وشعرية من كتب السيد محمد الصباغ المترجمة الى الاسبانية .

* اشتركت الفرقة الوطنية للمسرح المغربي فى مهرجان مسرح الامم بباريس الذي عقد مؤخرا بهـا برواية « البلغة المسحورة » .

* انتخب الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة الرباط وعضو المجلس التنفيذي لليونيسكو رئيسا للجنة الوصاية التابعة للمجلس التنفيذي لليونسكو ، وتهتم هذه اللجنة بدراسة التقارير التي تقدمها الدول التي كلفتها الامم المتحدة بالوصاية على دول قاصرة حول تقدم العلم والتعليم .

* صوت فى القصبة « كتاب باللغة الفرنسية لشاعر جزائري ظهر اخيرا فذعرت منه الحكومة الفرنسية وصادرته فى فرنسا والجزائر .

* زار المغرب اخيرا القاص العربي المعروف الاستاذ احسان عبد القدوس قادما من مؤتمر الصحافة الافريقية الذي انعقد اخيرا بمالي .

* سيشترك خمسون وفدا فى حلقة الدراسات التي ينظمها الاتحاد العام للطلبة التونسيين التي ستنعقد ما بين 15 و 22 يوليو المقبل .

* اربعون دولة من القارة الافريقية وخمس دول أوربية دعيت للاشتراك فى مؤتمر حول وسائل النهوض بالتعليم فى القارة السوداء الذي عقد فى اديس ابابا بالحبشة من 15 الى 25 ماي من هذه السنة .

* قررت وزارة التربية فى القاهرة اعادة فحص الكتب الجديدة المعدة للطبع فى الجغرافيا والتاريخ لتعديل مناهجها على اساس مراعاة التطورات الدولية

والسياسة الحديثة والتوسع فى دراسة الدول الافريقية الحديثة الاستقلال ليعرف الطلاب شؤونها المختلفة بالتفصيل .

✻ اصدرت جامعة القاهرة تعريبا لحوالي 22000 مصطلح علمي فى الرياضيات والكيميا وعلم الحشرات والجيولوجيا سعيا لاستخدامها فى تدريس هذه العلوم بالعربية .

✻ وافق مجلس الفنون والعلوم والآداب بالقاهرة على اصدار اول موسوعة عربية مبسطة لسد النقص الملحوظ فى مراجع البحث العاجل ومساعدة القراء على متابعة البحث وتحقيق المعلومات والاسماء والتواريخ وابراز التراث العربي .

✻ اعلن السيد عبد الخالق حسونة فى اللجنة الثقافية الدائمة للجامعة العربية ان الجامعة قامت بتاليف كتاب عن تاريخ الطباعة عند العرب ، اشترك فى تاليفه اساتذة الطب فى الجامعة العربية . وسيترجم هذا الكتاب الى اللغات الاوربية ليكون خير وسيلة للكشف عن ماضينا المجيد فى الحضارة الانسانية .

✻ قام الملحق الصحافي ساناوداكا الذي يعمل بسفارة اليابان بالقاهرة بترجمة مقدمة ابن خلدون الى اليابانية تحت اشراف الدكتور عبد الواحد الوافي .

✻ فرغ الدكتور عكاشة من ترجمة كتابي « يسوع ابن الانسان »و « رمل وزبد » لجبران الى اللغة العربية

✻ قررت الجامعة العربية تحقيق كتاب « مختصر الاغاني » لابن منظور الافريقي صاحب لسان العرب باشراف الدكتور طه حسين .

✻ يقوم الاستاذ جونس عميد معهد الدراسات الشرقية بالجامعة الاميركية بالقاهرة بنشر « مغازي الواقدي » مع دراسة مستفيضة لكتب المغازي والفتوح

✻ جاء فى صحف القاهرة ان الاستاذ احمد حسن الزيات يستعد لاستئناف اصدار مجلته « الرسالة » .

✻ انشئت فى كل مسجد من مساجد الجمهورية العربية المتحدة مكتبة دينية اجتماعية .

✻ اسفرت الاتصالات بين الدكتور يحيى الخشاب مدير الادارة الثقافية بالجامعة العربية وبين منظمة اليونيسكو على ايفاد وحدة مصورة متنقلة مزودة بالاجهزة والخبراء والسيارات الى الدول العربية لتصوير المخطوطات الاثرية . وتستعين اليونيسكو بعدد من الخبراء العرب على نفقاتها لمساعدتها فى هذه المهمة الثقافية الكبرى .

✻ عهدت لجنة الترجمة فى مجلس الآداب بالاقليم الجنوبي من ج . ع . م الى لجنة برئاسة الدكتور زكي نجيب محمود لتاليف دائرة معارف عن الفلسفة الشرقية باللغة العربية على نمط دائرة المعارف الموجزة للفلسفة والفلاسفة الفرنسيين التي قررت ترجمتها الى اللغة العربية .

✻ يشتغل الكاتب انور المعداوي فى دراسة عن الشاعر المصري المرحوم علي محمود طه بعنوان « الاداء النفسي عند علي محمود طه » .

✻ سيصدر فى القاهرة كتاب بعنوان « تاريخ الحضارة » اشتغل فى تاليفه الدكاترة : سليمان حزين ، ومصطفى عامر ، واحمد فخري ، وعبد المنعم ابو بكر .

✻ « العادات والتقاليد فى افريقيا » كتاب جديد صدر لمؤلفه موديبا شياء الله الذي يشتغل سفيرا لجمهورية مالي فى القاهرة .

✻ يعكف الاستاذ ساطع الحصري على كتابة مذكراته .

✻ اعدت ادارة الثقافة فى القاهرة مشروعا لترجمة ستة عشر مؤلفا يتناول مختلف الشؤون الفكرية والثقافية فى آسيا وافريقيا .

✻ يصدر الاديب العربي سامي الكيالي كتابين الاول بعنوان « النزعة الانسانية فى ادب الجاحظ » والثاني بعنوان « فى ربوع الاندلس » .

✻ أصدر الاستاذ عبد العزيز الدسوقي كتابا بعنوان « الكيان العربي » .

✻ « المنطق الثوري للحركة القومية العربية الجديدة » عنوان لكتاب أصدره الاستاذ عبد الله الريماوي .

❊ « اصل السبب » عنوان المجموعة القصصية للاستاذ فهمي حسين ضمنها اثنتى عشرة قصة .

❊ اقرت اللجنة التحضيرية الدولية ان ينعقد مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا من 13 الى 20 نوفمبر المقبل فى القاهرة .

❊ صدرت فى القاهرة مؤخرا مجلة آسيا وافريقيا

❊ صدرت ثلاثة كتب عن افريقيا للدكتور راشد البراوي وهي : « مشكلات افريقيا السياسية والاقتصادية » و « الحبشة بين الماضي والحاضر » و « مشكلة كينيا » .

❊ عكف الاستاذ ابراهيم يونس على تاليف كتاب وطني عن حركة التحرير الافريقية ، تناول فيه نضال شعب الكونغو وبطله لومومبا فى سبيل تحرير الكونغو .

❊ تدرس لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة اقتراحا يتضمن الحفاوة بذكرى الاعلام من نساء العرب الاديبات . وتناقش اللجنة موضوع اقامة مهرجانين احدهما للآنسة مي والثاني للشاعرة ملك حفني ناصف .

❊ اصدر الشاعر محمد هارون الحلو ديوانا بعنوان « مزامير » .

❊ عكف الاستاذ نجيب محفوظ على تاليف قصة بعنوان « اللصوص » .

❊ أصدر الاستاذ محمد علي غريب دراسة جديدة فى سلسلة أعلام الحرية عن « محمد فريد الفدائي الاول » .

❊ صدرت للدكتور يوسف ادريس مجموعة قصص بعنوان « آخر الدنيا » .

❊ ظهر للكاتب المصري الاستاذ موسى صبري رئيس تحرير « الجمهورية » كتاب ضخم عن ثورة كاسترو .

❊ محمود تيمور الاديب الانساني « كتاب ظهر لمؤلفه الاستاذ صلاح الدين ابو سالم تحدث فيه عن حياة تيمور الادبية والاجتماعية والانسانية .

❊ صدرت الترجمة الفرنسية لكتاب « احاديث جدتي » للدكتورة سهير ادريس .

❊ صدر امر فى القاهرة بان تحتوي كل علبة دخان على 19 لفافة بدلا من 20 والسيجارة الباقية يخصص ثمنها للمشاريع الثقافية .

❊ « الحياة » عنوان مجلة اسبوعية جديدة صدرت اخيرا فى القاهرة .

❊ اجريت للدكتور طه حسين عملية جراحية فى مستشفى القوات الجوية بالقاهرة . وقد تمت العملية بنجاح . وكان الدكتور أصيب بشلل فى رقبته .

❊ تم تعيين عشر أعضاء عاملين جدد فى المجمع اللغوي بالقاهرة هم : ابراهيم انيس ، ابراهيم عبد المجيد اللبان ، اسماعيل مظهر امين الخولي ، عبد الحميد حسن ، عبد الفتاح الصعيدي ، علي بدوي ، مراد كامل ، محمد عوض محمد ، محمد مهدي علام

❊ عقد بالقاهرة فى شهر ماي الماضي مؤتمر الاطباء العرب .

❊ يقوم مجلس الفنون والآداب بالقاهرة بترجمة « سارة » للعقاد و « الضاحك الباكي » لفكري اباظة الى اللغة الانجليزية .

❊ يعد الدكتور زكي محمد الاستاذ بكلية الآداب بالقاهرة دائرة معارف فلسفية بتكليف من مجلس الفنون والآداب .

❊ اعلن الاستاذ ه . ه . فينسن الخبير الدانمركي فى العمارة القديمة وحماية الآثار على اثر عودته من مهمته التي استغرقت عاما فى الاقليم السوري كخبير موفد من اليونيسكو على ان ابقى مسرح روماني فى العالم يوجد فى سوريا .

❊ يحتفل فى حمص بوضع الحجر الاساسي لتمثال القائد العربي خالد بن الوليد الذي سيقام فى الساحة الرئيسية للمدينة .

❊ احتفل فى دمشق بذكرى بلوغ الشاعر العراقي احمد الصافي النجفي التسعين من عمره .

✻ ستصدر وزارة الثقافة والارشاد القومي بالاقليم السوري مجلة ادبية شهرية

✻ تؤكد بعض المصادر الصحفية فى دمشق ان الآثار التي عثر عليها الاستاذ كلود شيفر فى راس شمرا قرب اللاذقية تدل على ان اهالي شمال سوريا كانوا يتكلمون فى الالف الثاني ق . م . لغة عربية بدائية تختلف بعض الشيء عن لغة قريش ، ولكنها تشبه الى حد بعيد اللغة التي تتكلمها بعض القبائل فى شمال سوريا .

✻ « صفحة ذكرى » ديوان جديد صدر للشاعر عدنان مردم .

✻ نعت دمشق العلامة الشيخ محمد ابو الخير الميداني

✻ « حدث ذات يوم » كتاب اصدرته الكاتبة ثريا الحافظ .

✻ « النشرة الثقافية » مجلة جديدة ادبية صدرت اخيرا فى دمشق .

✻ جاء من بيروت أن الفنان اللبناني رشيد وهبه قد انتهى من وضع صورة الشاعر الكبير الاخطل الصغير (بشارة الخوري) كما ان المثال حليم الحاج قد اتم تمثالا نصفيا لشاعر « الهوى والشباب » الذي سينصب فى باحة قصر اليونيسكو ببيروت .

✻ اقامت لجنة اصدقاء الشاعر الياس ابي شبكة فى بيروت حفلة بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لوفاته

✻ عقد فى بيروت مؤتمر نسوي ناقش واجبات المراة العربية فى هذه الفترة التي تجتازها .

✻ صدر مؤخرا ببيروت أقدم كتاب فى العالم المستوحى من الآثار المكتشفة فى راس شمرا . قام بتحقيقه وترجمته الاستاذ نسيب وهيبه الخازن .

✻ ما زال شيخ ادباء لبنان الاستاذ مارون عبود ملازما فراشه بسبب مرض انتابه فى الشهور الاخيرة .

✻ « الوتر الجريح » مجموعة شعرية للشاعر محمود نمرة صدر بتقديم امين نخلة .

✻ « شبر ارض » مجموعة قصصية ظهرت من تاليف الياس عبود .

✻ صدر قريبا عن لجنة احياء التراث الفلسفي العربي فى بيروت كتاب « فلسفة ارسطوطاليس للفارابي » الذي كان مفقودا الى ان عثر عليه وحققه الباحث العراقي الدكتور محسن مهدي .

✻ طلبت حكومة العراق مساعدة اليونيسكو فى نطاق « صندوق الامم المتحدة الخاص » فى انشاء معهد للتدريب الفني فى بغداد .

✻ عثر الشيخ محمد رضا الشبيبي على مخطوط عنوانه « تخصيص مجمع الآداب فى معجم الاسماء والالقاب » لمؤلفه عبد الرزاق بن احمد الفوطي من اعلام العراق فى اواخر القرن السابع ويترجم هذا الكتاب لاصحاب الالقاب من اجل العراق فى اواخر عصر العباسيين واول عصر المغول .

✻ توفي فى كربلاء العلامة ميرزا مهدي الشيرازي .

✻ سيؤسس فى العراق معهد عال للصحافة .

✻ سينشا فى العراق اول مجلس اعلى للبحوث على نطاق وزاري يضم ممثلين عن مختلف الهيئات العلمية .

✻ اكتشفت البعثة الالمانية الاثرية فى الوركاء مجموعة من الالواح الفخارية ترجع الى العهد السومري وقبله اكتشفت مسلة صيد الاسود التي تعتبر اقدم منحوت فى العراق يرجع تاريخه الى 3300 ق.م .

✻ تقوم مديرية الآثار بالعراق باتصالات مع متاحف باريز ولندن وبرلين لالتقاط قوالب مصنوعة من الجبس للاثار العراقية التي نقلت الى هذه المتاحف منذ تاسيس الحكم الوطني او قبل صدور قانون الآثار .

※ اقيم تمثال نصفي للشاعر محمد المهدي الجواهري فى بهو اتحاد الادباء العراقيين فى بغداد قام بنحته عبد الجبار احمد .

※ عقد اخيرا فى طهران مؤتمر لموسيقى الشرق والغرب .

※ احتفل العالم الادبي فى شهر ماي الماضي بذكرى مرور مائة عام على مولد الشاعر الهندي طاغور الذي كانت ولادته فى 7 ماي سنة 1861 فى كلكوتا ، ونال جائزة نوبل للاداب فى سنة 1913 .

※ ادت الصدفة الى اكتشاف حضارة قديمة فى حوض نهر كواي بالهند الصينية ترجع الى 4 الاف سنة . فعند ما اسرت القوات اليابانية العالم الاثري الهولندي الدكتور فان هيكرين اجبرته على العمل فى اقامة الخط الحديدي الذي يصل ما بين تايلاند وبورما والذي بدأ العمل فيه عام 1943 ، واثناء العمل فى منطقة حوض نهر كواي عثر الدكتور هيكرين على بعض قطع الفخار التي ترجع الى عصور ما قبل التاريخ ومنذ ذلك الوقت قرر هيكرين ان يعود مرة ثانية الى هذه المنطقة لدراسة هذه القطع الفخارية الاثرية . وقد عاد بالفعل فى الخريف الماضي ضمن بعثة للاثار قامت بعدة حفريات مكنتها من العثور على اهم الاكتشافات التي ظهرت حتى الآن فى آسيا لعصور ما قبل التاريخ . فقد عثر على قطع من الفخار تروي قصة تطور الانسان الذي عاش فى هذه المنطقة ابتداء من العصر الحديدي . وتوالي البعثة ابحاثها الآن من اجل العثور على مقبرة لانسان تايلاند كما عثر من قبل على آثار مماثلة لانسان بكين وانسان جاوة وستكشف آثار هذا الانسان عن طبيعة الهجرة التي تمت بين اندونيسيا والصين منذ نحو 200 الف سنة كذلك كشفت الآثار عن وجود حضارة تايلاند مشابهة لحضارة المصريين القدماء ومعاصرة لها .

※ تاسست مؤخرا فى الهند « جمعية الرابطة الاسلامية الدولية » ومقرها فى لكنهو غايتها ربط الصلة بين المسلمين فى شتى انحاء العالم الاسلامي .

※ شرعت بعثة علمية يابانية تتالف من ثلاثة علماء فى جامعة طوكيو بالبحث عن الآثار فى مغارات وادي العمود حيث عثر منذ 26 عاما على جمجمة لانسان عاش قبل التاريخ .

※ ستترجم الى اللغة اليابانية رائعة الشاعر البروفانسي فردريك ميسترال « ميراي » .

※ اشتركت المؤسسات الصناعية والتجارية فى استراليا فى انشاء « مؤسسات صناعية للنهوض بتدريس العلوم فى المدارس » . والقصد من هذه المؤسسة مساعدة المدارس الثانوية فى انشاء معامل حديثة توفر لدرس العلوم تعليميا تجريبيا حيا .

※ جاء فى الاحصائيات الاخيرة انه يوجد فى استراليا 41 دارا للنشر . وان هذه الدور مجتمعة اصدرت فى سنة 1959 حوالي 284 كتابا .

※ صدر فى موسكو كتاب باللغة الروسية عن الاساطير الشعبية فى سوريا لمؤلفته المستشرقة نينا بيكوليجسكايا .

※ صدر لحد الآن اكثر من ثلاثمائة كتاب عن شارلي شابلن وعن فنه وحكاياته بمختلف لغات العالم .

※ منح الاتحاد السوفياتي جائزة لينين للسلام لفيديل كاسترو ، كما منح ايضا نفس الجائزة لكل من سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا ، والمهندس اللبناني جورج ثابت ، وراجشوار نهرو ، رئيس الاتحاد الهندي ، والكاتب الروماني ميخائيل سادوفيانو وتتالف كل جائزة من هذه الجوائز من ميدالية ودبلوم ومبلغ 40 الف جنيه .

※ بدأت صحيفة « برافدا » لسان الحزب الشيوعي فى نشر حلقات من كتاب « يوميات رجل الفضاء » لجاجارين تناول فيه قصة حياته وخبراته فى الفضاء .

※ تقرر ان يفتتح خلال الصيف القادم اول مركز ثقافي عربي للجمهورية العربية المتحدة فى المانيا الغربية فى مدينة « بون » على ان تنشا بعد ذلك فروع له فى المدن الكبرى كبرلين وهامبورج .

※ احتفل مؤخرا بذكرى ميلاد بتهوفن التسعين بعد المائة . وبهذه المناسبة اصدر العالم الموسيقي الالماني كارل شونولف كتابا عن حياة بتهوفن .

※ يقوم اتحاد المؤسسة الالمانية الشرقية الذي يبلغ عدد اعضائه 400 شخص منهم كبار المستشرقين

التابعين للجامعات الالمانية والمختصين بشتى فروع الاستشراق الاسلامي والعربي والتركي والسامي والايراني والهندي والصيني والياباني والافريقي بوضع « قاموس العربية الفصحى » .

※ في ربيع هذا العام ستشمل برامج التعليم المدرسي في السويد اذاعات تليفزيونية خاصة بعلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية والتوجيه المهني .

※ عقد في الاسابيع الاخيرة بمدينة مانترو بسويسرا اول مهرجان دولي فني للتليفزيون ، اشترك فيه عدد كبير من الدول من بينها انجلترا والولايات المتحدة والمانيا والاتحاد السوفياتي واليابان وفرنسا.

※ تكونت لجنة في ايطاليا في المعهد الايطالي الاوسط والاقصى تضم مستشرقين كبار للاشراف على اخراج طبعة علمية محققة لكتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » . الذي الفه الشريف الادريسي المتوفى سنة 560 .

※ اصدر المدعي العام في ايطاليا اوامره بمصادرة كتاب عن كلاريتا بيتاتشي عشيقة موسوليني الذي يحمل اسمها .

※ سيبدا المركز الذري في « ايسبرا » بايطاليا باستعمال معجم الكتروني بامكانه حفظ كل المعلومات العلمية اللازمة ونقلها بصورة آلية الى كل اللغات .

※ ستظهر رواية سينمائية عن الكاتب الفرنسي بلزاك .

※ نشرت في ريغا باللغة الليتونية مجموعة تتضمن عددا كبيرا من القصص وضعها اربعون كاتبا من مصر وسوريا ولبنان والعراق والسعودية والسودان والجزائر . وقد اخرج هذه المجموعة الكاتب بافيل فيليب الذي يدرس الادب العربي . وقد اورد في آخر المجموعة معلومات موجزة عن حياة الادباء الذين ترجمت كتاباتهم .

※ صدر في باريس كتاب « مذكرات الامير عبد الله بن بلقين بن باديس الزيري الصنهاجي » آخر ملوك بني زيري في غرناطة الذي دام حكمه فيها ثلاثة عشر عاما .

※ اصدرت الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساغان روايتها الخامسة بعنوان « السحب العجيبة » .

※ تقام خلال العام الحالي سلسلة من المعارض في شتى انحاء العالم ، الغاية منها التعريف باهم الكتب التي تصدر بفرنسا .

※ منذ ثلاثة اعوام تألفت في باريس لجنة خاصة غايتها اختيار خمسين كتابا من بين الكتب التي نشرت خلال العام في مختلف انواع الثقافة . ومن الكتب الخمسين التي وقع عليها اختيار اللجنة الفرنسية لعام 1960 كتاب « سومر » لـ اندره بارو . وكتاب « مراسلات فنسان فان جوج » في ثلاثة اجزاء . و « مدلول في فن التصوير » لليونارد دي فينشي الذي قدمه اندره شاستيل . و « كتاب مائة الف عام على حياة يومية » و « كتاب العلوم في القرن السادس عشر » .

※ توفيت في لندن فجأة المؤلفة الاميركية الشهيرة دوروثي طومسون عن 69 سنة . وكانت الكاتبة رئيسة لجمعية اصدقاء الشرق الاوسط ، كما كانت عضوا في الاكاديمية الاميركية للعلوم الاجتماعية .

※ بدا القاص سومرست موم يفقدذاكرته وكذلك حاسة السمع . وآخر قصة كتبها هي قصة حياته التي لم يسمح بنشرها الا بعد موته لانه يتحدث فيها بصراحة متناهية عن نفسه واعماله .

※ صدر في لندن كتاب بقلم محمد رضا بهلوي شاه ايران بعنوان « رسالة من اجل وطني » تحدث فيها الشاه عن حياته ، وكيف اصبح ملكا كما يشرح نظام الحكم في بلاده ، وقصص زواجه .

※ بيع في لندن كتيب صغير طبع عام 1644 بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، والكتاب اسمه « حديث من المستر جون ملتون عن حرية الطباعة » وقد احرقت جميع نسخ الكتاب عند صدوره ، وحوكم ملتون محاكمته الشهيرة بسبب هذا الكتاب وسجن .

فهرس العدد الثامن ـ السنة الرابعة

الصفحة

صدر للاستاذ عبد القادر الصحراوي كتاب :

جولات في تاريخ المغرب

يتناول بالبحث والتحليل بعض الشخصيات التي لعبت دورا مهما فى تاريخ المغرب .

كتاب يستفيد منه الاستاذ

والطالب

والمثقف

والقاريء العادي

صورة الغلاف الثانيـة

منظر من مصـيف افران الجميـــل
(الاطلس المتوسط)

مطبعـة فضالـة ـ المحمديـة